مقدمة الشارح

الحمد لله رب العالمين» وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد :

فإن التوحيد وهو: إفراد الله ب بالعبادة وترك عبادة ما سواه هو أول الإسلام وأول الدين» وأول ما يدخل الإنسان في الإسلام أن يشهد أن لا إله إلا الله» وأن محمدًا رسول الله ثم بعد ذلك يقوم بأوامر الدين وأنواعها؛ ولهذا كانت الرسل عليهم الصلاة والسلام من أولهم إلى آخرهم أول ما يدؤون به دعوة الناس إلى التوحيد» وإفراد الله بالعبادة» وترك عبادة ما سواه
كما قال تعالى: طون أَمَلَهَا ين تَيْيلك ين تَسْلٍ إلا فى إِكِ أ لآ آ إل إل أن تَعبُّدُونِ 0 [الأنبياء: 70]» وكل نبي يقول لقومه: «إِكِقَوي أَعَبْدُواًـ أله ما ل يَنَ و غَيرٍ» [الأعراف: 04]» كما ذكر الله ذلك عن نوحء وهودء وصالح» وإبراهيم» وشعيب» كل نبي أول ما يبدأ: بدعوة التوحيد» فلا يبدأ

ولما بعث الله رسوله محمدًا كَل مكث في مكة ثلاث عشرة سنة بعد البعثة يدعو إلى التوحيد وينهى عن الشرك» قبل أن تُفرض الصلاة والزكاة والصيام والحجء وبقية شرائع الإسلام» كل هذه المدة في مكة يدعو إلى التوحيد؛ بينما فُرضت الصلاة قبل الهجرة بيسير ليلة المعراج» فُرضت عليه في
مكة في آخر إقامته فيها .

والرسول ك4 لما بعث معاذًا إلى اليمن أعطاه الخطة التي يسير عليها في

دعوتهء وقال له: «إتك د تَقَدَمُ تَقْدَمُ عَلَى و قوم أَمْلِ كِتَابِ قَلْيَكُنْ أَوّلَ مَا تَدْمُوهُمْ ليه
عِبادَةٌ اللو. إلى آخر الحديث» اي أن يدعوهم إلى الصلاة أولًاء أو
إلى الزكاة» أو إلى الصيام؛ بل أمره أن يدعوهم أولًا إلى التوحيد» فإذا أقروا
بالتوحيد أمرهم بالصلاة وبقية العبادات؛ لأن الصلاة وسائر العبادات لا تصح
إذا لم يكن هناك عقيدة صحيحة تُبنى عليها العبادات» فهي الأساس؛ ولذلك
سار الدعاة المصلحون من هذه الأمة على هذا المنهج النبوي» فكان أول ما
يبدؤون بدعوة التوحيد» فإذا استجاب لهم الناس وأخلصوا العبادة لله وتركوا
الشرك أمروهم ببقية الأوامر والعبادات؛ لأنها لا بد أن تنبني على أساس
صحيح» هذا هو المنهج في الدعوة» وأما المناهج الدعوية التي يسمونها والتي
تهمل التوحيد وتهمشه؛ ويقولون: الناس مسلمون ولا حاجة إلى أنهم يدعون
!إلى العقيدة

نقول: لا يكونون مسلمين إلا إذا صححوا العقيدة؛ أما مجرد أنهم
ينتسبون إلى الإسلام أو يصلون أو يصومون. . إلى آخره من العبادات وهم لم
يصححوا العقيدة» ويعبدون القبور والأضرحة وغير ذلك؛ فهؤلاء ليوا
.مسلمين» هذا من ناحية» وما أكثر هذا في الأمة اليوم

الناحية الثانية: ولو كانوا مسلمين أيضًا فهم بحاجة إلى أن يتعلموا
التوحيد ويعرفوا ضده» حتى لا يخْلّوا بذلك؛ فالمسلم بحاجة إلى تعلم العقيدة
وبيانها له حتى لا يقع في الشرك وهو لا يدري؛ فالمسلم أيضًا بحاجة إلى أن
يتعلم هذه العقيدة» ويعرف ما يضادها ويفسدهاء فلا غنى عن التوحيد» ولا بد
من تعلمه وتعليمه ونشره بين الناس» وأن يكون هو أساس الدعوة إلى الله
. 35

أما إذا تركنا الناسى على عقائدهم وخرافاتهم وشركياتهم» ونقول: مع
ذلك هم مسلمون؛ فهذا من الغش للناس» ولا تجوز المداراة في هذاء ولا
.يجوز المداهنة في هذا وإرضاء الناس

أما أن يقول: لست قادرًا على إيذاء الناس أو التعرض لعقائدهم

)١(أخرجه البخاري)46/8٠(.

فيؤذونني؛ ويضربونتي . . إلى آخره؛ فكيف يكون هذا داعيةء الداعية لا بد أن يتعرض للمضايقات والمعارضات» ولكن عليه أن يصبر على هذاء وما أصابه فهو في سبيل الله يك وقرأنا في التاريخ عن كثير من الدعاة إلى الله؛ بدءًا بالرسول كَل أنهم أوذوا وهددوا وضايقه الناس ولكنهم صبرواء وفي النهاية صارت العاقبة لهم» «َدَلمَيبَةٌ إِلّتَتِبت> (00)» [الأعراف: 1178 وهذا ينبغي أن يُعرف ويُعلم؛ لأن الآن هناك من يزهد في التوحيد وعقيدة التوحيدء ويقول: أنتم تتهمون الناس! أنتم تكفرون الناس! أيهما الذي ينفع الناس؛ من يبين لهم عقيدتهم وينصح لهم أو الذي يجاملهم ويغشهمء ويداهنهم؟ فهذا الذي في الحقيقة يغش الناس» كيف يكون داعية وهو هكذا .

فيجب التنبه لهذا الأمر وهذه الدسيسة التي دسها علينا الأعداء» يريدون تذويب العقيدة» ويكفى أن الإنسان يقول: أنا مسلم. الإسلام أساسه العقيدة؛ ما يكون مسلمًا إلا إذا كان على عقيدة صحيحة؛ من صحت عقيدته فهو مسلمء وإن صدر منه بعض الذنوب وبعض الخطايا فهو مسلم. ولكن إذا لم يكن عنده عقيدة فهذا ولو صلى الليل والتهار» وصام الدهر وتصدق بالأموال وفعل ما فعل لا ينفعه ذلك؛ فليس بمسلم حتى يحقق ويصحح العقيدة أولًا؛ إن أله يَشْهرُ أن ُشْرَكٌ بدء ويفير نا د ذَلِكَ لمن 5 [النساء: م8؛]ء الشرك لا يغفره الله لمن مات عليه» بينما لو مات الإنسان على التوحيدء ولكن عنده خطايا وعنده ذنوب وكبائر» فهو مظنة المغفرة» وأيضًا لو عُذِّب فإن مآله إلى الجنةء ولا يخلد في النار» بينما المشرك مخلد في النارء قال تعالى: «إِإِنَ لله ل* يَخْرُ أن يُتَرَكَ يه فتَغْفْرٌ ما دن ذَكَ لمن كلد وقال: «إِءُ من يشر فك حت أنه تند اليك نا َه أكَدٌ ثَنَا سَلِيت ين تحر ©4
[المائدة: 77] ؛ فالأبلغ من هذا أن من مات على الشرك الأكبر فإنه مخلد في النار» وأما من مات على التوحيد والسلامة من الشرك فإنه من أهل الجنة؛ سواء عفا الله عنه وغفر له وأدخله الجنة من غير عذاب» أو أن الله عذبه في لنار على قدر ذنوبه؛ ثم يخرجه من النار ويدخله الجنة؛ كما قال تعالى :
«© آلِينَ يما در يَسُرَا إسَتهُر بِظْلَرِ أفلتكَ كم الآن نَثُ تُيْتَددَ»

ء الظلم هنا المراد به الشرك» هؤلاء لهم الأمن» أما من عنده[الأنعام: م]
. شرك فليس له أمن؛ لا في الدنيا ولا في الآخرة» حتى يخلص العبادة لله كن

ونحن الآن بين أيدينا كتاب من الكتب المؤلفة في التوحيد» وهو كتاب
تجريد التوحيد المفيد»”'؟ للإمام تقي الدين أحمد بن علي المقريزي»
الشافعي
المصري”"» هذا الإمام تبحر في العلوم والفنون» وخرجت له مؤلفات كثيرة
معروفة؛ ومنها هذه العقيدة: «تجريد التوحيد المفيد»ة» وسمي بالمقريزي
نسبة
إلى الحارة التي ولد فيها في مصرء يقال لها: حارة المقارزة أو حي
المقارزة»؛ فنسب إليهاء وقد تأثر بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن
القيم رحمهما الله في هذا الشأن» شأن العقيدة» واقتبس من كتبهما في
هذه العقيدة؛ وإن لم يصرح بذلك لمانع في وقته؛ فإنه ظاهر عليه أنه انتفع

() انظر: مقدمة تجريد التوحيد» بتحقيق: د. علي بن محمد العمران؛ ففيها
تعليقات
نفيسة وتعريف بكتب المؤلف وسيرتة.

(©) هو: أحمد بن علي بن عبد الْقَادِر بن مُحَمَّد بن إبراهيم أَبُو الْعبّاس
الحسيني العبيدي؛
البعلي الأضل القاهري الحنفي الشافعي» وَيعرف بان المقريزي» وهي نِسْبَّة
لحارة في
بعلبك تعرف بحارة المقارزة» ولد قرابة 7715م بِالْقَاهِرَةِ ونشأ بِهَا نشأة
حَسّنة؛ فحفظ
لْقُرْآن وسمع من جمَاعَة من التُيُرخ؛ وَحج أسمع ! مَك من علمائها وَسمع في
الشَّام
من جمّاعَة؛ واشتغل كثيرًا واف على الشُيُوخ ولقي الْكِبَّار وجالى الْأئمة. أحب
الحَدِيث فواظب عَلَيْو؛ وَنظر في عدّة فنون وشارك في الْقَضَائِلِ؛ وَقَالَ النظم
والنثرء
وناب في الحكم وَكتب التوقيع ولي الْحِسْبَّة ِالْقَاهِرَةِ غير مرّة والخطابة بجامع
عَمْرِو والإمامة بججامِع الْحَاكِم زَقِرَاءَة الحَدِيث بالمؤيدة. دخل دمشق مرَارًا
وَتَوَلَى بها
التدريس» ثم أعرض عن جَمِيع ذَلِكَ وق بَلَدِهِ عاكفًا على الاشْتِغَال بالتاريخ
حَتّى

اشتهر ب ذكره وبعد فِيِهِ صيته وٌضَارّت لَه فِيهِ جملّة تصانيف كالخطط والآثّار
للقاهرة
وكان إمامًا بارعًا مفننًا متقنًا ضابعا ديثًا خيرًا. محبًّا لأهل السُنَّةَ يميل إلى
الحديث
والعمل به؛ توفي 846ه؛ قال عنه الإمام الشوكاني: كان متبحرًا في التاريخ
على
اختلاف أنواعه» ومؤلفاته تشهد له بذلك» وإن جحده السخاوي فذلك دأبه في
غالب
وإنبا)71/7« أعيان معاصريه. انظر: (البدر الطالع 79/1 - 80) والضوء اللامع
ء
الغمر (9/ 176).

بمؤلفات ابن القيم كِلنهُ؛ واقتبس منهاء هذا هو الإمام تقي الدين أحمد بن علي المقريزي. كان في أول حياته على مذهب الحنفية؛ ثم إنه انتقل إلى مذهب الشافعيء وصار شافعيًّاء وله كتب كثيرة من أشهرها: «المواعظ والاعتبارِ بذكر الخطط والآثارِ»» و«حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور».
فله كتب كثيرة» مُكثر من التأليف» مما يدل على مكانته في العلم كلَنهُ.

© © ©

شرح تجريد التوحيد المفيد

١

ل 0
ل

ري

ع
3

"1

«الحمد لله رب العالمين *

اا ل أ أ أل أي أ ليد أ بد لي أي أي ا ل لبد د ايد ا أي د أيه ا أي أ ا أي ا أ أي يد
أ أ ا ا

قوله: (بسم الله الرحمن الرحيم» بدأ المؤلف يَيلَنْهُ كتابه بالبسملة؟؛ لأن
كلمة عظيمة تتضمن الاستعانة بالله 38؛ والتبرك (بسم الله الرحمن الرحيم)
باسمه #8 وبها تُفتتح الأمورء وفي الحديث: «كُل كلام لا يُبْدَأ في وله
بَذِكْرِ اللهء فَهُوَ أَبْعَرْه''» ولذلك كان كتبها الرسول كي في رساثله» وكتبها
سليمان #8 لما كتب إلى بلقيس ملكة سبأ فلما قرأت الكتاب قالت لقومها :
ناك كَأي ألنَكرا إق ألقى إ كِتبٌ كع © إِنَهُ بن شُكِيَنَ ثَلِنَدُ بم الله ا
١- كما ذكر الله ذلك7[« النمل: 4] <(© لتر © آل لوا ع تأمنِ شين
في سورة (الثمل)» فهذه الكلمة يبدا بها في الكتب والرسائل» وقد افتتح
الله
بها سور القرآن الكريم» كل سورة ما عدا (براٍءة) تُفتتح ببسم الله الرحمن
الرحيم؛ فيقتدى بالكتاب العزيز في كتابتها أولًا.

ثم قال بعدها: (الحمد لله) الثناء على الله 8# فهناك بعض الروايات:
كُلَّ أ ذِي بَالٍ لا يُبْدَأْ فيه بِالحَمْدِ أَقُطّعٌ"؛ فالبداءة تكون حقيقية وتكون
إضافية ً فبدأ أولا بقوله : (بسم الله هذه حقيقية» ثم ثتى بالحمد وهذه بداءة
إضافيةء ثم صلى على النبي ثم دخل في الموضوع.

قوله: (الحمد لله ربِّ العالمين)» فجميع الحمد والثناء لله يل؛ لأنه هو المنعم بكل النعم؛ فيحمد سبحانه على نعمه وفضله» ويحمد لذاته أن ويحمد لأسمائه وصفاته؛ فيثنى عليه 8# فهو المستحق بالحمدء فبدأ الله

)١(أخرجه النسائي)1771٠(.
(؟) أخرجه ابن ماجه (18846)» وابن حبان (7)» والنسائي)9984(.

لي بأ ىلي أ ااا أ اجا له أ أ واج أ ااا جاو أ اا أو أ أو ا لوا اما أو ا اسداس اماد أ
سا أ ا اس أو ا ا أ ل ا 1

الخلق بالحمد لله وختمهم بالحمد لله» قال تعالى: «ِلْحَنَدُ لَه آلَزِى خَلَقَ
«© الشَعوَتٍ تَالأرْسٌ يَجَلَ سلب تَاشرّ كر لين كَتَنا رين تيف
؛ أي: يشركون به» ثم ختم الخلق بالحمد لله رب العالمين في[الأنعام: ١]
ْ: آخر سورة (الزمر) لما دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار قال
تَفْيْىَ تيت بلق وَقِلَ أْلْحنْدُ لَه رَيَ الْعِينَ)4 [الزسر: ١7]؛ ففي سور»
من القرآن كثيرة تبدأ بالحمد لله رب العالمين» منها: قوله تعالى: «آلَسَدُ لله
«© أآرى لَه ما في لكوت كما في الأتضٍ مَلِدُ اتن فى ْنرَةٌ رَكْرَ لتر نغيَيرٌ
١ وقوله: علد لَه قَاطِرٍ آلَموتٍ وَالْأْضِ» [فاطر: ١]ء» وقوله: اليد[« :سبأ]
١ وابتدا1 :نه ايت رد عَ بيو الككب بگر يمل لُ منت ©4 [الكهف
<© فاتحة الكتاب «الْحَنْدٌ إل رب الصلييت © لمن انمي
إلى آخر السورة [© الفاتحة: 7].

قوله: (ربٌ العالمين)؛ الرب هو المالك كما يأتي من كلام
«المؤلف تَته؛ فالرب هو المالك الخالق المدبرء والعالمين: جمع عالم
فالمخلوقات كلها عوالم: عالم الجن» عالم الإنسء عالم الملائكة»؛ عالم
الحيوانات» عالم الطيور» وعوالم لا يعلمها إلا الله ظاهرة وخفيةء كلها الله
ربها 8# وكل ما سوى الله فهو عالم؛ كما قال الشيخ محمد بن
عبد الوهاب كَثلت. والعوالم مختلفة؛ ولذلك جمعهم وقال: (العالمين) يُفرد
ويقال: العالم.

قوله: (والعاقبة للمتقين)»؛ كما قال موسى © لقومه لما آذاهم فرعون
وضايقهم وتجبر عليهم: «آسَتَهيثا بل اضيا إنك> الأتس لَه مرتحا من
:با من ياد وَالتَبَةُ نقيت ()» [الأعراف: 138 فتحقق هذا
ثاتتثنا الف الت انا عَم نصرك الأ ينكرتا آك بَرُنا»

امس ير سمسِ اِك ريس مس داعم بس سس زو ااا اله سَ لا +2
وُكَنَتَ كِنَتٌ رَيِكَ آلْصُقَ َل بك تيت ينا صَبَا َدَثَرْنَا نا “اك يَضَتَمٌ

ارا ماكب« ارغر هري ارم

وغوت وقومد, وما صكائناً تعره وت > ©4 [الأعراف: 177]؟ فأورثهم الله أرض

مصر أرضهم - وأهلك فرعون» وتحقق بذلك ما قاله موسى نل#ا: «إركت «© أأرسٌ إل يرثا من يك بن ماد تَالسَيبَةٌ تيت

قوله: (وصلى الله على نبيّنا محمد) الله ## أمرنا بالصلاة على محمد بعدما صلى عليه هو وملائكته: طإةٌ آله ييَتِكَتَدُ يُلْنَ عَلَ ألأّيّ كَلَيا اليك ٠ من الله: ثناؤه ما صلا عَيِهِ يَمَيِتٌا تَلِيمَا © [الأحزاب: 8] والصلاة على عبده في الملا الأعلى» والصلاة من الملافئكة: الاستغفار» والصلاة ة من الآدميين: الدعاء كما في قوله تعالى: عد" نّ أَترهُمْ صَدَ ل صَدَئَةٌ ليرت وُيكم جا
رَسَلٍ عَلِيمٌ» [التوبة:]9 أي: ادع لهم إذا دفعوا لك زكاة أموالهم فادع لهم» والصلاة على النبي كِللةِ واجبة؛ لأن الله أمر بهاء وتارة تكون مستحبة في
مواضع» وللإمام ابن القيم كتاب حافل مستقل اسمه (جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام)» فيه مباحث عظيمة في هذا الموضوع؛
فالحاصل: أن الصلاة والسلام على نبينا كةِ من حقوقه علينا أن نصلي ونسلم عليه كلما ذُكر» وأحيانًا تجب الصلاة كما هي ركن من أركان الصلاة في التشهد الأخير.

قوله: (خاتم النبيين)» خاتم؛ أي: آخر؛ فلا نبي بعده؛ فمن الإيمان بالرسول 8 أن تؤمن وتعتقد أنه آخر الرسلءِ؛ فلا نبي بعده إلى أن تقوم الساعة» كما قال تعالى: «مَّا كَانَ تُحنَدٌّ أب أَحَرٍ ين رَجَالِكُم تَتتكن تَسُلَ أل وَعَاتَمَ الح [الأحزاب: 4+ وقال الرسول كلةٍ: «أَنّا خَادٍ ل وه
لا نبيَ بَعْدِي»”" ' فمن ادعى النبوة بعده فهو كذاب» ومن صدق المتنبئين بعد الرسول قل فهو كافر؛ لأنه مكذب لقول الله تعالى: «يَاَثَرَ الجن ومكذب لقول النبي كيةٍ: «أنا خَاتِم النيِينَّ».

)١(أخرجه البخاري (976»). (؟) أخرجه البخاري)98:7(.

ولذلك حكم المسلمون وأئمة الإسلام على المتنبئين بالكفرء إلا من تاب منهم» وآخرهم في وقتنا القادياني الباكستاني الذي ادعى النبوةء واسمه أحمد القادياني» وقد تبعه فئام كثيرة من الناس ولهم دعوة الآن وتدعمهم الدول الكافرة» ويسمون ب (الأحمدية)» وقد كفّرهم علماء المسلمين في مشارق الأرض ومغاربهاء ومنعوا من الدخول إلى المسجد الحرام في الحج؛ «لأنهم كفار؛ لأنه ليس بعد النبي كِلله نبي» وليس بعد شريعة الإسلام شريعة وأما نزول المسيح عليه الصلاة والسلام - في آخر الزمان فهو ينزل ويكوت تابعًا للرسول محمد كَليةِ حاكمًا بشريعة الإسلام» لا يأتي بشرع جديد؛ وإنما يأتي بشريعة الرسول قلي ويكون تابعًا للرسول كِل.
قوله: (وعلى آله وصحبه)ء بعدما صلى على النبي عليه الصلاة والسلام» صلى على آله وإذا ذكر الآل والأصحاب» فالآل: هم القرابةء والأصحاب هم الذين صحبوا النبي قل من غير القرابة» فكل من لقي النبي كيه
مؤمنًا به ومات على ذلك فهو صحابي؛ ومن آمن به ولم يلقه فهو تابعي مثل النجاشي كلت آمن بالرسول كَل ولكته لم ير الرسول كَِ ومات وهو لم ير الرسول فهو من التابعين» فكل من آمن بالرسول كَيْةِ ولم يره فهو تابعي» سواء
في وقت الرسول كَيةِ أو بعده» أما من لقيه وهو غير مؤمن به فليس صحابيًا ؛
مثل سائر المشركين الذين لقوا النبي كَليَةِ ورأوه وجلسوا معه ومشوا معهء ولم
تحقق لهم لقياهم بالنبي كله الصحبةء فهم كفار» فما داموا لقوه وهم كفار فليسوا صحابة؛ وقوله: (ومات على ذلك) يخرج بذلك من لقي النبي كَةٍ مؤمنًا به ولكنه ارتدء فمن لقي النبي كَل مؤمنًا به» ولكنه ارتد فهذا تبطل صحبته وتبطل جميع أعماله والعياذ باللهء قال تعالى: «وَسنَ يَرْكَدِدَ مِنَكُمّ عَن دِييوء قَبَنُتَ رُرُ كاز تأكيك عبتت اتكتير فى أذ وَلخِرَرٌ تَبْلَيِكَ
أَصَحَبٌ نار هم فيا ختاثونك 400 [البقرة: 7١7]؛ فالصحابي: من لقي النبي كَلَةٍ مؤمنًا به ومات على ذلك .

: أجمعين؛ أما بعد

فهذا كتاب جمٌ الفوائدء بديع الفرائدء يتتفع به من أراد الله *
والذار الآخرة 1 0

قوله: (أجمعين) فلا نقتصر على الآل» فإذا ذكر الآل فقط يدخل فيهم الصحابة؛ لأنه يكون (الآل) بمعنى الأتباع» من القرابة وغيرهم» أما إذا ذُكر الآل والأصحاب صار الآل لهم معنىء والأصحاب لهم معنىء ونحن لا نغلو في القرابة والآل ونجفو في حق الصحابة كفعل الشيعة؛ بل إننا نؤمن بفضل الجميع» ونعترف بفضل الجميع من قرابة الرسول ومن غيرهم» من جميع المؤمنين» لا نفرق بينهم في ذلك؛ وإنما هذا فعل الشيعة الذين هم أعداء للإسلام والمسلمين.

قوله: (فهذا كتاب) هذا إشارة لهذه الرسالة» (جمّ الفوائد)؛ يعني : كثير الفوائدء. وهو كذلك؛ لأنه في أهم شيءء وهو العقيدة» (يتتفع به)؛ أي: بهذا الكتاب» (من أراد الله والذار الاخرة)؛ لأنه يتضمن الاعتقاد السليم» والمنهج القويم» المأخوذ من الكتاب والسُنَّة؛ وهو ينتفع به المؤمن الذي يسلم به . قصده وثيته لله كل

أما من يريد الهوى» ولا يريد الآخرة» وإنما يريد رغبة نفسه وهواه
ويريد رأيه ويركب رأسه من الفرق الضالة التي لا تريد العقيدة السليمة فإنه لا
ينتفع بهذا الكتاب؛ بل يحرمه الله من الانتفاع بهذا الكتاب وغيره؛ بل لا ينتفع من القرآن والسُنَّة. فهذا الكتاب على منهج القرآن مأخوذ من السُنّة؛ فالذي لا يعتقد ما فيه فإنه يكون خاسرًا لا لأنه كتاب فلان» أو كلام فلان؛ بل لأنه من الكتاب والسٌنَّة. وعلى عقيدة السلف الصالح ومنهج السلف الصالح؛ (من أراد الله والدّار الآخرة) أما أهل الأهواء والفرق الضالة وأهل المذاهب «المنحرفة فهم لا ينتفعون بهذا الكتاب ولا بغيره؛ فليسوا عبرة إذا رفضوه وكثير من أهل الشر اليوم ينتقدون كتب التوحيد وكتب العقيدة؛ ويصفونها

سمّيته: «تجريد التوحيد المقيد». والله أسأل العون على العمل به بمنّه وكرمه.

بالتشددء ويصفونها بالرجعية» إلى آخره؛ ولكن هذا لا يضر أهل الحق أبدّاء . ولا يرخص هذه العقيدة عند أهل الحق؛ بل يزيدها ثانا

: قوله: (سميته: تجريد التوحيد المفيد» التجريد: يعني : تخليص ؛ يعني تخليص التوحيد من الشوائب والشركيات والبدع. (والله أسأل العون على العمل به بمنّه) يسأل الله أن يوفقه على العمل بما قال وكتب» وهكذا يكون العالم الرباني» إنه لا يؤلف ويتكلم وهو على خلاف ما يقول» ولا يعمل بما يقول» فلا بد أن يكون هو أول من يعمل بما يكتب من الحق» وبما يقول؛ قال الله ل: «ِكأيا الزن ءامنا لم تتأ نا لا تُتَعَارةَ © كَبر نَفْنَا عند :أن أن تقولا ما ا تنمتوت (©)4 [الصف: 3 *] وقال 8# لبني إسرائيل أتيَ اس زِلِنّ يَيَسَيُ آشد بَآتُمْ تَتَلِينَ الكتب آنل تَمَيَ» ؛ فمن كتب كتابًا أو تكلم بكلام من الحق يجب عليه أن يكون[البقرة: 44] أول الممتثلين له؛ وإلا يكون ممن يقولون ما لا يفعلون؛ فيكون ممقوتًا . ومبغضًا عند الله ل

ج © «©

اعلم أن الله سبحانه هو رب كل شيءٍ ومالكه وإلهه؛ 0 *#

.دخل المؤلف تنه في الموضوع»؛ وما سبق فهو مقدمة
فقوله: (اعلم)ء هذه كلمة عظيمة؛ أي: انتبه وتعلم ما سيأتي» قال

مر ار 2 ادم رع ايم
يو م

:تعالى : وإتاخكر أَنُ لك إِلَدَ إلا آنه رَنْتَنْيرَ لِذَيِكَ لويِ َالْتُويتتَي»» [محمد
:٠١ وقال[:الحديد] « وقال: «آتْلَئوا آنا لَخَبَزةُ اليا لَب َكَ َزِيَةٌة4٠
فإتَاعَلَمرًا أن أل مَوْتَكُمّ ينم آلْيْلٌ مم أَنَّسِيٌ (©©)» [الأنثال: 40] (اعلم)
. كلمة عظيمة تنبه على ما سيأتي» بأن تتعلمه وتفهمه

قوله: (أن الله - سبحانه هو رب كل شيءٍ ومالكه وإلهه)؛ التوحيد
:على سبيل الإجمال قسمان

«الأول: توحيد الربوبية؛ وهو توحيد الله أن بأفعاله؛ كالخلق» والرزق
والإحياء» والإماتة» وتدبير الكون» وإنزال المطرء وكل ما يختص الله به
.من الأفعال فإفراده به هو توحيد الربوبية

ويدخل في توحيد الربوبية: الأسماء والصفات» وتوحيد الربوبية يسمى
.التوحيد العلمي الاعتقادي

الثاني : توحيد الألوهية؛ وهو إفراد الله 8 بأفعال العباد التي يتقربون
بها إليه مما شرعه لهم ويخلصونها له 88 ولا يشركون معه شيئًا؛ وتوحيد
.الألوهية يسمى التوحيد العملي؛ لأنه عمل من جهة العباد

هذا توحيد الربوية؛ (أن الله سبحانه - هو رب كل شيءٍ ومالكه وإلهه)
ولا بد من الاثنين» لا بد من توحيد الربوبية والألوهية؛ فمن أقر بتوحيد
الربوبية يلزمه أن يقر بتوحيد الألوهية» ومن أتى بتوحيد الألوهية فإنه متضمن
لتوحيد الربوبية» هذه العلاقة بين النوعين» أن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد
. الألوهية» وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية» لا يفترقان أبدًا

والرب: يراد به المربي؛ لأن الله هو المربي لعباده بنعمه وإحسانه؛ وهو المربي لهم أيضًا بشرائعه وأوامره ونواهيه»؛ فالرب بمعنى المربي» والرب أيضًا

قالرّب: مصدر ربٌّ يَرْبٌ ربًّا فهو رابٌ؛ فمعنى قوله تعالى: «رَبّ آلَلَمِينَ (40©0: رابٌ العالمين؛ فإن الربٍ 8# هو الخالق الموجد لعباده القاثم بتربيتهم وإصلاحهم؛ المتكقل بصلاحهم من خلق ورزق وإصلاح دين ودنيا.

بمعنى المالك؛ فالملك العام لله 38؛ لا يشاركه فيه أحدء والملك الخاص يكون للمخلوق. مثل رب الدارء رب البستان» رب الدابة؛ فيأتي مقيّدّاء لا تقول للإنسان: هذا رب بإطلاق؛ بل تقول: هذا رب الدارء رب السيارة؛ أي: صاحبها ومالكهاء أما إذا أطلق الرب فالمراد به الله 8# فهو رب العالمين» ومن معاني الرب السيدء وهو: المالك للرقيق» فهو رب لهمء بمعنى أنه سيدهم» ومنه قول يوسف لا للفتى الذي خرج من السجن: نْكُرَنِ عِندّ زَيَلَكَ» [يوسف: 47]؛ أي: عند سيدك. وهو الملك؛ كما)» ذكر الله 8# في هذا السياق.

م

قوله: (فمعنى : عرب الْسلِمِينَ 0 راب العالمين)؛ يعني: مربيهم بالنعم» مغذيهم بالأرزاق» التربية الجسمية والجسدية» ومربيهم التربية المعنوية؛ وهي تربيتهم على الدين وعلى الأخلاق. هي كل تلق جميل وحسن؛ فالله رباهم على ذلك» التربية المعنوية» هى تربية القلوب» والأولى تربية الأبدان» فهو المربي لأبدانهم» والمربي لقلوبهم.

قوله: (القائم بتربيتهم وإصلاحهم)؛ فهو المصلح يلةٍ. والمرشدء والمعلم» وهو الخالق الرازق» وله كل معاني الربوبية #لةِ» ربوبية الملكية؛ وربوبية التربية البدنية» والتربية القلبية.

قوله: (المتكقل بصلاحهم من خلق ورزقٍ وإصلاحٍ دين ودنيا). فكل أفعال الله ين من توحيد الربوبية؛ لا يشاركه فيها غيره» وهذا لا يكاد يتكره أحد من الخلقء كلهم يعترفون بربوبية الله 3 وأنه هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر لهذا الكونء ولكن إذا قيل لهم: اعبدوا الله ولا

تشركوا به شيئًّاء؛ استتكروا؛ لأنهم يريدون أن يعبدوا الأصنام والأحجار والأشجار والأهواء وغير ذلك مع الله» لا يريدون إفراد الله بالعبادة؛ ولهذا ٠ عاآينًا لتارقا[« :ص)] © قالوا: «لبسَل الأمَة إهَا ينا إ3 مَنَا تنه تحت الِهَنَا لقا تٌتِْ يم [الصافات: 6©] لما قال لهم: (قولوا لا إله إلا الله)ءَ فهم لم يختلفوا مع الرسل إلا في هذاء لم يختلفوا معه في توحيد الربوبية؛ وإنما اختلفوا معه في توحيد الألوهية؛ فالرسل يريدونهم أن يفردوا الله بالعبادة»؛ وهم لا يريدون هذاء يريدون أن يشركوا مع الله أصنامهم ومعبوداتهم
الكثيرة التى لا تحصى» كل يريد أن ينتصر لما يعبده» ولا يترك عبادته؛ فصعب هذا عليهم» ولذلك بذلوا أنفسهم وأموالهم في الدفاع عن عبادة الأصنام» وقاتلوا الرسل والمسلمين عند هذا.

© © ©

قوله: (والالهيّة)؛ الألوهية من الوله؛ وهو المحبة؛ الله إله بمعنى محبوب» من الوله بمعنى المحبة» أو من التأله بمعنى التعبد؛ فالله الإله بمعنى
المعبود؛ وإله بمعنى محبوب» كلاهما؛ فالله إله بمعنى محبوب وإله بمعنى معبود .

قوله: (كون العباد يتخذونه سبحانه محبوبًا)؛ محبة الله هي أعظم أنواع العبادة؛ فللعبادة أنواع كثيرة أعظمها المحبة.

قوله: (ويفردونه بالحب)» فلا يحبون معه غيره» حب العبادة؛ لأن المحبة تنقسم إلى: محبة العبادة» وهي التي يكون معها الذل والخضوع والاستسلام للمحبوب» وهذه لا تكون إلا لله 8# فمن أدخل معه غيره فيها فهو مشركء كما قال ِ©#: «طزيت آذابٍ كن يَكَمِدٌ بن ذُّن أل أثدانا يي كسب آله وَاِينَ ءَمَتَرًا أَكَدُّ عا َي [البقرة: 116ً]؛ فالمشركون يحبون الله ولكن يحبون غيره معه من أصنامهم وآلهتهم» أما المسلمون فإنهم يحبون الله
وحده. ولا يحبون معه غيره محبة العبادة.

وأما المحبة الطبيعية وهي محبة القرابة والوالدين والأولادۓ ومحبة «الأكل والشرب» ومحبة الزوجة؛ فهذه محبة طبيعية لا يؤاخذ عليها الإنسان إلا إذا دّمها على محبة الله يي يفل إِن 56 اباط احم تَبِحكتع
لتر تتَيبتر ينول أمْتَيْشُمَا رتنه تَقَتَرَع كَتادما رسكن يتما لَص
إِت تك آله تَتشولك تَجِمَاد في سل تَرَترا» - أي: انتظروا - «حَئَّ
اَ أ بترن [التوبة: 8؟]» وهذا تهديد لهم فالمحبة الطبيعية لا يؤاخذ عليهاء مثل محبة الزوجةء ومحبة الوالدين؛ ومنها محبة العطفء ومحبة الإشفاق» ومنها محبة شهوة كمحبة الزوجة ومحبة المال. وكل هذا لا يؤاخذ عليه الإنسان إلا إذا قدمه على محبة الله ورسوله.

والخوفق والرجاء والاخبات» والتوبة والنّذر ص

وقوله: (ويفردونه بالحب)ء الذي هو حب العبادة» وهو الذي يكون معه ذل وخضوع وانقياد» وإلا فالإنسان يحب زوجته ولكن لا يخضع لهاء ولا يتقاد لها؛ لأنها محبة شهوانية طبيعية ولا تضر إلا إذا قدمها على محبة الله ورسوله.

قوله: (والخوف)؛ أي: يفردونه أيضًا بالخوف» والخوف أيضًا ينقسم إلى قسمين: خوف عبادة» وخوف طبيعي» خوف العبادة: هو الذي يكون معه ذل وانقياد للمخوف» هذا خوف عبادةء أما الخوف الطبيعي: فهو الذي لا يكون معه ذل ولا خضوع؛ فأنت تخاف من السبع» ومن العدوء ومن الحَرّ ومن البرد ومن المرض» فهذا خوف ليس معه عبادة ولا انكسار ولا ذلء وهذا لا يؤاخذ عليه الإنسان إلا إذا قدمه على الخوف من الله» «ؤفلا خَحَافوَهُم
وحَاْوْنِ إن كت ُوْمِينَ 0 آل عمران: 1705]؛ فإذا قدم الخوف الطبيعي على خوف العبادة؛ فحيتئذٍ توعده الله كِيْكَ؛ أما إذا لم يقدمه فهذا لا يؤاخذ عليه الإنسان؛ فأنت تخاف من الجبار ومن الملك ومن العدو ومن فلان وفلان» ولكن لا تخضع له وتنقاد له» وإنما تخافه خوفًا طبيعيًا فقط .

قوله: (والرجاء) وهذا من أنواع العبادة القلبية؛ لأن العبادة نوعان: عيادة بدنية: كالصلاة والصيام والحج والجهاد. وعبادة قلبية: كالخوف والرجاء والمحبة والخشية والخشوع والرغبة والرهبة» هذه عبادات قلبية .

قوله: (والاخبات)» وهو الخضوع (والتوبة)؛ أي: التوبة إلى الله من الذنوب والمعاصي؛ فالتوبة من أنواع العبادة» والله هو التّواب» والعبد تائب؛ أي: راجع إلى الله ظل.

قوله: (والتذر) وهو من العبادة المالية» وقد يكون من العبادة البدنية؛ كأن تنذر الصلاة أو الصيامء فهذه عبادة بدنيةء أما إذا نذرت الصدقة فهذه عبادة مالية» والنذر عبادة يجب أن يفرد الله ف بهاء ولا ينذر للمخلوق لا

والطاعة والطّلب والتوكل ونحو هذه الاشياء.

. الحي ولا الميت؛ لأن النذر عبادة فلا ينذر لغير الله كَنْ

قوله: (والطّاعة) الطاعة تكون عبادة وتكون أيضًا مباحةء فطاعة المخلوق فى الآمور المباحة مباحةء أما طاعة المخلوق فى معصية الخالق فهذا شرك قال كل: «لَا طَاعَةٌ لِمَخْلُوتٍ فِي مَعْصِيَةٍ افو فلا يُطاع المخلوق في معصية الله كِيْ؛ إذا أمركٍ بمعصية لا تطعه. فإن أطعته فيكون ١ فهذا شرك في117 :شركاء «إرين أطَنّتٌ نكم تَشْرينَ (©)» [الأنعام الطاعة.

قوله: (والطّلب) الطلب فيما لا يقدر عليه إلا الله لا تطلبه إلا من الله ؛ كشفاء المرض» وجلب الرزق» وإنزال المطر وغير ذلك» أما الطلب الذي يقدر عليه المخلوق فتطلبه منه؛ كأن تطلب منه أن يعطيك» أن يقرضك» فلا بأس أن تطلب منه فيما يقدر عليه مع أن الأفضل أن لا تسأل الناسء وإنما تسأل الله.

قوله: (والتوكل») هو التفويض والاعتماد في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله فلا يجوز أن تتوكل على غيره» والتوكل من أعظم أنواع العبادة؛ وهو الاعتماد على الله وتفويض الأمور إليه سبحانه دون غيره» قال تعالى: «وَعَلَ قم فَتَوَكَمَا إن كُثر مُقِينِينَ © [المائدة: 173 وقال: إن يَكنَ عَلّ آله فَهَ حَبْفة» [الطلاق: 7].

قوله: (ونحو هذه الأشياء) من أنواع العبادات؛ فالتوحيد هو إفراد الله كأ بجميع أنواع العبادة؛ فالعبادة حق لله بجميع أنواعهاء فلا تشرك معه غيره

© © .

)١(مسند الإمام أحمد)148١٠(.

قوله (فإن التوحيد حقيقة: أن ترى الأمور كلها من الله تعالى) وهذا
توحيد الربوبية» أن ترى كل ما يجري من الله سبحانه وبقضائه وقدره؛ فكل ما
في السلوات والأرض من المخلوقات» من صنع الله ## وإيجاده وتدبيره
ولم يشاركه في ذلك أحد.

ولهذا تحدى الله المشركين الذين يعبدون آلهة غير الله أن يثبتوا أن هذه
الآلهة خلقت شيمَّاء أو ملكت شيئًا في السماء والأرض؛ فالله 8# يقول:
آِيتٌ مُتَتكُم لين تعن ين ثون آله أنمن نَانَا خَلَتا ين الأ أن كم مِنٌ في»
آلرتِ» [فاطر: 40]» تحداهم» وهم ما أجابوا وقالوا: خلقوا كذا وكذاء مثلًا
خلقوا السموات أو بعضها أو النجوم أو كذاء ما أجابواء فدلٌ على أن كل
هذه المخلوقات من الله 8# «أَرْمُنٍ مَاذَا خَلَقاْ بين الْأضٍ»» من البحار والجبال
والمحيطات والأشجار والأحجار» هذه الآلهة أين خلقها؟ ما أجابوا عن شيء
من ذلك ولا ادعوا أن الصنم الفلاني أو أن الولي القلاني أو حتى الملائكة أو
حتى الأنبياء والأولياء أنهم خلقوا شيكًا من هذه المخلوقات؛ فالله ف أقام
البرهان على وحدانيته في هذا.

وأما الأسباب إن أريد بها الأسباب التي يتخذها المشركون ويقولون:
«إهدولاء شفَعونا عند 0 [يونس: ١8]؛ أي: وسائط وأسباب تشفع لنا عند الله؛
فهذا باطل» أبطله الله 8# أما الأسباب التي جعلها الله 8# أسبابًا كالحركة
لطلب الرزقء وطلب العلم» وجميع الأسباب التي يعملها الناس؛ يريدون من
وراثئها حصول مطالبهم المباحة» فهذه حقيقة وأسباب موجودة؛ ولكن لا يعتمد
عليها في تحصيل النتائج؛ بل تتوكل على الله؛ فأنت تعمل الأسباب وتتوكل
على الله يل في حصول التتائج.

أما الوسائط التي تشارك اللهء أو تشفع عنده» أو تتوسط عنده لحصول
المطلوب» فهذه لا حقيقة لهاء وليست موجودة» فإن الله ليس بينه وبين خلقه
وسائط يتوسطون عنده في أمور عباده؛ أما الرسل عليهم الصلاة والسلام -

رؤية تقطع الالتفات عن الأسباب والوسائط» فلا ترى الخير والشر إلا منه
«تعالى» وهذا المقام يثمر التوكل» وترك شكاية الخلق» وترك لومهم
والرضا عن اللهء والتسليم لحكمه.

فهم وسائط في تبليغ الوحي؛ فالواسطة بين الله وبين خلقه إن أريد بها
الرسل
الذين يبلغون رسالات الله» فهذه موجودة؛ ومن أنكرها كفرء وأما الوسائط
التي تُحصل المطالب من الله لمن يوسطهم ويستشفع بهم ويتوسل بهم فهذه
باطلة؛ ومن أثبتها فهو كافر؛ ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية كله : هناك
واسطة بين الله وبين خلقه من أنكرها كفرء وهناك واسطة بين الله وبين
خلقه
من أثبتها كفر. وله رسالة في هذا وهي (الواسطة بين الحتق والخلق) على
هذا
التفصيل"’'".
قوله: (رؤية تقطع الالتفات إلى الأسباب والوسائط)؛ أي: الأسباب
«والوسائط التي يتخذها المشركون أنها تؤثر عند الله بحصول مطالب عبادة
فهذه من أثبتها كفر؛ لأن الله ليس بينه وبين عباده وسائط من هذا النوع.

قوله: (فلا ترى الخير والشر إلا مته تعالى). هذا يبين مرادهم
بالوسائط» وأنهم يقولون: إنها وسائط تسبب لنا اللخير وتدفع عنا الشر. هذه
هي الوسائط التي تتكر.

«قوله: (وهذا المقام يثمر التوكل. وترك شكاية الخلق؛ وترك لومهم
والرضا عن الله» والتسليم لحكمه)؛ أي: من شعر بهذا وأن الخير والشر
والنفع والضر من الله لا دخل لأحد فيه؛ فهذا هو التوكل على الله تله
واعتقاد أن كل الأمور بيده لا يشاركه في ذلك أحد؛ ولهذا جاء في الحديث:

ا ل

إن مِنّ ضعف الْيَقِينِ أن تَرْضِيَ اناس بِسَخْطِ اللو وَآَنْ تَحَمَدَهُمْ عَلَى رِزْقٍ الل

)١(انظر: مجموع الفتاوى)16/1(.

وإذا عرفت ذلك فاعلم أن الربوبية منه تعالى» والعيادة والتأله من *
عباده له سبحانه. كما أن الرحمة هي الوسيلة”'" بينهم وبينه سيحانه.

١ من ضعف البقين؛ فالمخلوق إذا وَأنْ نَدْتَهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُزتكَ الله فهذا
أعطاك شيئًا فهو من الله عونا يكُم بن نِمَو فين أنه [النحل: *8] فيجب
أن تعتقد هذاء وأن جميع الأمور كلها من الله؛ وما شاء كان وما لم يشا لم
يكن» وإذا فاتك شيء فإنك لا تلوم الناس» واعلم أن الله لم يقدره لك فلا
تلم فلانًا وعلانًا؛ فتقول هو الذي منع عني وحسدني» فليس فلان منع شيئًا ؛
لأنه لا يقدر أن يمع شيا قد قدره اق نا بنج أله تاس بن نَمَو قلا مُنيكَ
لها وما يتيك فلا ميل لَه من بعدِود فر التيرٌ للك ©©» [خاطر: "ا إن
ارت لَه اين عل كو يتك خيه أذ الت ينمه كل + شرك مُمْسِكَتُ
تمَيَودٌ» [الزمر: 178 وفي الحديث: «الهُم لا مَائِمَ لِمَا أَعْطَنْتَ نط لِمَا

ردي

مَتَعْتَ وَلَا يَنْقَعُ ذا الْجَدٌ بك الْجَذً!"؛ هذا هو التوحيد.

من ضعف اليقين بالله أن تحمد الخلق بما أعطاك الله وأن تذمهم فيما
لم يعطك الله» فهذا من ضعف اليقين بالل فين .

قوله: (وإذا عرفت ذلك فاعلم أن الربوبية منه تعالى» والعبادة والتأله من
عباده له سبحانه)» هذا معنى قول العلماء: توحيد الربوبية توحيد الله بأفعاله
سبحانه؛ كالخلق والرزق والإحياء والإماتة وتدبير الخلق» وتوحيد الألوهية:
هو توحيد الله بأفعال العباد التي يتقربون بها إليه من الدعاء» والاستغاثة؛
والخوف» والرجاءء والصلاة» والزكاة» وغير ذلك من الأعمال.

قوله: (كما أن الرحمة هي الوسيلة بينهم وبينه سبحانه)» الرحمة من الله
صفة من صفاته 8# فمن صفاته الرحمة وأثبتها لنفسه؛ والرحمة أنواع :

١(في بعض النسخ: الوصلة(.
٠١5(. /5) وحلية الأولياء)٦١٧(« شعب الإيمان ()
(©) أخرجه البخاري (844).

أ ايا ا ال اا لما ليد يا ايا ا لو د ا أ لا ادا أو أي أي لجا لا ليا أي لا ا يا أي ا لي
ليد ليا أي ا أي لجا أي يد لي ا أي لما لما كي سا كيد ا ا أي لمحا ألا أي كا ا كا
اد لما اسك ا اما ايد أ ل يا ل لي ا ا ا ا ا ا ا ا

الأول: نوع عام لجميع المخلوقات الآدميين والبهائم وجميع
المخلوقات» حتى الكفار تتالهم هذه الرحمة العامة.

<(الثاني : رحمة خاصة بالمؤمنين» قال تعالى : شر كَانَبِالْنوْْنِينَ نَحِمَا
[الأحزاب: 7:].

وهناك أنواع كثيرة للرحمة تصل إلى ماثة رحمة؛ منها رحمة يتراحم بها
العياد بعضهم مع بعض؛ حتى إن الدابة ترفع حافرها عن ولدها رحمة بدا؟.
فهذا من رحمة الله 8#؛ فالبهيمة تحنو على ولدها وتدافع عنه» وتغذيه»
رحمة
من رحمة الله فَيقء جعلها الله في هذه البهاتم؛ أو هذه الطيورء أو هذه
المخلوقات.

© © .

)١٠(انظر: صحيح البخاري)6005(.

واعلم أن أنفس الأعمال وأجلّها قدرًا: توحيد الله تعالى» غير أن #
التوحيد له قشران:

قوله: (واعلم أن أنفس الأعمال وأجلّها قدرًا: توحيد الله تعالى)؛
فالتوحيد هو أول الواجباتء وهو أعظم الأعمال» وهو الأساس الذي تُبنى
عليه بقية الأعمال؛ فأعظم ما أمر الله به التوحيدء وأعظم ما نهى عنه
الشرك؛
فالتوحيد هو أعظم الواجبات» وأول الواجبات» وأول ما يُطلب من الإنسان.
فأول ما يُطلب من الإنسان شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله
فإذا نطق بهما فإنه مطالب ببقية الأعمال» من صلاة وزكاة وغيرهاء ومن لم
ينطق بالشهادتين فإنه لا يُطالب؛ حتى لو صلى وصام وتصدق فإنه لا يُقبل منه
ذلك ولا يشعه ذلك؛ حتى ينطق بكلمة التوحيد.

قوله: (غير أن التوحيد له قشران»). ذكر المؤلف هنا أن التوحيد على
ثلاث درجات :

الدرجة الأولى: الدرجة العامة وهو النطق بلا إله إلا الله؛ فإذا نطق
بها العبد صار موحدًاء ودخل في الإسلام» ثم إن حققها بالأعمال الصالحة
صار موحدًا ظاهرًا وباطناء فإذا قالها معتقدًا لها بقلبه وصدّقها بالأعمال
والطاعات» فهو موحد ظاهرًا وباطناء وإن قالها بلسانه ولم يعتقدها بقلبه فهو
.
منافق» فالمنافقون يقولون: لا إله إلا الله ويتظاهرون بالإسلام» فهم
مسلمون
في الظاهرء ولكنهم كفار في الباطن؛ لأنهم لا يعتقدون معناها» ولا يعملون
بمقتضاهاء وإنما يقولونها من أجل أن يستتروا بهاء ومن أجل أن تسلم
دماؤهم وأموالهم؛ ولهذا قال كلةٍ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلٌ اتَاسنَ حَتَّى يَشْهَدُوا أن لا
لَه إلا الل وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله وَيْقِمُوا الصَّلَاةَ وَيُوْنُوا الزّكَاةً» فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ
عَصَمُوا نيِ مَاءَهُمْ وَأَمُوَالَهُمْ ال بِحَقٌ الِسْلَامٍ وَحِسَابْهُمْ عَلَى اللو" إن كانوا

)١(أخرجه البخاري (6؟)).

الأول: أن تقول بلسانك: لا إله إلا اللاء ويُستى هذا القول *
توحيدًاء وهو منائض التثليث الذي يعتقده النصارى» وهذا التوحيد يصدر
أيضًا من المنافق الذي يخالف سرّه جهره.

صادقين معتقدين لها في قلوبهم؛ فهم موحدون ظاهرًا وباطنّا» وإن كانوا
يقولونها بألسنتهم ولا يعتقدونها بقلوبهم؛ فهم منافقون؛ موحدون ظاهرًا دون
الباطن» ونحن ليس لنا إلا الظاهر» نحن لا نحكم إلا على الظاهرء ولا
نحكم على ما في القلوب؛ لأنه لا يعلمه إلا الله ع .

قوله: (قشران), تثنية قشرء وهو ما يكون على الفواكه ونحوها من
الغلاف الظاهر.

قوله: (وهو مناقض التثليث الذي يعتقده التصارى)؛ لأن من النصارى
من لا يقولون: (لا إله إلا الله)» وإنما يقولون: إن الله ثالث ثلاثة. فلا
يقولون: إن الإله واحدء وإنما يقولون: إن الله ثالث ثلاثة. قال تعالى:
لَتَد كَفَرٌ أَلَرِيَ قَالْرَا إك أله ثَلثٌ تَلَتَوَ [المائدة: “7#]ء هم يقولوت»:
«الإله ثلاثة: الله والمسيح وروح القدس. فهذا اعتقاد التصارى المتحرفين
أما النصارى الذين هم على دين عيسى #8 حقيقة؛ فإنهم يتبرؤون من
هذاء وإئنما حدث ذلك في النصارى من بعد عيسى لقلاء في قروث
متأخرة؛ لما جاء يهودي يُقال له: (بولس)؛ فتظاهر بالنصرانية ومحبة
المسيح بزعمه ليفسد دين المسيح» فأدخل عليهم التثليث» هذه العقيدة
الباطلة؛ كما أدخل عليهم تغييرات في دينهم» فما عليه غالب التنصارى
اليوم هو هذا الدين الباطل؛ الذي ليس هو دين المسيح #8 ولذلك لا
يجوز أن يُقال: المسيحيون؛ بل يُقال: النصارى» كما هو في القرآن.
ومنهم من هو محق ومنهم من هو مُبطل» ف(لا إله إلا الله) تبطل عقيدة
النصارى؛ لأنهم يقولون: الآلهة ثلاثة». فهذه الكلمة تبطل أن يكون هناك
إله غير الله ل.

أ
ب
اا

*
ـآلمي

7

والقشر الثاني : أن لا يكون في القلب مخالفة ولا إنكار لمفهوم *#
هذا القول؛ بل يشتمل القلب على اعتقاد ذلك والتصديق به وهذا هو
توحيد عامة الناس.

ولباب التوحيد: أن يرى الأمور كلها لله تعالى» ثم يقطع *
الالتفات عن الوسائط» وأن يعبده سبحانه عبادة يُفرد بها» ولا يُعيد غيره.

قوله: (والقشر الثاني: آن لا يكون في القلب مخالقة ولا إنكار لمقهوم
هذا القول؛ بل يشتمل القلب على اعتقاد ذلك والتصديق به» وهذا هو توحيد
عامة النّاس) هذا فيه نظر؛ لآن عامة المسلمين ليس توحيدهم قشرّاء وإنما
«توحيدهم توحيد صحيح» ولكنه توحيد مجمل» وهم مسلمون حقيقة؛ مؤمنون
ولكن لكونهم عوامًا ولم يتعلموا يكون توحيدهم مجملًا.

والثالث: توحيد أهل العلم وأهل البصيرة فهو توحيد مفصّل؛ فالتوحيد

درجات:

. الأولى : توحيد المنافقين» وهو باللسان فقط

الثانية: توحيد عوام الناس» وهذا باللسان والقلبء ولكنه مجمل.

الثالثة : ترحيد مفصل؛ وهذا توحيد الخواص من أهل العلم.

قوله: (وثُبّاب التوحيد) هذا القسم الثالث مقابل القشر؛ فاللباب مقابل القشرء وهذا التقسيم فيه نظرء وبعض المعلقين يقول: هذا الكلام وهذا التقسيم نقله المؤلف من (إحياء علوم الدين» للغزالي”"'» والغزالي عنده وعنده.

قوله: (وثْبَابٍ التوحيد)» هو توحيد العلماء وأهل العلم والبصيرة؛ وهو التوحيد المفَصل .

قوله: (ثم يقطع الالتفات عن الوسائط)؛ أي: الوسائط الباطلة.

قوله : (وأن يعبده سبحانه عبادة يُغرد بها » ولا يُعبد غيره)» هذا توحيد الألوهية
أن يعبدوه عبادة يفرد الله بها» ولا يعبد معه غيره» هذا هو التوحيد الحقيقي .

١(ذ)/ 7

ويخرجٌ عن هذا التوحيد: اتياع الهوى» فكل من اتّبع هواه فقد #
:اتخذ هواه معبوده» قال الله تعالى : «أفرتَ مَن أتَحَذَ إِلَهَتُ مَرٌك» [الجاثية
؟]. وإذا تأملت عرفت أن عابد الصنم لم يعبده؛ إنما عبد هواه.؛ وهو
«ميل نفسه إلى دين آبائه؛ فيتبع ذلك الميل

قوله: (فكل من اتبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده) فكل من اتبع هواه
فيما يخالف أمر الله 8# فقد عبد هواه» قال تعالى : «أنَيتَ من أكَتَدَ إِلَنَهَمٌ
مَويدهٌ أفتَ تكن عَكِهِ يكيلا 4 [الفرقان: *4]» وقال: «أفيتَ مَنِ ألَحَدَ
هم مَوَدُ وَأسَلُ د عَق ول زَكَتمَ على تتيوء وَكلِ وَجَمَلَ عَ بَصَرِيِ حِتَنوَةٌ فَمن يَبَدِيه
نْ بَتْدِ أنه أفَلَ تَدَكَرِيَ (©)» [الجائية: 97] وفي الحديث الذي ذكره النووي
في الأربعين: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدْكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاءُ تَبَعًا لِمَا جِئْتٌ بِهه"'"؛ فالني
يأخذ من الشرع ما يوافق هواه ورغبته» ويترك ما يخالف هواه ورغبته؛ قد
اتخذ إلهه هواه والعياذ بالله» وهذا يحدث خصوصًا في هذا الزمانء فهم
يأخذون ما يوافق أهواءهم ويرضيهم» وما يخالف أهواءهم ورغباتهم ينقضوزه

. ويتركونه

قوله: (وإذا تأملت عرفت أن عابد الصنم لم يعبده إنما عبد هواه؛ وهو
ميل نفسه إلى دين آبائه)؛ فعباد الأصنام يعلمون أنها لا تخلق ولا ترزق ولا
تحيي ولا تميت ولا تدبر من الأمر شيقًاء وإنما يقولون: هذه وسائط بيننا
وبين الله لقضاء حوائجناء وإلا فنحن نعلم أنهم لا يخلقون ولا يرزقون ولا
يدبرون. وهذه الأصنام لا يعبدونها لذاتهاء وإنما يعبدونها على أنها ترمز لمن
يعبدونهم من الملائكة» أو من الأنبياء أو من الرسلء فيجعلون أصنامًا تمثل
هذه المعبودات وترمز إليهاء كما فعل قوم نوح» فصوروا صورًا ترمز إلى
الصالحين وعبدوهم من دون الله هي بحجة أنهم يشفعون لهم عند الله

(1) (19) السُنّةَ لابن أبي عاصم.

.وميل النفس إلى المألوفات أحد المعاني التي يُعبّر عنها باتباع بالهوى

والدافع إلى هذا هو الهوى» الدافع لأن يعبد الصنم هو هواه» اتبع هواه؛
يقال له: لا تعبد إلا الله. ولكن هواه لا يطيع ويريد أن يعبد مع الله غيره؛
فيتيع هواه»؛ والمشركون اتبعوا أهواءهم» «إقإن زَ تحبا لك فَعكم أنما
٠ فكل المشركين اتبعوا أهواءهمء ما اتبعوا8[« :القصص] شعت ا
كتابًا أو سنة أو دليلًا» وإنما يتبعون ما تهواء أنفسهم؛ لان ييحن إلا القن مَنَا
تَهْرَى ٱلْأَنَسُ [النجم: 17 فكل المشركين يتبعون أهواءهم؟ لأنهم ليس لهم
دليل ولا برهان على ما عبدوا من دون اللهء ومن يَدْمٌ مم آنه إكنها ءاخر لا
البراهين والأدلة على التوحيدء وأما الشرك١١٧[« :المؤمنون] يَمَنَ ل يددج
قليس عليه برهان» ولا دليل؛ بل هو اتباع للهوى وتقليد للآباء والأجداد
فقطء فليس لديهم أي دليل؛ بل إنهم يعتمدون على حكايات؛ أو يعتمدون
«على منامات ومرائي» أو يعتمدون على تزّهات ما أنزل الله بها من سلطان
وفي النهاية يقولون: هذا ما عليه آباؤنا» إذا أغرقوا في طلب الدليل والبرهان
هذا4٠ :ولا يجدون شيئًا؛ يقولون: «حسبنا نا وَجَنَ عَك ابد » [المائدة
.!آخر ما يقولون» فهل هذه حجج؟

فالذين يعبدون غير الله إما أن يعتمدوا على كذب وحكايات مكذوبة
ملفقة» وإما أن يعتمدوا على مرائي» رؤي فلان وعلان في المنام وأنه فعل
كذا وكذاء مراثئي شيطانية؛ وإما أنهم يعتمدون على أحاديث مكذوبة؛
ويحتجون بهاء ويرفضون الأحاديث الصحيحة في البخاري ومسلم وعند
الأكمة يرفضونهاء ويبحثون عن الأحاديث المكذوبة ويحتجون بهاء ولذلك
- تجد كتبهم مشحونة بمثل هذا وفي النهاية وفي آخر المطاف - كما يقولون
. يقولون: هذا ما وجدنا عليه آباءنا

قوله: (وميل النفس إلى المألوفات أحد المعانى التي يعبر عنها
«بالهوى)؛ فكل من يحتج بالمألوفات وما وجد عليه آباءه فهو احتجاج بالهوى
وكل المشركين اتبعوا أهواءهم؛ لأنهم لم يعتمدوا على دليل ولا برهان؛ لا
.عقلي ولا سمعي ولا شرعي

ويُخرج عن هذا التوحيد: السخط عن الخلق. والالتفات إليهم؛ #
فإن من يرى الكل من الله كيف يسخط على غيره أو يأمل سواه؟ وهذا
التوحيد مقام الصديقين. ولا ريب أن توحيد الربوبية لم ينكره
المشركون ؛ ممعم ممم ممم ممم ممم ممم ممم مم معفم مم ممم مم
ممم ممم ممم قم مقف

قوله: (فإن من يرى الكل من الله كيف يسخط على غيره أو يأمل سواه)ء
هذا كما سبق أنك لا تسخط على الخلق بما لم يعطك الله ولا تمدحهم
في ما أعطاك الله» هذا هو التوحيد.

«قوله: (وهذا التوحيد مقام الصديقين) توحيد الخاصة كما يقول الشيخ
وهو توحيد تفصيلي؛ لأن العلماء يدركون ما لا يدركه العوام.

قوله: (ولا ريب أن توحيد الربوبية لم ينكره المشركون)» عرفنا أن
التوحيد قسمان:

توحيد الربوبية» وهذا فطري في النفوس لم ينكره أحد؛ لأنه فطري حتى
المشركين الذين بعث إليهم رسول الله كللةِ يعترفون بتوحيد الربوبية؛
ويقولوت:
هذه الأصتام التي نعبدها شفعاء لنا عند الله» لا أنها تعطينا من دون الله أو

اج

ررس

م دارج ؟ للم ار المرقعضك امس درت سمم يم يم ارا صر !ا"
لاير أل محكسي مارح ار ل ا ما م ددر ال راصام هر كم احير 7
تكن ترج لحن بن أمَيَتِ مرح ألمَيْتَ بت الى ومن بير الأس فَسيَفلوتَ الك
ء يعترفون بهذاء فلماذا ا تعبدون الله وحده؟؛ هذا تناقضء[يونس : ف]

«© تكن لتر من لق التكوب تلأس لِترلْنٌ عَلتَهْنَ انير التي

وكين سَآلنهُم من خَلقَهُمْ يِل لد [الزخرف: امآ يعترفون «[الزخرف: 4)]
بهذا ولكنهم أبوا أن يفردوا الله بالعبادة؛ بل عبدوا معه غيره؛ وهذا محط

. الخلاف بينهم وبين الأنبياء

فتوحيد الربوبية لم يخالفوا فيه» ولكنه لا يكفي ولا يُدخل في الإسلام حتى يُضاف إليه توحيد الألوهية؛ والخصام بين الرسل وبين الأمم ليس في توحيد الربوبية؛ فالمشركون يعترفون به؛ وإنما الخصام هو في توحيد

مو تجرد التوحيد اليد مزح

الالال الات ل ل لات لاا ل لات لاا ل لا ل ا ا ا اا ا اه سا اا ل ا ا ا ا ل ا ل أ ا ا

الألوهيةء الرسل يطلبون منهم أن يفردوا الله بالعبادة ويتركوا عبادة ما سواه
:وهم يأبون ذلك» قد يقول قائل: إن فرعون أنكر توحيد الربوبية» قال
ايها 0 ما عَلِنْتُ كم ين إنهٍ غَيبيبف» [القصص: 78”] وقال: «أنا
ثم الْحبْلَ ©©)4 [النازعات: 74]. والجواب عن ذلك أن فرعون يتظاهر
بإنكاره» وإلا فهو مقر به في الباطنء مقر به ومعترف به في الباطن؛ لأن
العقول والفطر تهدي إليه» فهو إنما تظاهر بذلك من أجل بقاء ملكه أو أبهته
أو مطامعه؛ ولهذا قال له موسى ©:: «لَدَ عت نآ أَيَلّ مزل إلا رت
٠١ فهو1 :اموت وَالْأضِ بَسَِرَ ذَإِقٍ لَتَطْنْكَ بِتْتَنْتُ تَنْجَا ل©)» [الإسراء
:تظاهر بإنكار الربوبيةًّ ولكنه في الباطن معترف بها؛ ولهذا يقول ل
:ليَكَحَدُا با وَاسْتتنتها نف طلا زَعُن»>» [الدمل: 114] هذا الذي حملهم
وهو الظلم والعلوء ويقول ل: إن تم إن ليَحَركَ الى بَترانٌ زم لا
زاك وَتَينَ أطَيِيَ بيت لَه يَجْحَدُودَ 4 [الأنعام: 0 يعتقدون في
قلوبهم أنه رسول الله ولكنهم ينكرون هذا في الظاهرء يجحدونه لأغراض
لهم: حمية على دينهم ودين آبائهم» ظنّهُمْ كاتا إذَا قِيلَ كم لآ إل إلا أنه
يَتَكَبُيدَ © تَيَشْفُنَ أن تارق ءاهنا لِتَاٍ نَجْنْ ©4 [الصافات: مي +*]
وهذا واضح في القرآن تمام الوضوح» أن توحيد الربوبية لم ينكره أحد؛ بل
أقر به المشركون» كما ذكر الله عنهم في القرآن» وإنما الإنكار والخصومة
في
توحيد الألوهية؛ فالرسل تطلب منهم أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئًّا؛ء وهم
يقولون: نعبد الله ونعبد معه غيره» ولا نترك آلهتناء ويتواصون بهذاء يوقا لا
كه تلحر كلا تا و تلا سه َل بت تَبَعْ نكا © نه آنا كما لا زد
آلّيِلِينَ إل صَكَلا © انوح: 7 14]» لا تطيعوا نوحًا #2 في عبادة الله
وحده وتتركوا آلهتكم» فالخصومة بين الرسل وبين أممهم في توحيد الألوهية؛
وتوحيد الألوهية هو الذي خلق الله الخلق من أجله؛ ولهذا قال 88: «ِرَمَا
. عَلَتَتٌ لَفْنَ وَالإض إل لِبُدُد ©)» [الذاريات: 571] هذا توحيد الألوهية

بل أقرّوا بأته سبحاته وحده خالقهم؛ وخالق السموات والأرض» والقائم
بمصالح العالم كله؛ وإنما أنكروا توحيد الالهيَّة والمحبّة؛ كما قد
حكى الله تعالى عنهم في قوله: رين آلنَاسٍ من يَتَخِدٌ من دُّنٍ لَه أندَامًا

مهم كب لتر كَآلِينَ تَامَمًا أَكَدٌّ حَا تَوْي» لالبقرة: محدل 0
ومع هذا فإن عقائد المتكلمين والمناطقة الآن منصبة على توحيد

الربوبية» والرد على الزنادقة والملاحدة» وتوحيد الربوبية لم ينكره أحدء ولا
يكفي ؛ فعقائدهم مبنية على هذاء ومن يقرأ في كتبهم وعقائدهم تجدهم
يركزون على توحيد الربوبية والرد على الملاحدة. وهذا لا يكفي» حتى لو
حققه ما كفى ولا أدخله في الإسلام» حتى يأتي بتوحيد الألوهية» وهذه
العقائد لا تخرج عن دين المشركين» فالمشركون يقرّون بتوحيد الربوبية؛
فاتعبوا انقسهم فيما لا طائل تحته

«قال: (بل أقرّوا بأنه سبحانه وحده خالقهم؛ وخالق السموات والأرض
والقائم بمصالح العالم كله)» هذا مذكور في القرآن في سورة (يونس)
وغيرها
. من السور» أن المشركين يقرون بتوحيد الربوبية

«قوله: (وإنما أنكروا توحيد الالهيّة)؛ فقد عاندوا وأصروا على آلهتهم
وشركهم» ولذلك حلت دماؤهم وأموالهم؛ ووجب ور

قوله تعالى: «أوينك آنا من يَتَخِدٌ ين يون قم أندَادًا نيمهم كب الله
الموحدون أحبوا الله وحده فقط» ولم يحبوا معه غيره محبة «[البقرة: 130]
عبادة
: وذل وخضوع» والمشركون يحبون الله ويحبون معه غيره» ولذلك قال
إوَآلِنَ ءَامَثا د حُبَا لتر ؛ أي: المؤمنون أشد حبيًا لله من حب المشركين لله ؛
لأن المشركين يحبون الله ويحبون معه غيره» فلم يخلصوا له في المحبة؛ أما
أهل

التوحيد والمسلمون فقد أفردوا الله بالمحبةء التي هي محبة العبادة» «ؤمن
يَتَخِدٌ من

دون أل أثداذا متهم كب الد»؛ فالمشركون يحبون مع الله أصنامهم؛ لأنهم

. ما عبدوها إلا لأنهم يحبونها محبة العبادة ويقاتلون دونها أيضًا؛ فهم يحبونها

:فلما سووا غيره به في هذا التوحيد كانوا مشركين» كما قال تعالى
اند بل الى عَلَقَ أَلسَمَوتٍ تالس يَبَلَ اقلت تَالِرٌ كُرَ الَزِينَ كَمَرا
: م يتل)0 [الأتعام: ١]؟ أي : يسوون به غيره. وقال الله تعالى
١٠1[. :الأنعام] «رهم رَتِهدْ يَتَدِلُوت (68

قوله: (فلما سووا غيره به فى هذا التوحيد كانوا مشركين)؛ أي : لما «سووا غير الله بالله في هذا التوحيد توحيد المحبة والعبادة» صاروا مشركين ولم يكونوا مشركين في توحيد الربوبية» هم مقرون بتوحيد الربوبية» وإنما شركهم في توحيد الألوهية.

قوله تعالى: «ِلَنَدُ لَه آلَى عَلَقَ النَمَوتٍ وَالأَيسَ يَجَمَلَ آهّْلنتٍ الور ثُرَّ الَنِنَ كَفَرا بَيَخَ بُعيفْت © [الأنعام: ١]؛ فالله # هو الذي خلق السموات الأرض وجعل الظلمات والنورء هذا توحيد الربوبية وهم يعترفون بهذاء ولكنهم يعدلون بالله غيره في الألوهية» ويعبدون معه غيره.

قوله تعالى: «رَهُم رَيَهمُ يَتَدِلوْتَ |0 [الأنعام: 198]ء يعدلون الله بغيره؛ بمعنى أنهم يسوون بين الله وبين غيره في العبادة؛ ولذلك يذبحون لمعبوداتهم وينذرون لهاء ويركعون ويسجدون لهاء ويتقربون إليها بأنواع العبادة» سواء كانت هذه المعبودات أصنامًا أو كانت أشجارّاء أو أحجارّاء أو أضرحة» أو قبورّاء فكلها سواء.

ج © ©

وقد علّم الله 8# عباده كيفية مُباينة الشّرك في توحيد الالهيَّة؛ #
وأنه حقيق تعالى بإقراده ولا وحكمًا وربّاء فقال تعالى : تل 6 شر د
: وقال116 : وقال: «أتَيْرٌ أنه أبَتن حَكَنَا» [الأنعام114 :لِك [الأنعام

يأر أنه أ رن [الأنعام: 1138 فلا ولي ولا حكم ولا ربتٍ إلا الله
الذى من عدل به غيره نش > 9ش 9ش > يي

قوله: (كيفية مباينة الشّرك في توحيد الالهيّة)» مباينة؛ يعني : مخالفة؛
وأن توحيد الألوهية مخالف للشرك.؛ ومباين له لا يجتمعان أبدّاء لا يجتمع
توحيد ألوهية وشرك» الربوبية نعم قد يحصل فيها نوع ممن الجمع بين لوحيد
١٠١1 :الربوي وااتشرك» ون يكين أسخترهم بأل إلا تَكُم تُدَرَكرة)> [يوسف
.أما توحيد الألوهية فلا يجتمعان» ضدان لا يجتمعان: التوحيد والشرك

: قوله: (وأنه تعالى حقيق بإفراده وليًّا وحكمًا وريًّا). (حقيق)؛ يعني
مستحق بإفراده إلهّا ورب وحكمّاء إلهّا: يعني : معبودّاء وربًّا: يعني : خالقًا
. ورازكّاء وحكمًا: يحكم بين عباده فيما اختلفوا فيه بشرعه وأمره لك

. قوله تعالى : مَل أَفَيرٌ نم أَنَيدٌ ريك [الأنعام: 14]» هذا توحيد الألوهية

هذا في الحكم114[:الأنعام] «قوله تعالى: «أفَشَيْرٌ آنه أبتنى حَكَمَا
في الاختلاف وحل النازعات» إنما يكون بالشرع لا بالقانون ولا بالعادات
.القبلية

. قوله تعالى : «تَلْ ير أله أَيْنى رَبَاي» [الأنعام: 1164]» هذا توحيد الربوبية

قوله: (الذي من عدل به غيره)؛ يعني : سوّى به غيره» قال تعالى: «ثُرَ
:١ ويقول أهل النار يوم القيامة1 :لّذِينَ كَمَرُا َم تدلوت (©46 [الأنعام
< هه]ء يقولون لمن عبدوهم معهم في النار: تله إن كُنَا تنى صَكلٍ ثُيِينٍ
يعني : في الدنياء إإذ شُربِكمْ ربَتَ ٱلتَلَمِينَ (©)» هذا هو العدل؛ يعني :
التسوية
.بين الخالق والمخلوق

-*#[شرح تجريد التوحيد المفيد #الحق
فقد أشرك في ألوهيّته ولو وحّد ربوبيّته؛ فتوحيد الربوبيّة هو الذي اجتمعت فيه الخلائق مؤمنها وكافرها. وتوحيد الالهيّة مفرق الطرق بين المؤمنين والمشركين» ولهذا كانت كلمة الإسلام: لا إله إلا الله سس

قوله: (فقد أشرك في ألوهيّته ولو وحّد ربوبيّته). فتوحيد الربوبية لا يكفي. وإلا يكون كفار قريش موحدين لو كان يكفي» ولكن الرسول كَِةٍ طالبهم بتوحيد الألوهية» واحتج عليهم بتوحيد الربوبية.

قوله: (فتوحيد الربوبيّة هو الذي اجتمعت فيه الخلائق مؤمتها وكافرها) لم ينكره أحدء الكفار والمشركون كلهم يعترفون به .

قوله: (وتوحيد الالهيَّة مفرق الطرق بين المؤمنين والمشركين)؛ هذا هو الذي حصل فيه الاختلاف والافتراق» وهو توحيد الألوهية» فالرسل يأمرون بتوحيد الألوهية: «تَحْبّدُوا أن وك تُتَرِمًا بو شَيَئًا» [النساء: +7]» والمشركون يقولون: لا؛ لا نترك آلهتنا؛ ولهذا أبوا أن يقولوا: لا إله إلا الله؛ لأن معناها إبطال آلهتهم» فهم لا يريدون تركهاء فأبوا أن يقولوهاء ولكن القبوريين اليوم يقولون: لا إله إلا الله» ويعبدون غير الله؛ لأنهم لا يميزون هذا من هذاء فصار المشركون الأولون أعرف منهم؛ وأحذق منهم؛ ولذلك امتنعوا من قول لا إله إلا الله؛ لأن معناها أن يتركوا معبوداتهم؛ أما هؤلاء فهم يقولونها ويعبدون غير الله!ء يعبدون الموتى والأضرحة والقبورء فهم لا يفهمون؛ ولهذا يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب كِتْنْهُ: «فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى: لا إله إلا الله».

قوله: (ولهذا كانت كلمة الإسلام: لا إله إلا الله)ء هي الكلمة التي من قالها دخل في الإسلام؛ لأنه التزم بترك عبادة غير الله» وبإفراد الله بالعبادة؛ هذا مضمون هذه الكلمة؛ ولذلك تسمى (لا إله إلا الله) كلمة التوحيدء والعروة الوثقى» وكلمة التقوى» قال تعالى: «مَرَمَهُمُ كَيَةٌ الَف ثَياما

ع سرع

تن با وَأَمْلَمَأَ» [الفتح: 6]» ولا إله إلا الله مفتاح الجنةء ومفتاح دار

ولو قال: لا ربٍ إلا الله» لما أجزاه عند المحققين. فتوحيد الألوهيّة هو المطلوب من العياد ولهذا كان أصله: الال كما هو قول سيبويه» وهو الصحيح» وهو قول جمهور أصحابه إلا من شد منهم.

1
-

١ ا :السام ولا إله إلا الله من قالها عند موته دخل الجنةء قال كةٍ وْنَاكُمْ ا إِلهَ إلا افتك”'". وقال أيضًا: «مَنْ كَانَ آخِرٌ كَلَمِهِ لا إلة إلا الله دَخَلَ

الْجَنفَ!'.

قوله: (ولو قال: لا رب إلا الله. لما أجزاه عند المحققين)» لو قال قائل: لن أقول: .لا له إلا الله ولكني أقول: لا رب إلا الله؛ فيكفي هذا؛ نقول: ما خرجت عن دين المشركين؛ فالمشركون يقولون: لا رب إلا الله؛ لأن معنى (لا إله إلا الله) لا معبود بحق إلا الله وليس معناها: لا رب إلا الله.

قوله: (فتوحيد الألوهيّة هو المطلوب من العياد)؛ أما توحيد الربوبية فهو موجود في الفطر والعقول ولم ينكروه؛ لكنه لا يكفي للدخول في الإسلام.

قوله: (ولهذا كان أصله: الاله). والإله معناه المعبود» المحبوب؛ فالله هو الإله؛ وهو مشتق من آله يأله إلاهة وألوهةء فهو مشتق من الوله؛ بينما فريق من أهل اللغة يقول: إنه اسم جامدء ولكن الصحيح أنه مشتق من الألوهية» وهي المحبة والعبادة.

قوله : (كما هو قول سيبويه)» وهو إمام اللغة والنحو.

قوله: (وهو قول جمهور أصحابه)؛ أي: أصحاب سيبويه .

© ©

)١(أخرجه مسلم (417). () أخرجه أبو داود)118(.

وبهذا الاعتبار الذي قرّرنا به الاله وأنه المحبوب؛ لاجتماع *#
صفات الكمال فيه؛ كان الله: هو الاسم الجامع لجميع المعاني للأسماء
الحسنى والصفات العلياء. وهو الذي ينكره المشركون.

لفظ الجلالة (الله) لا يُسمَى به غير الله ثة وهو يتضمن كل أسماء الله
وصفاته» فهو الله ل بأسمائه وصفاته كلها» ولهذا في آخر سورة (الحشر):
حر فد الى لآ له إلا هُوّ عَلرُ لقي وَالنَّهَدَةِ مر لعن الرمِمُ © مر
لَه اليف لآ لَه إلا هر آلبَيتُ التدرش اكلم الْنْؤْينُ الْهَبِينُ السَزيُّ آلْجَادُ
الْنتكَيٌ مُبَحَتَ آله عَنَا بشَكْدَ © حر أنه الْجَيق الباريُّ التْصَرَدٌ لَه الْآَتَه
الْحَيٌ شح ل ما فى النَمَوتٍ رَآلْأس وَكْرٌ الْبَيرٌ اْمَكِرٌ © [الحشر: 7
؛ والله مشتق من الألوهية؛ وهي المحبة؛ فالله هو المألوه المحبوب الذي
تألهه القلوب محبة وإجلالًا. كما قرر ذلك أهل العلم؛ فالألوهية
والتأله لله يي؛ والتأله يكون من المخلوق»؛ الذي يتأله الله؛ أي: يعبده

ويحبه» وهذا هو توحيد الألوهية .

قوله: (وهو الذي يتكره المشركون)؛ فالذي ينكره المشركون هو توحيد
الألوهية كما سيأتي» وأما توحيد الربوبية فإنهم يعترفون به ولكنه لا يكفيء
ولا يكون به العبد مسلمًا حتى يأتي بتوحيد الألوهية» وذلك بأن يفرد الله أ
بالعبادة دون ما سواه؛ فالمشركون ما أنكروا توحيد الربوبية؛ بل أقروا به كما
ذكر الله ذلك عنهم في آيات كثيرة؛ وأنهم لو سُئلوا من الذي خلقهم» ومن
الذي يرزقهم» ومن الذي له ملك السموات والأرض؟ سيقولون: الله يعترفون
بهذاء ولكنهم أنكروا توحيد الألوهية؛ أي: أن تحصر العبادة في اللهء فهم
يريدون أن يعبدوا ما شاءوا من الأصنام والأحجار والأشجار والأموات
والمخلوقين» فهم إنما أنكروا توحيد الألوهية؛ ولهذا بعث الله الرسل كلهم
يدعون إلى توحيد الألوهية» قال تعالى: «مَمَآ أرسَلسَا ين تبلل من نَسُولٍ إلا
شي إِليه أن لآ إلَدَ إل" آنا تَعْبدُونِ © [الأنبياء: 76] فكل نبي يقول لقومه:

لاك ل ل لا ل ل ا ل أ أي ا أي كا أ أي ا لما لان ري ا اموا وا لج رج اا اجا أ
وساي أ لد سا لجا ارد لا ا ا ا ا ا ا ا ا ا ا ا ا ا ا

ررح

يَتَوي أَعبُدُوا أله ما لك من إِلمٍ غَيْرَم» [الأعراف: 54]ء لم يقولوا لهم:»»
أقروا
بأن الله هو الخالق» الرازق» المحيي» المميتء المدبرء لم يقولوا لهم هذا؛
بل قالوا: اعبدوا اللهء فهم جاءوا بالدعوة إلى إفراد الله أن بالعبادةء وهم لا
يريدون ذلك» لا يريدون أن تكون العبادة محصورة في الله؛ بل يعبدون الله
ويعبدون معه غيره؛ ولهذا ذكر الله عنهم: «إِنَهُم انا إذَا قل ثَكُمْ لآ إِلَدَ إلا آمَهُ
تَعَكَبْدَ © تَيَقْيُنَ أَا كارا لين لِكَلم عن © [الصانات: د د
فهم لا يريدون أن تكون العبادة محصورة في الله؛ بل تكون مشتركة بينه
وبين
:غيره. وقوم نوح لما قال لهم نوح: اعبدوا الله ولا تشركوا به شيقًاء قالوا
٠[. :ل تكَيُاَ اَلِكَيٌ تلا تتَيُةٌ ين ذل سما ولا يٌتَ تَيْنَ نَكَنا © لنح

فالخلاف بين الرسل وبين أممهم إنما هو في توحيد الألوهية» فهذا هو
الذي أنكروه» وهذا هو الذي لب منهم» فلم يستجيبوا» وهذه حقيقة ظاهرة
في القرآن الكريم» فالتوحيد المطلوب هو توحيد الألوهية؛ وليس هو توحير
الربوبية فقط ؛ لأن هذا موجود في الناسء وإذا كان هذا هو المطلوب فد
حاجة إلى بعثة الرسلء لأنه موجود في الناسء ولا يتكرونة؛ وناك من يركز
قديمًا وحديثًا على توحيد الربوبية؛ ويقيموا الأدلة على توحيد الربوبية؛ كما هو
موجود في عقائد المتكلمين» فهي تركز على توحيد الربوبية وإقامة البراهين
على توحيد الربوبية» وهذا تحصيل حاصل لا طائل تحته. ولم ينكره أحدء
وإنما الكلام في توحيد الألوهية؛ ولذلك علماء أهل السُنَّة والجماعة يركزون
.ويؤلفون في توحيد الألوهية لأنه هو المطلوب

© © ©

ويحتج الرب 38 عليهم بتوحيدهم ربوبيته على توحيد لع **
كما قال الله تعالى: ف لَسدُ يو سكم ع عادر اليه انط © خَيٌ
نا يشمت © من ع الستكن والْأسٌ بَأولٌ لك به أَدَ مَك

ارام رم ام

فأنبتنا يف 1 دان بَهَجكةٍ و م كاب 4 أن تُبْتْماً م 1 م شَجَرَمًا 1 3

آَ ل عرم صخرو سم

بل هم قوم يه 6 [الدمل: 4ه ٠٠؛ وكلما ذكر تعالى من
جملة من الجمل قال عقيبها: نه تم الَه»؟.

فأبان يُلةٍ بذلك أن المشركين إنما كانوا يتوقفون فى إثبات *#
توحيد الألهيّة لا الربوبيّة؛ 0

قوله: (ويحتج الربّ لك عليهم بتوحيدهم ربوبيّته على توحيد
ألوهيّته)» الله 88 يذكر توحيد الربوبية الذي يقرون به؛ ليحتج به عليهم في
إثبات توحيد الألوهية فيقول: ما دام أنه ربكم فلماذا تعبدون غيره» وتؤلهون
غيره؟ فهذا من باب الاحتجاج عليهم» الاحتجاج على ما أنكروه بما أقروا
بهء وهو من باب الإلزام لهمء وفي قوله تعالى: «إإنك رَبك أنه الى خَلَقَ
التَموّتٍ وَالْضٌ ف مِنَّةٍ أَيَارٍ يخ أَسَتَوَئ عَلّ آل الْمَشٍ* [الأعراف: 04]ء وقوله:
ينها الاش أجبدوا رَيكم الى خَلَقَمَ تَالِينَ ين قي لل تَتَمنَ © الى
جَمَلَ 58 الْأتص دناً تلت بن فَأْلٌ ص ب الت م تج بد بن نرت ردكا
؛ (أَنَدَادًا) [١ ؟؟ :البقرة] «(© اا حملا َه أندَادًا فَتُمّ نوت
أي: شركاء تعبدونهم من دون الله؛ أي: شركاء في توحيد الألوهية» وأنتم
تعلمون أنه لا يستحق العبادة إلا من هذه أفعاله» ومخلوقاته» فهذا من باب
الإلزام لهم والاحتجاج عليهم.
وقوله تعالى: قي لَنسدُ بل وَسَكهٌ على يادو الريك أسَطفَح قد خَيرٌ أ
بك © 8 أ عل الصنوت وَالْأيْضَ وَأرَلّ كم يك أل نه تَثْبْتنا ب
- دان بَيكوَ نا كاك ذل ثُيْعًا مَجَرَمًا ينه م الي [التمل: 54 2
يذكر - سبحانه - توحيد الربوبية: في الخلق» والرزق» وإنزال المطرء <:

وإنبات النبات»؛ ثم يقول:َ ه الو ينكر علي أنهم جعلوا مع الله آلهة
أخرى في العبادة فيقول: تمل أت صا نا بِشَرِكونَ © [الندمل : 317]؟ فالأمر

والذين يقولون: إن المطلوب هو توحيد الربوبية هؤلاء ما جاءوا_ بشيءء
هذا شيء موجود مُعترف به كل الخلق» وهو تعب بلا فائدة؛ لأنه موجود
ومتقرر في العقول والفطرء إنما مدار الأخذ والرد هو توحيد الألوهية؛ وهذا
هو الذي شرع الجهاد من أجله؛ أن من جحده وعاند فإنه يُقَاتّل؛ وكانت
الأمم السابقة الماضية الغابرة من استمر على الشرك في توحيد الألوهية
وأبى
أن يستجيب للرسل يأخذهم الله جميعًا» عقوبة لهم كما فعل بقوم نوح©
وقوم
هود» وقوم صالح» وكما فعل بالأمم السابقة» يأخذهم الله جميعًا بعقوبة
واحدة» وينجي المؤمنين الذين استجابوا وأفردوا الله ب بالعبادة» ثم إن الله
أ
بعد ذلك رفع العقوبة العامة المستأصلة وأحل محلها الجهاد في سبيل الله
وقتال المشركين» منذ عهد موسى غلق#. فالجهاد موجود في عهد موسى+
وفي
عهد من جاء بعده مده من أنبياء بني إسرائيل» فقد قالوا لنبي لهم: «أآبَ آنا
نيك تُقيلَ في الوك [البقرة: 146] إلى قوله تعالى: «كَهَرَثكُم بلي

سا ا 2

١. وهو ملك الكفرة78[« :البقرة] للم وَفَسَل داودد اام

.فالجهاد موجود في الأمم السابقة منذ عهد موسي لد إلى يو القيامة
.وهو جهاد على توحيد الألوهية؛ لا على توحيد الربوبية

قوله: (على أن منهم من أشرك ف في الربوبيّة)؛ وهم قليلونء وإنما
أشركوا به في الظاهر دون الباطن» فهم معترفون في قرارة أنفسهم بأن
الله هو
الرب وحده» الخالق» الرازق» المحيى» المميت» يعترفون بهذا في قرارة
أنفسهم» وإن تظاهروا في إنكاره: إما عنادًا وإما تكبرًا وإما طمعًا في الرياسة
.والملك» فإنهم معترفون به في فطرهمء وعقولهم

كما يأتي بعد ذلك إن شاء الله تعالى. وبالجملة فهو يل يحتج على منكري الالهيّة بإثباتهم الربوبيّة.

قوله: (وبالجملة فهو تعالى يحتج على منكري الالهيّة بإثباتهم الربوبّة)؛
يحتج عليهم بإنكارهم توحيد الإلهية بإقرارهم بتوحيد الربوبية» فما دام أنكم تعترفون أنه هو الرب وحده. الخالق»؛ الرازق» المدبرء فلماذا لا تفردونه في العبادة» وتشركون به من لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر شيئًا من أمور الكون.

ج © ©

«الله ## من أسمائه الرب» فهو الذي يربي عباده بنعمه؛ ويغذيهم بنعمه هذا هو الربء ومن أسمائه (الملك)» و«(الملك): هو الذي يأمر وينهىء ويُشرّع لعباده» والأوامر والنواهي ترجع إلى اسمه (الملك).

قوله: (الذي لا يخلق خلقًا بمقتضى ربوبيّته ويتركهم سدى معطلين ..)» فمن مصلحتهم أن يأمرهم بما يتفعهم» وينهاهم عما يضرهمء ولا يتركهم سدى لا يؤمرون ولا ينهون» هذا يتنافى مع حكمته سبحانهة. ومع رحمته بعباده» أنه لا يتركهم دون أن يشرع لهم ما ينفعهم» وينهاهم عما يضرهم» ويجعل لهم جزاء يوم القيامة» يجازي به المؤمنين بالجنة؛ ويعاقب الكفار بالنارء لا يليق به سبحانه أن يُضيع خلقه؛ وأن يسوي بين المؤمن والكافر» وبين المطيع والعاصي» «أم حَيِبَ آلب اما | أَلنَبكَاتٍ أن <© يكيرِب مما رَتَينًا يحب مَره ثَيَثٌ ثَنَثُ كه نَا بتكم
[الجائية: .]71

خلق الله السئموات والأرض بالحق» ما خلق الله السمموات عبثّاء وإنما خلقها بالحق» دالّة على وجوب عبادته 8# وهذا موجود في القرآن أن الله لا يليق بعدله وحكمته أن يسوي بين الكفار والمؤمنين أبدّاء ولا بين الفجار والأبرارء قال تعالى: «رما ع علثنا ألكة ولأ يب ييَبمَا كلا كك عَنُ الِ كَتَا يلُ لِلَلِيَ كنا بن آدَّرِ (© آز 7 أل امنا رصان أصَيحَتٍ التُقْسِينَ فيَ الأض آرْ تجَتَلُ الْتَتِينَ لَلتُبَّارِ ©4 [ص: 77 18 هذا لا يليق بعدل الله وحكمته #8 ففرّق سبحاته بين المؤمن والكافرء والمؤمن والمنافق؛ والمطيع والعاصي» ومن لا يفرق بينهم فليس له عقلء ولا دين» يقولون: الإنسانية كلهم بنو آدم؛ وكلهم سواء!. كلهم سواء في الخلقة؛ أما في الدين فلاء فليس كلهم سواء؛ فمنهم مؤمن ومنهم كافرء «إهوّ أأرى عكر نَع كَارٌ

جما

وم مُؤمن #* [التغابن: "]؛ فالله فرق بينهمء ولا يقال: كلهم من بني آم

لا يؤمرون ولا ينهون» ولا يثابون ولا يعاقبون؛ فإن الملك هو الآمر
الناهى» المعطى المانع؛ الضار النافع » المثيب المعاقب. ولذلك جاءت
الاستعاذة فى سورة الناس وسورة الفلق بالأسماء الحسنى الثلاثة: ا

وكلهم أناس» والإنسانية» وما أشبه ذلك من الأقوال الباطلة التي ينادى بها
اليوم رج بد أن يفرق بين المؤمن والكافن والمطيع والعاصي» والمنافق
. والفاجرء وينزل الناس منازلهم؛ لا بد من الفرقان بين الحق والباطل
يدركونها بالتفصيل» وإنما يدركونها جملة» ولا يدركونها بالتفصيل؛ فكان لا بد
أن الله 8 يأمرهم بما فيه صلاحهم وفلاحهم» وينهاهم عما فيه مضرتهم
. وفسادهي وهذا من رحمتة جِ بهم وحفظه لهمء وعنايته بهم

قوله: (ولا يثابون ولا يماقبون؟ فيقال كلهم سواء عند للها حاشا ركد

ع 27 7 5 © أن اِلب ا أ انا للحت ا ثُ ا ل
يما كنا يعملود سملن 0 [المسجدة: ٧٠٠]؟ فالله فُرَقَ بينهم 0 كما أنهم

. افترقوا و في السل فر ينهم في الجزاء» وهذا عدله ثَلةٍ

قوله: (ولذلك جاءت الاستعاذة في سورة الناس وسورة الفلق بالأسماء
الحسنى الثلاثةِ: الرّبُ» والْمَلِك والالة). في قوله تعالى: «(قل أعودُ بِرّبتَ
١ وقوله: يتل أَعُودٌ يري الاي (© تَزلي الاب 80[« :الفلق] للقي ()4
؛ (رب الناس) معناه الخالق الرازق المحبي[* - ١ :الناس] © كد حاص
المدبرء (ملك الناس) معناه الآمر الناهي المشرّعء (إله الناس) معناه الذي
يستحق العبادة وحده 8# فهذا فيه إثبات أنواع التوحيد الثلاثة في سورة
:ء كما أن سورة (الفاتحة) فيها أنواع التوحيد الثلاثة في أولها(الناس)
© والصَنْدُ ل تب ملك © لمن نير © تبك بير لب
إتَاكَ تَبّدُ وَإِيَلكَ تيت (©» [الفاتحة: 7]. ففيها أنواع التوحيد

«(©) ؛ فإنه لما قال: قل أَعُودُ برت آلتاب(الرَّبٌء والْمَلِكِ؛ والالة)
١ كان فيه إثبات أنه خالقهم وفاطرهم» فبقي أن يُقال: لَمَا خلقهم[:الناس]
«© هل كلّفهم وأمرهم ونهاهم؟ » قيل: نعمء فجاء: ب الكاس
«فأثبت الخلق والأمر: «ؤألا لَه أَغَلْقَ ال [الأعراف: 84] «[" :الناس]
فلما قيل ذلك» قيل: فإذا كان ربًّا موجدًاء وملكًا مكلدًا. فهل يُحَب
ويرغب إليه؛ ويكون التوجه إليه غاية الخلق والأمرء قيل: «(إِلد
ألص 460؛ أي: مألوههم ومحبوبهم؛ الذي لا يتوجّه العبد المخلوق
المكلّف العابد إلا له فجاءت الالهيَّة خاتمة وغاية» وما قبلها كالتوطئة
لها.

وهاتان السورتان أعظم عوذة فى القرآنء #

الثلاثة. ولكن عُمي القلوب والملاحدة يقولون: لا» إنما التوحيد نوع واحدء
توحيد الربوبية فقط» فليس هناك توحيد غير توحيد الربوبية.

قوله تعالى : «ؤآلا لَدُ الْحلنُّ وآلاً: مرك [الأعراف: 4)؛ فالذي خلق هو الذي
يأمرء وينهى ٠

قوله: (الرّبٌء والْمَلِكِ؛ والاله). فرق بين الأسماء الثلاثة؛. فكل اسم له
معنى؛ وليست بمعنى واحد كما يقوله من لا علم عنده» أو من يعاند ويغالط »
فكل اسم من هذه الأسماء له معنى مستقل؛ وإلا كانت مكررة.

قوله: (وما قبلها كالتوطئة لها) ما قبلها هو توحيد الربوبية في الرب
والملك» هذا توحيد الربوبية» أما إله الناس فهذا توحيد الالوهية» إله الناس
كلهم كل الناس إلههم واحجد؛ «أَالهْكر إك وي له له إلا هُرّ الحْمَنُ
ارم 0 [البقرة: ؟*13].

قوله: (وهاتان السورتان أعظم عوذة في القرآن)؛ أي: أعظم ما يتعوذ به
العبد من المحاذير ,

وجاءت الاستعاذة بهما وقت الحاجة إلى ذلك؛ وهو حين سّحر النبى ل
وخيّل إليه أنه يفعل الشيء كَليةِ وما فعله» وأقام على ذلك أربعين يومًّا؛

كما في الصحيحم”'', ا> > < 0

قوله: (وجاءت الاستعاذة بهما وقت الحاجة إلى ذلك وهو حين سُّحر
النبي لة)» ثبت في الصحيح أن النبي كَهِ سُحرة'"؛ من الذي سحره؟ سحره
لبيد بن الأعصم اليهودي» فأثر ذلك فيه كل كما تؤثر فيه الأمراضء
والأنبياء يمرضون ويموتون» ومنهم من يُقتل» يصيبهم ما يصيب البشرء
فإصابة
السحر نوع من المرض الذي يُصاب به؛ لم يصب عليه الصلاة والسلام - في
رسالته» فهو معصوم في رسالته فيما يبلغ عن الله 8# إنما أصيب في
جسمه؛
وهو يصاب في جسمه بالأمراض والجراح وغير ذلك؛ لأنه بشر عليه الصلاة
والسلام.

وهناك من المعتزلة وأشباههم من ينكر أن النبي كَل شُحرء ويقول: هذا
حديث آحاد» على قاعدتهم: أن أحاديث الآحاد لا تفيد العلم» وإنما تفيد
الظن. فهو لا يحتج به عندهم؛ لأنهم لا يحتجون بأحاديث الآحاد وإن
صحت. لا يحتجون بها في العقيدة؛ لأنها عندهم تفيد الظنء أما عند أهل
السُنَّةَ والجماعة فإنها يُحتج بها في العقيدة وفي غيرها» وهي تفيد العلم» إذا
صحت عن الرسول كَلِيَةٍ ومن ذلك حديث أنه سُحرء فهذا حديث صحيح» ولا
شبهة فيه في أنه أصيب في جسمه؛ لا فيما يبلغ عن الله ##؛ لأنه معصوم؛
وإنما أصيب في جسمه وبدنه كما يُصابٍ بالمرض وغيره» فلا تنافي بين كونه
معصومًا وبين كونه سُّحرء وإلا كان على كلامهم لا يصيبه المرض؛ ولا
يموت» وهذا باطل؛ ولكنهم يعتمدون على عقولهم فقطء ولا يعتمدون على

كتاب الله وسْئَّة رسوله.

أخرجه البخاري (7718"). (؟) أخرجه البخاري (مد؟») ().

وكانت عقد السّحر إحدى عشرة عقدة؛ فأنرل الله المعووذتين إحدى عشرة آية. فانحلت بكل آيةٍ عقدة.

فجاءه جبريل لما سحر ورقاء بالمعوذتين» فشفاه الله وأخبره عن موضع #السحرء وأنه مخفي في مكان كذا وكذاء فبعث إليه عليًّا والزبير وعمارًا ج . فاستخرجوه من مكانه المخفي فيه وأتلفوه» وشفاه الله ةل

قوله: (وكانت عقد السّحر إحدى عشرة عقدة)؛ فالساحر يعقد العقد بالخيط ونحوه» وينفث فيها من ريقه الخبيث» ويستعين بالشياطين» ويتكون السحر؛ لهذا جاء في سورة (الفلق): «وؤوّين شر الكتَتتِك»؛ أي: السواحرء . ف آلَتَدِ © أي: العقد التي في الخيوط»

ج © ©

. انظر: تفسير سورة الفلق لابن كثير والقرطبي 6

وتعلقت الاستعاذة في أوائل القرآن باسم الآلهل'" الكامل» ذي *#
الأسماء الحسنى والصفات العلياء المرغوب إليه في أن يعيذ عبده الذي
يناجيه بكلامه من الشيطان الحائل بينه وبين مناجاة ربّه. ثم استحب*؟
التعلق باسم الاله في جميع المواطن التي يقال فيها: أعوذ بالله من
الشيطان الرّجيم؛ لأن اسم الله تعالى هو الغاية للأسماء؛ ولهذا كل اسم
بعده لا يتعرف إلا به؛ فتقول: الله هو السّلام» المؤمن»؛ المهيمن؛

قوله: (وتعلقت الاستعاذة في أوائل القرآن باسمه: «الاله»)» قال الله
تعالى : نذا ذَآنَ لقُن تَسَتَِدْ رِآلَِّ بِنّ ألنَبْطَنِ لدِ 489 [النحل: هداء_ولم
يقل: استعذ بالرب؛ بل قال: «إتَتَتَيِدْ بِلَّهِ بنِ ألنَبْطنِ ألَمِرِ ©»؛ لأن
الاستعاذة عبادة» فهي من أنواع توحيد الألوهية» فإذا قال: أعوذ بالله من
الشيطان الرجيم. فقد استعاذ بالله يي) .

قوله: (في أن يعيذ عبده الذي يناجيه بكلامه من الشيطان الحائل بينه وبين
مناجاة ربّه)» الاستعاذة بالله من الشيطان» وهو المارد من الجن» وكذلك
المارد
من الدواب يُقال لها: شيطانة» وكذا المارد من بني آدم أيضًا يُقال له:
شيطان.
دفي حديث أبي ذر يه قال: دَتَلْتٌ الْمَسْجِدَ َرَسُونُ الله كلةٍ فيه
فَجِنْتٌ فُجَنَسْتٌ إليه؛ فقال: «يا أَبَا ذَرٌ تَعَوَّدُ با من شَر شَيَاطِينِ الْجِنٌّ
لش 3 فالإنس لهم شياطين وهم المردة من بني آدم؛ كما أن الجن لهم
شياطين» وكما أن الدواب فيها شياطين» فكل مارد فإنه يُقال له شيطان»
من
بني آدم؛ أو من الجن» أو من الدواب» ولا يحميك منها إلا أن تستعيذ بالله
من كل شيطان.

() جاء في نسخة (ت: العمران): في أوائل القرآن باسمه (الإله) وهو المعبود
وحده؛
لاجتماع صفات الكمال فيه. ومناجاة العبد لهذا الإله الكامل ذي الأسماء
الحسنى.

() جاء في نسخة (ات: العمران): ثم انسحب التعلق.

(9607) رف أخرجه النسائي.

فالجلالة تعرّف غيرهاء وغيرها لا يعرّفها. والذين أشركوا به تعالى في الربوبيّة منهم من أثبت معه خالقًا آخرء وإن لم يقولوا: إنه إله مكافئ له وهم المشركون ومن ضاهاهم من القدريّة.

قوله: (فالجلالة تعرّف غيرهاء وغيرها لا يعرفها)» فكل أسماء الله وصفاته ترجع إلى الله وهو الاسم الأعظمء وهذا الاسم لا يُسمى به غير الله ولا أحد تسمى به حتى فرعون لم يقل: أنا الله؛ بل قال: «أنا رتم الأتلَ 0 [النازعات: 114 جنا عَلِنْتُ لتكم بن له غَرَى 4 [القصص: 8*] . ولم يقل : أنا الله ولا أحد في الخلق مؤمنهم وكافرهم يسمى الله أبدا

قوله: (والذين أشركوا به تعالى في الربوبيّة منهم من أثبت معه خالقًا آخر)ء هذا جواب كلامه السابق بأنه سيأتي حين قال: (على أن منهم من أشرك في الربوبيّة كما يأتي بعد ذلك إن شاء الله تعالى)”'"؛ يعني : منهم من أشرك به في الخلق؛ كالمجوس الذين جعلوا خالقين: خالق للنورء وخالق للظلمة؛ أو خالق للشرء وخالق للخيرء وهذا عند المجوس الثانوية.

قوله: (وإن لم يقولوا: إنه إله مكافئ له)؛ لأن حتى المجوس ما يثبتون خالقين متساويين؛ بل يثبتون أحدهما أكمل من الآخرء خالق الخير عندهم : أكمل من خالق الشرء خالق النور أكمل من خالق الظلمة ف(مكافئ)؛ يعني مساوى.

قوله: (وهم المشركون ومن ضاهاهم من القدريّة). القدرية المراد بهم المعتزلة» وهم الذين يقولون: إن الله لم يقدر أفعال العباد ولم يخلقهاء وإنما العبد هو الذي يخلق فعل نفسه؛ فهم شر من المجوس؛ فالمجوس أثبتوا خالقين فقط» أما هؤلاء فقد أثبتوا خالقين متعددين» قالوا: كل إنسان يخلق فعل نفسه» فهذه مجوسية؛ ولذلك سماهم الرسول كَل في الحديث الوارد في

(١(انظر: (ص49)).

وربوبيّته سبحانه للعالم الكاملة المطلقة تبطل أقوالهم؛ لأنها #
تقتضي ربوبيّته لجميع ما فيه من الذوات والصفات والحركات والأفعال.
وحقيقة قول القدرية المجوسية: أنه تعالى ليس ريا لأفعال الحيوان ولا
تتناوله ربوبيّته» إذ كيف تتناول ما لا يدخل تحت قدرته ومشيئته وخلقه.
. قوله: «الْقَدَرِبٌّ مَجُوسنُ عَذِوٍ الأموا"؛ لأنهم يشبهون المجوس

قوله: (وربوبيّته سبحانه للعالم الربوبيّة الكاملة المطلقة الشاملة تبطل أقوالهم)؛ ربوبيته سبحانه العامة المطلقة تبطل قول المجوس وقول المعتزلة وغيرهم من أن هناك خالقين مع الله 8# فهو الخالق وحده.؛ «وَكُوَ الْخلْق آلْعَلِيمٌ (©©» [يس: ١ه].

قوله: (وحقيقة قول القدرية المجوسية: أنه تعالى ليس ربا لأفعال الحيوان) يقولون: ما خلق أفعال الحيوان؛ أي: الناس» ما خلقها ولا قدرها . تعالى الله عما يقولون» معنى هذا أن له شريكًا فى الخلق؟! . فالقدرية
على نوعين: القدرية الجبرية» والقدرية النقاة. وإذا أطلق القدرية انصرف إلى النفاة؛ أي: المعتزلة.

قوله: (ولا تتناولها ربوبيّته» إذ كيف تتناول ما لا يدخل تحت قدرته ومشيئته وخلقه)؛ والله يقول: آله حَينٌ كل شير وَهُوٌ ع كل شَى تَكِلٌ لا يشاركه أحد في الخلق ولا في الإيجاد؛ فهو المنفرد «[+الزمر: 7] © بذلك» فهو خلق الخير وخلق الشرء وخلق المؤمن وخلق الكافرء وخلق الملائكة وخلق الشياطين» وخلق الجن وخلق الإنسء؛ فالله خالق كل شيء 8#؛ ولا يخلق شيئًا إلا لحكمة؛ لا يخلق شيئًا عبن .

©. © ©

أخرجه أبو داود (47137) ().

الات إفادة المستفيد ف شرح تجريد التوحيد المقيد
.وشرك الأمم كله نوعان: شرك في الالهيّة؛. وشرك في الربوبيّة #
فالشرك في الألهيَّة والعبادة: هو الغالب على أهل الاشراك. وهو #
شرك عُبَّاد الأصنام. وعُبَّاد الملائكة.؛ وعُبّاد الجن؛ وَعُبَّادِ المشايخ
والصالحين الأحياء والأموات. الذين قالوا: مما تَبْدُهُمْ إلا ليقرَبونا إل
· ويشفعوا لنا عنده. ويثالنا بسبب قربهم من الله[« :الزمر] ل 5
وكرامته لهم: قرب وكرامة؛ ل

:وشرك الأمم كله نوعان» الشرك ضد التوحيد» وهو نوعان)

شرك في الربوبية بأن يُجعل لله شريكٌ في أفعاله من الخلق؛ والرزق؛
. والإحياء» والإماتة» وغير ذلك

وشرك في الألوهية؛ وهو أن يُجعل لله شريك في العبادة؛ يذبح لغير الله
.ينذر لغير الله. يُستغاث بالقبور والأموات» وهذا شرك في الألوهية

قوله: (فالشرك فى الألهيَّة والعبادة: هو الغالب على أهل الاشراك). كما
سبق؛ فإن أغلب الخلق إنما أشركوا في الألوهية؛ ولذلك بعث الله الرسل
وأنزل الكتب للأمر بتوحيد الألوهية والنهي عن الإشراك فيه؛ لأن توحيد
الربوبية مُطرت القلوب على الإقرار به حتى وإن تظاهر بجحوده بعض
. الأفراد؛ فإن الطر مُقرة به؛ فالقطر والعقول مقرة بتوحيد الربوبية

قوله: (وهو شرك عبَّاد الأصنام؛ وعبّاد الملائكة. وعبّاد الجن وعبّاد
«المشايخ والصالحين الأحياء والأموات)» الشرك في الألوهية متعدد الأنواع
والمشركون متفرقون في عباداتهم؛ لأنهم لما ضيعوا التوحيد وقعوا في
متاهات» كل يخترع له معبودًا يعبده ولا يرضى بمعبود الآخر؛ فمنهم من يعبد
الملائكة؛ ومنهم من يعبد الرسل والأنبياء» ومنهم من يعبد الأولياء
والصالحين» ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار والأصتام» حتى أن منهم من
يعبد البقر كما في الهند» ومنهم من يعبد الشمس والقمر؛ ومنهم من يعبد
الشيطان» ومنهم من يعبد الفروج» إلى غير ذلك والعياذ بالله» كما قال الله أ
:

ااال ااا ب ل انان ل نات ا ل ات ل ا ىت ا ا ات ل أ ل اا ا اا ل ا ا ا اج ا أ ا ا ا
اا اس سا أ د ا أ ا اماما اما

يال

ومن يشر يق تنما حل ولك التتار فَتَخْلِهُ اليد أو ته بد ألخ في تَكانٍ
تَحِقٍ © [الحج: ١©]؛ أي: بعيدء ﴿دَأَنَا خَرَّ بنك التَمَهِي»؛ لأن التوحيد:
ارتفاع وعلو؛ والشرك: هبوط ونزول» ولهذا قال يوسف #8 لأصحاب
السجن : «ءآتَيَاتٌ فرت حي را لنَدُ آلْوَمِدُ الْبَارٌ (© مَا تتَبْتُنَ ين درن إل
م ا وباي نآ برل أله يا ين مُلْطَو؟» [برمف: قت ب
فهم ليس عندهم براهين وأدلة على الشرك إلا شبهات؛ فالبراهين والأدلة إنما
هي على التوحيد؛ وذلك تحداهم الله وقال: ظكُلَ ككائًا رُكَتكُمْ إن كُنُرٌ
١١١ فليس عندهم برهان إلا شبهات وحكايات وما[« :البقرة] يق #0
أشبه ذلك» فالمشركون متفرقون في عباداتهم» بخلاف الموحدين»؛ فإنهم
. يعبدون ربا واحدًا وإلهًا واحدّاء لا يختلفون فيه

ولا فرق بين من عبد الملائكة أو الأنبياء أو الصالحين» ومن عبد القبور
.والأضرحة وتعلّق بالأموات؛ لا فرق بينهم» كل هذا شرك

قوله تحالى: آل ل الي لالش ولت اتا يت مه ألسة»؛
ويقولون: حَمَا تْبْدُهُمَ إل لِقَرْنَ إل أنه ذل [الزمر: ؟] فهم أقروا أنهم
يعبدونهم» ويذبحون ب" وينذرون لهم ويستغيثون بهم» ويفعلون لهم أنواع
العبادات» وهم اعترفوا بذلك» ولكن لا لأنهم يخلقون ويرزقون ولكن لأجل
:أن يقربونا إلى الله زلفى» أي: يشفعون لنا عند الله» وفي الآية الأخرى

بدو من ذوبي لَه ما لا يَصرهم ولا يقَعهُمَ ويغولونَ شولاء شُفَصترنا عند

؛ أي: يعوسطون لنا عند اللهء يتخذونهم وسائط بيتهم[يونس: ٨١] 1
وبين الله» وهل الله يخ بحاجة إلى هذه الوسائط؟!» وأنه لا يجيب دعاءهم إلا
بواسطة؛ من قال هذا؟! الله أمر بدعائه مباشرة: «وَقَالَ رَيُحَكُمْ انعرف
أَسْتَحِبٌ
؛ ولم يقل: ادعوني بواسطة فلان أو علان» أو اتخذوا[غافر: ٠١] 4:
:الوسائط إلى أما قوله تعالى : «مَابِتَعْوَا إِلَيْدِ آلْوَصِيلَدَ* [المائدة: 70] وقوله

صا اص

أفليكَ الزين ينعت سفت بد يهم الْوَسِيلة؟» [الإسراء: “«دة]ء فالمراد

كما هو المعهود في الدنيا من حصول الكرامة والزلفى لمن يخدم أعوان الملك وأقاربه وخاصته.

بالوسيلة العبادة» سميت وسيلة؛ لأنها يُتقرب بها إلى الله والوسيلة ما يُتقرب به إلى الشيء» قال تعالى: «يِأَيهمَا اريت ءَمَثْما آتَفْا أنه َبِتَعْوَا إِلبّهِ الوَسِيئة» [المائدة: 5©] يعني: بطاعته وعبادة» هذه هي الوسيلةء. وليست الوسيلة أن تتخذ بينك وبين الله واسطة» هذا أبطله الله 8# وقوله: اليك «لين يَنْعبت»؛ يعني : عيسى وأمه وعزيرًا؛ أي: الذين يدعوهم المشركون بيتك إًّ رَيَهِرٌ الْرَسِيِلَدَ [الإسراء: 07] هم أنفسهم يتقربون إلى الله :بالوسيلةَ» وهي العبادة» «ليمٌ أَقَربُ رَيَيُنَ رَحْتَتَدُ يَافبت عَذَابَتِيِي [الإسراء 5ا]» فكيف يعبدون مع الله وهذه حالهم» أنهم هم يتقربون إلى الله «إإنَ عَذَابٌ رَيِكَ كن دن (©»؛ فهذا يدل على أنهم عبادء وأنهم يعبدون الله وأنهم يرجون رحمته ويخافون عذابه» فهم عبادء فكيف يتخذون آلهة ووسائط عند الله يل .

قوله: (كما هو المعهود في الدنيا من حصول الكرامة والزلفى لمن يخدم أعوان الملك وأقاربه وخاصته)» فشبهوا الله ## بالملوك الذين يتوصل إل بالوسائط والوزراء؛ لأن الملوك لا يعلمون أحوال الناس» فهم بحاجة إلى من يبلغهم؛ ولا يعرفون أيضًا حاجة الشخص» فهم يعرفون الملوك بحاجة الرعية وحالتهم؛ فالملوك بحاجة إلى الوسطاء والوزراء؛ لأنهم لا يعرفون أحوال الناس» ولا يعلمون الغيب» وأيضًا الملوك لا بد من أحد يؤثر عليهم؛ لأجل أن يجيبوا من طلب منهم حاجة؛ لا بد من أحد يؤثر عليهم» ويرقق قلوبهم ويُعطفهم على المحتاجين» أما الله ل فإنه رحيم ودود قريب مجيب» وليس بحاجة إلى أن يؤثر عليه أحد» أو يستعطفه أحدء تعالى الله عن ذلك فهو ليس بحاجة كالملوك الذين يحتاجون إلى الوزراء؛ فالملوك يضطرون إلى قبول
شفاعة الشافعين لأنهم بحاجة إليهم يخدمونهم ويقومون بأوامرهمء فهم يطيعونهم ويقبلون شفاعتهم من أجل أن يقوموا بخدمتهم وإعانتهم على

والكتب الالهيَّة كلها من أولها إلى آخرها تبطل هذا المذهب *
وتردّه؛ وتقبّح أهله. وتنص على أنهم أعداء الله وجميع الرسل
صلوات الله عليهم متفقون على ذلك من أولهم إلى آخرهم,؛ وما
أهلك الله تعالى مَنْ أهلك من الأمم إلا بسبب هذا الشرك» ومن أجله.

ملكهم» أما الله فإنه غني وليس بحاجة إلى أحدء فهناك فروق بين الرب وبين
الملوك؛ فإذا كانت الوسائط والشفعاء ينفحون عند الملوك فهم لا ينفعون
عند الله يُلةٍ. ولا ينفحك إلا عملك؛ ولا يضرك إلا عملك. فعليك أن تعتنى
بعملك الذي يقربك إلى الله يل .

قوله: (والكتب الإلهيَّة كلها من أولها إلى آخرها تبطل هذا المذهب
وتردّه)» الكتب الإلهية المنزلة من عند الله كالتوراة» والإنجيل» وكل ما نزل
على الرسل فإنه يبطل الشرك بالألوهية» ويأمر بعبادة الله وحده» كما ذكر
الله
ذلك عن الرسل» أن كل رسول يقول لقومه: «كَقَوْر أَعَبْدُوا أله ما لكر مَنْ
لِله
ب » [المؤمنون: 73]» فهم هذه مهماتهم؛ كلهم جاءوا بالأمر بعبادة اللهَ
وترك عبادة ما سواه.

قوله: (وجميع الرسل صلوات الله عليهم - متفقون على ذلك» من أولهم
إلى آخرهم)؛ فكلهم متفقون على الأمر بتوحيد الألوهية؛ والنهي عن الشرك
فيد «رَاعْبْترا لله رك تُتَرَما بي كبا [النساء: <] «يَلئَد بن في كُلٍ
أو تَخْرل أن أختا آله رَحَمًا أسَنّتٌ» انحل: 1 فنا أَسَلهَا ين
71[:الأنبياء] © فييك من تَسُولٍ إلا فى إلّه أنه لآ إل إلك أنا تَعبُثرهِ
هذا ما دعت إليه الرسل كلهم.

قوله: (وما أهلك الله تعالى مَنْ أهلك من الأمم إلا بسبب هذا الشركء
ومن أجله)؛ لما أبوا أن يستجيبوا للرسلء وأصروا على الشرك أهلكهم الله
عن آخرهم؛ كما حصل لقوم نوح» وقوم عادء وثمود» وغيرهم من الأمم التي
أبت أن تفرد الله بالعبادة. كما حصل لقريش لما عصوا واستمروا على

عا ىلك أ ل أب اا ا لماه لجا أ اجا ا يدا ا اا أ امنيا لايد كا أبائية ايد أمحكية اما أ
ليا اما أ د ا اما اما ا ا هجا لوا ادا اجا اكوا وجا اجا االا أسا أو أ اج اما أو اجاج او
ا أو د و ا اس ا ا ا ا ل ا

الشرك» الله # أهلكهم بواسطة الجهادء وبسيوف الصحابة الذين أمرهم الله
بجهادهم» فقتلوا على كفرهم وعلى شركهم وعنادهم» كما حصل في بدر
وفي
غيرها من انتصارات المسلمين» وكما حصل من الفتوحات في المشارق
والمغارب» وإسقاط الدول الكافرة كفارس والروم» فالله عاقبهم وسلب
ملكهم» وشتت دولتهم.؛ وأورثها للموحدين» فهذا شيء واضح في القرآنء
وفي التاريخ والسير.

©« © .

وأصله: الشرك في محبّة الله تعالى» قال تعالى: «دَيِكَ آلنَاسٍ *#
ا ل

أ لسن ليسا سم ل عب انا ل 7ٍ :
من يَتَخِذٌ من دُونٍ أو آنْدَادًا تُحيِمتهُم كحب الله وَالْيِنَ ءامنا سد با لل

ب

؟ فأخبر 8# أنه من أحبٌ مع الله شيئًا غيره كما يحبّه فقد[البقرة: 165]

اتخذه نذا من دوته. ص ص

قوله: (وأصله: الشرك في محبّة الله)ء أعظم أنواع التوحيد المحبة؛ لأنه
من توحيد العبادة» والعبادة أنواع: أعظمها المحبة» فالمحبة أعظم أنواع
التوحيدء وكل العبادات فإنها مرتبطلة بالمحبة؛ فالذين لا يحبيون الله لا
: يعبدوته » والذين عبدوه م عبدوه إلا لأنهم يحبونه

.فمنهم من أفرد الله بالمحبة» وهم أهل التوحيد» وأهل الإيمان
ومنهم من أحب الله وأحب غيره؛ كالمشركين» قال تعالى: «وَيِتَ

آلنَّاسٍ من يكَخِدٌ بين دُونٍ أله أندَادًا يُيُتهُمَ كب الوم [البقرة: 165]؛
فالمشركون
يحبون الله ولكن محبتهم غير خالصة؛ فيها شرك» أما المؤمنون فيحبون الله
ومحبتهم خالصة؛ ولهذا قال: «وَآلِيَ ءَامَتَرًا أَتَدٌ حي لَه من محبة
المشركين لله؛ لأن المؤمنين أخلصوا محبة الله؛ فلا يحبون معه غيره» بخلاف
المشركين فإنهم أحبوا الله فعبدوه بأنواع من العبادة» وأحبوا غيره من
الأصنام
والأشجار فعبدوها بأنواع من العبادات» كل هذا راجع للمحبة: «رَمِك آلنَابِ
من يَكَخِدٌ ين ذُونٍ الله أنْدَادًا»» الأنداد: الأصنام؛ وكل ما عُبد من دون الله فهو
ند لله بمعنى أنه مساو لله؛ فالند هو المساوي والشريك؛ فهم سووهم
بالله يق وجعلوهم أندادًا لله؛ أي: مساويين له فعبدوهم مع الله سبحانه؛
ولهذا يقولون إذا دخلوا النار يوم القيامة لمعبوديهم: فِتَالَهِ إن كنا لنى سَكلٍ
سَيةٍ حم © نز أنَّ ل كَنَهٌ تَتَكْنَ بن آلنُوِيَ (©)» [الشعراء: 7ه 7 ©
٠" يتمنون لو أنهم يرجعون إلى الدنيا فيخلصوا العبادة لله 38 ولكن

. هيهات الرجوع إلى الدنيا

وهذا على أصح القولين في الآية: أنهم يحبونهم كما يحبون الله وهذا
هو العدل المذكور في قوله تعالى: «ِثمّ الِّينَ كَمَرُا رَيمَ يُتدفت (46
١ والمعنى على أصح القولين: أنهم يعدلون به غيره في[« :الأنعام]
العبادة؛ فيسوون بينه وبين غيره في الحبتٍ والعبادة. وكذلك قول

نا اللدد اد اا لود جا > لسته 1 : 1
المشركين في النار لأصنامهم: «ؤإتاله إن كنا ل سَكلٍ ثين © إذ ويم
وب الْعْلَمِينَ ؛)© [الشعراء: لأف فقا 0

قوله: (وهذا على أصح القولين في الآية)» فهناك قول آخر في تفسير
« الآية وهى قوله: ؤوينت آلذَاسٍ كن يَكَخِدٌ بين ثُونٍ الله أندادًا نيمتهم كب الله
البقرة: مح أي: يحبون أصنامهم كما يحب الموحدون الله ثَلةٍ» والذين]
آمنوا أشد حبًّا لله من محبة المشركين لأصنامهم» هذا قول في الآية؛ وذلك
في قوله: (أنهم يحبونهم كما يحبون الله)ء هذا المعنى الأول وهو أصح
القولين.

قوله تعالى: «ِلَلَنَدُ له إلى عَلقَ التَموّتٍ تَالأَيْس يَجَمَلَ سلب وَالنورٌ
ثرَّ الِّينَ كَفَرُما رَيِمْ يَترلْت (» الأنعام: ١]؛ أي: يسوون به غيره ممن
لم يخلق شيئًا من السموات ولا من الأرض ولا خلق الظلمات» ولا خلق
النورء وإنما الخالق هو الله 8# الذي خلق الظلمات والنورء وفي هذا رد
على المجوس الذين يعبدون النارء ويقولون: النور خالق للخيرء والظلمة
خالقة للشرء (وَجَعَلَ الظّلْمَاتِ والنُورَ)» فهذا من خلق الله فَيكْ؛ لا من خلق
غيره .

قوله: (وكذلك قول المشركين في النار لأصنامهم)؛ لأن المشركين
تُجمع معهم أصنامهم في النارء والعياذ بالله» وكذا يُجمع معهم من عبدوهم

من الخلق وهو راض بذلك»ء يُجمع معهم يوم القيامة. فالعابدون والمعبدون

كلهم يجتمعون في النار» قال تعالى: «إِنَتحكُمْ وما تَمْبُدُونَ من دب آل
خَصَبُ جَهَكَرَ أَنْرْ لها لها كرت (©) آز كانت مَتكْلتٍ حَالِهَة

ومعلوم قطقًا أن هذه التسوية لم تكن بينهم وبين الله في كونه ربّهم وخالقهم؛ فإنهم كانوا كما أخبر الله عنهم مقرّين بأن الله تعالى وحده هو ربّهم وخالقهم» وأن الأرض ومن فيها لله وحده؛ وأنه رب السموات السَّبع ورب العرش العظيم» وأنه 8# هو الذي بيده ملكوت كل شيءٍ؛ وهو يجير ولا يجار عليه؛ وإنما كانت هذه التسوية بينهم وبين الله تعالى في المحبّة والعبادة» فمن أحبّ غير الله وخافه ورجاه؛ وذلٌ له كما يحبّ الله تعالى ويخافه ويرجوه؛ فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله

با خَنَلِنُوكَ © [الأنبياء: هه 44]» فهم إذا اجتمعوا مع معيوديهم في النار لاموا أنفسهم فقالوا: «تَالَه» هذا حلف»؛ «إن كُنَاك»؛ يعني : في الدنياء ؤت سكل ثنٍ © إذ نَم يب لين ©4.

قوله: (ومعلوم قطعًا آن هذه التسوية لم تكن بينهم وبين الله في كونه ربّهم وخالقهم)» فهم لم يسووهم بالله في الربوبية» وإنما سووهم بالله في الألوهية والعبادة» فعبدوهم مع الله.

قوله: (فإنهم كانوا كما أخبر الله عنهم مقرّين بأن الله تعالى وحده هو ربّهم وخالقهم)» فهم معترفون بالله ربا كما جاء في القرآن.

قوله: (وإنما كانت هذه التسوية بينهم وبين الله تعالى في المحبّة والعبادة)» فهم سؤوهم بالله في المحبة والعبادة لا في الربوبية؛ ويقولون : أيضًا
هم شفعاء» هم رجال صالحون ونحن عندنا ذنوب» فهم يشفعون لنا عند الله ؛
وإلا فهم يعترفون بأنهم لا يخلقون ولا يرزقون ولا يدبرون شيئًا في الكون.

قوله: (فمن أحتٍ غير الله وخافه ورجاه. وذلّ له كما يحب الله تعالى ويخافه ويرجوه؛ فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله)»؛ أما أن تحب المال وتحب الزوجة وتحب الأولاد وتحب الصديق فهذه محبة طبيعية؛ ليست محبة عبادة؛ فليس معها ذل وخضوع» هذه محبة طبيعية» ومحبة العبادة هي التي يكون معها ذل وخضوع وتعبّد .

فكيف بمن كان غير الله تعالى آثر عتثده وأحبٍ إلي وأخوف عتده» وهو فى مرضاته أشد سعيًا منه فى مرضاة الله؟.

قوله: (فكيف بمن كان غير الله آثر عنده وأحب إليه» وأخوف عنده. وهو في مرضاته أشد سعيًا مته في مرضةة الله؟)» فكيف بمن زاد في محبة الأصنام
على محبتة لله إن كان عنده محبة لله؟ هذا أشدء فهم لم يعبدوا الأصنام عبثًا؛ بل عبدوا الأصنام لأنهم يحبونهاء ولذلك يقاتلون دونهاء ويبذلون أنفسهم وأموالهم دونها؛ لأنهم يحبونها» وتعلقت قلوبهم بهاء كما قال عن عن بني إسرائيل: وتَأثرفُا في تُبِيِمْ آلِيجْلَ بِكُزْمٌ ثل بتكنا
ينح بده سكم إن كُثّر تُؤْمنِيتَ 680 [البقرة: *4] فقد أحبوا العجل وعبدوه من دون اللهء قالوا: معدا إِلَمْحكُمْ وَِكَدُ تُربئ فَتيِىَ © لطه: هد]؛ أي: ولكن موسى نسي وذهب يبحث عن ربه! هكذا قالوا والعياذ بالله.

قوله: (وأخوف عنده)» كذلك يخافون من الموتى أكثر مما يخافون من الله وإذا قيل لأحدهم: احلف بالله» حلف وبادر» وإذا قيل له: احلف بالولي «الفلاني ؛ ارتعد وخاف وأبى أن يحلف» هذا شيء موجود عند القبوريين الآن وإنهم يخافون الموتى أكثر مما يخافون الله ينك ويتوقعون أنهم يضرونهم لو لم
يتقربوا إليهم» يضرونهم ويصيبونهم بالموت والآفات» ويعتقدون أنهم لو لم يتقربوا إليهم لضروهم وأصابوهم بالموت والآفات» يعتقدون أن الموتى في القبور يضرون وينفعون» وأنك لو ما عبدتهم وتقربت إليهم يضرونك في مالك وفي نفسك» كما قال قوم هود لهود جل : لين تَبَلُ إل امفيك بش حَلِهَتنَا بوه قذَ إقٍ أتيدٌ آنه وَآشبَنًّا أن بريت* مَنَا تزه © ين جوتي تَكِثْذ جا ثُرَّ ل تُطِيُدٍ رجل واحد يتحدى أمة كاملة بهذا التحدي» هذا معجزة [هود: 54 -0] © من معجزاته عليه الصلاة والسلام» هذا يبطل قولهم: «إِيَغُوهُ مَا جِئْتنَا ببَيِتَةَ وَمَا
نحن شارك هنا عَن ولك َمَا تحن لك بِمُوينيت (0©)» [مود: *1]» وما أعظم من هذه البينة؛ فقد تحداهم كلهم وأصنامهم أنهم يكيدونه؛ أي: يضرونه؛ ومع هذا ماذا صار بعد ذلك؟ أنجى الله نبيه هودًا ومن آمن معد وأهلك الكقرة.

فإذا كان المسوّي بين الله وبين غيره في ذلك مشركًاء قما الظن *
بهذا؟ء فعياذًا بالله من أن ينسلخ القلب من التوحيد والاسلام كانسلاخ
الحيّة من قشرهاء وهو يظن أنه مسلم موحّدء فهذا أحد أنواع الشرك.

قوله: (فإذا كان المسوّي بين الله وبين غيره في ذلك مشركًّاء فما الظن
بهذا؟)؛ أي: إذا كان المسوي بين الله وبين غيره في ذلك مشركًا فكيف بهذا
الذي زاد معبودًا على الله 88 فخافه أكثر من الله» ورجاه أكثر من الله وما
ظنكم به؟ وهذا واقع في عبّاد القبور اليوم» يخافون من الموتىء ويقولون: لا
تقل شيئًا لئلا يصيبوك» ويصيبوا أولادك. وليست المسألة أنهم يعطونتهم؛ بل
إنهم يخافون منهم» حتى لا يصيبوك في أولادك وفي نفسك. زعمواء وقد
يبتلى والعياذ بالله ويُصاب؛ فيظن أن هذا من الميت» مع أن هذا ابتلاء من
الله
وامتحان من الله ل.

قوله: (فعياذًا بالله من أن يتسلخ القلب من التوحيد والإسلام كانسلاخ
الحيّة من قشرها)؛ يعني : ينسلخ الإنسان من التوحيد والإسلام ويخرج إلى
الكفر والشرك بالتدرج شيئًا فشيئًا حتى لا يبقى عنده شيء من التوحيد ولآ
من
الإسلام» إذا ترك الحق فإنه يبتلى بالباطل» ويزيد الباطل في نفسه حتى
يخرج
إلى كفر ما كفره غيره من العالم.

قوله: (وهو بظن أنه مسلم موحّد)؛ ما أكثرهم الآنء وهم يظنون أنهم
مسلمون وأنهم موحدون» وهم يقولون: يا فلانء يا علي يا عبد القادر!؛
فأين الإسلام وأين التوحيد وأنت تدعو غير الله وتذبح لغير الله وتنذر
لغير اللهء. وتخاف من غير الله وترجو غير الله» فأين الإسلام؟ فالإسلام
حقيقة وليس دعوى» وهؤلاء ليسوا مسلمينء وإن ادعوا أنهم مسلمون»؛ فلا
يتسموا بالإسلام حتى يفردوا الله بالعبادة وحده لا شريك له ويكونوا حينئذٍ
مسلمين حقًا .

«قوله: (فهذا أحد أنواع الشرك). هذا النوع الأول شرك الألوهية
التوع الثاني : شرك الربوبية وهو قليل.

والأدلة الدّالة على أنه تعالى - يجب أن يكون وحده هو *
المألوه تبطل هذا الشرك.ء وتدحض حجج أهله. وهي أكثر من أن يحيط
بها إلا الله سبحانه؛ بل كل ما خلقه الله تعالى فهو آية شاهدة بتوحيده؛
وكذلك كل ما أمر به» فخلقه وأمره. وما قطر عليه عباده وركبه فيهم من
«العقول؛ شاهد بأنه الله الذي لا إله إلا هوء وأن كل معبود سواه باطل
. وأنه هو الحق المبين» تقدس وتعالى
وواعجمًا كيف يعصى الأله أم كيف يجحده الجاحد
ولِلّهفي كل تحريكةٍ وتسكينةٍأبدًّاشاه

الأدلة الدالة على وجوب إفراد الله بالعبادة تدحض هذا الشرك
وتبطله» وهي أدلة من الكتاب والسُنَّة. ومن الآيات الكونية والمخلوقات
التي خلقها الله دالّة على انفراده سبحانه في الربوبية والألوهية؛ كلها
تدحض هذا الشرك» الله ## قال:ِ ثُ نيم ما تَتَعْيت من صن ألهِ آذ
مانا خَلَفاْ ين الآ آ 7خ شح في التَعرتٌ أَدَتْرنٍ تب يَن تَبْلِ هَذَآ أق أَثرر
علي إن كم حيتت 4 [الأحقاف: 4] تحداهم ولم يجيبواء ما
قالوا أنهم خلقوا شيئًا من الأرض؛ أو خلقوا الجبل الفلاني أو الشجرة
الفلانية. أو خلقوا الكوكب الفلاني» ما قالوا هذاء وما أجابوا على هذا
السؤال أو على هذا التحديء فهذا برهان قاطع على بطلان عبادة
. غير الله كيل

والقرآن مملوء بالأدلة على بطلان الشرك في الألوهيةء فقلٌ أن تأتي
سورة ليس فيها بيان هذا الشرك؛ بل هناك سور خالصة في التوحيد والنهي
عن
.الشرك؛ كالسور المكية

قوله: (بل كل ما خلقه الله تعالى فهو آية شاهدة بتوحيده)» هناك أدلة
من الوحي» أدلة قرآنية» وأدلة من الكتب المنزلة على الرسل من الوحيء
وهناك أدلة كونية» وهي المخلوقات التي تدل على انفراد الله بالعبادة؛ لأنه
هو

اك“

>وقي كل شيءٍ له اد - دل ع / ى أذ ه وأ

الذي خلقها ونظمها ودبرها وأمدهاء وهذا يدل على أنه هو الذي يجب أن يفرد بالعبادة دون سواه» فالأدلة القرآنية والأدلة الكونية كلها تدل على وجوب إفراد الله بالعبادة قال تعالى: «رَيِنٌ ءَابَيِهِ آلْلُ وَالنَّمَادُ َلنَنْعٌ تتجذيا يكنيى أ لِلَكَبَرٍ تَنْجْنا إل الى غنيك إه كح 2
.ياه تَمْيدُوتَ (© [قصات: 37]

قوله: ذوفي كل شيءٍ له آي تدل على أنه واحد)ء السموات والأرض والجبال والبحار والأشجار والأنهار والدواب» كل ما خلق الله يشهد بأنه واحد» ويشهد بأنه هو المستحق للعبادة؛ (وفي كل شيءٍ له آيةٌ) ؛ أي دلالة تدل على أنه واحد في ربوبيته وفي ألوهيته وفي أسمائه وصفاته لا شريك له؛ فهذه الأبيات فيها التوحيد» وقد قيل إنها لأبي نواس الشاعر المعروف من شعراء بني العباس» وقيل إنها لأبي العتاهية الشاعر المعروف» وقيل إنها لابن
.المعتز» وعلى كل حال سواء أكانت لهذا أو لهذا فهي واضحة الدلالة

وهل أحد ينكر هذاء وهذا من الحكمة التي تكون في الشعرء كما قال الرسول كية: «إنَّ من الشْعْرٍ لَحِكْمَدًاا". وهذا من الحكمة التي تأتي على .لسان الشاعر

انتهينا الآن من شرك الألوهية» وسيأتينا إن شاء الله شرك الربوبية؛ وهو : في قوله

)١(أخرجه ابن ماجه)9786(.

والنوع الثاني من الشرك: الشرك بالله تعالى في الربوبيّة؛ كشرك من #
: جعل معه خالقًا آخر ؛ كالمجوس وغيرهمء الذين يقولون: بأن للعالم ربّين

.«أحدهما: خالق الخير » ويقولون له بلسان الفارسيّة: «يزدان *

.«والآخر: خالق الشرء ويقولون له المجوس بلسانهم: «أهرمن #

:تقدم أن المؤلف كته قال: إن الشرك نوعان

النوع الأول: شرك في الألوهية». وهو كثيرء وذلك بأن يُجعل لله شريك
#في عبادته؛ بأي نوع من أنواع العبادة» العبادة كلها بجميع أنواعها حق لله 8
ولا يجوز أن يشرك معه أحدًا لا من الملائكة ولا من الرسلء ولا من الأولياء
والصالحين» ولا من الإنس ولا من الجنء ولا من الأحجار وغير ذلك الله
:هو المستحق للعبادة» فهذا حقه على عباده» ومن أجلها خلقهم» قال تعالى
رما خَلَقتُ لَلْنَ والإن إلا يدم © [الذاريات: 07]» وأمر بها
جميع الناس: لإيانهَا الاش أحْبدُوا ركم الى خَلَقُ تَآلَنَ من لِك ملك
١ وكذا أمر بها الجن والإنس؛ فمن صرف من أنواع19 :تُّونَ © ©» [البقرة
.العبادة من ذبح أو نذر أو استغاثة أو غير ذلك لغير الله فهذا شرك أكبر

.والنوع الثاني: شرك في الربوبية» وهو قليل في الناس

قوله: (والنوع الثاني من الشرك: الشرك بالله تعالى في الربوبيّة). ذكر
:المؤلف كنم ثلاثة أنواع من الشرك في الربوبية

النوع الأول: شرك المجوس الذين يجعلون خالقين: خالق للخيرء
.وخالق للشر؛ ولذلك يسمون بالثانوية

التوع الثاني: شرك الفلاسفة» الذين يجعلون المخلوقات من تدبير
.العقول العشرة والأفلاكء وما أشبه ذلك

والفلاسفة جمع فيلسوف» والفلسفة هي الحكمة بزعمهم» فالفيلسوف هو
الحكيم عندهم» ومنبع الفلسفة وعلم الكلام والمنطق من اليونان» فهم
عندهم
.الفلاسفة كأفلاطون وسقراط ومن جاء بعدهم من الفلاسفة

وكالفلاسفة ومن تبعهم الذين يقولون: بأنه لم يصدر عنه إلا *
واحد بسيط» وأن مصدر المخلوقات كلها عن العقول والنفوس» وأن

النوع الثالث من الشرك في الربوبية: شرك القدرية» وهم المعتزلة الذين
يقولون: إن كل إنسان يخلق فعل نفسه» وليس أفعال العباد خلقًا لله هك
وإنما هي خلقهم هم . هذا قول المعتزلة» فهم أثبتوا خالقين متعددين مع الله؛
المجوس أثبتوا خالقين اثنين» والمعتزلة زادوا عليهم فأثبتوا خالقين متعددين
مع الله؛ لأن كل إنسان يخلق فعل نفسه؛ وبصفة أنهم يجعلون مع الله شريكًا
المجوس في هذا.

هذا ملخص أنواع الشرك في الربوبية التي ذكرها المؤلف رحمه الله
تعالى .

قوله: (وكالفلاسفة ومن تبعهم) وهم أهل النوع الثاني من الشرك في
الربوبية» وهم الذين يقولون بالعقول العشرة والنفوس وهذه الأشياء هي
التي
تحدث الحوادث في الكون» فهم عطلوا الرب #8 وجعلوا هذه الأشياء هي
التي تتصرف في الكون» وهذا شرك التعطيل.

قوله: (وإن مصدر المخلوقات كلها عن العقول والنفوس)؛ أي: أن
مصدر المخلوقات كلها عن العقول العشرة التي يسمونهاء ولا ندري ما هي
هذه العقول العشرة» وهذا كله من فلسفتهم الباطلة وافتراءاتهم. إِذا ليس
هناك

قوله: (وأن مصدر هذا العالم عن العقل الفعّال هو رب كل ما تحته
ومديّره) فهل بعد هذا الكفر كفر والعياذ بالله.

© © ©

وهذا أشرّ من شرك عبّاد الأصنام والمجوس والتصارى» وهو #
أخبث شرك في العالم» إذ يتضمن من التعطيل وجحد الالهيَّة والربوبيّة
واستثاد الخلق إلى غيره - سبحاته - ما لم يتضمته شرك أمة من الأمم .

وشرك القدريّة مختصر من هذا الباب» وباب يدخل منه إليه؛ *

قوله: (وهذا أشرّ من شرك عبّاد الأصنام والمجوس والتصارى)؛ أي : أن

هذا أعظم أنواع الشرك؛ لأنه جحد الله 0 وجعل هذا الكون مخلوتً
لغير وهذا شر من شرك النصارى؛ لأن النصارى يقولون: الله ثالتثت ثلانة
فهم أثبتوا ثلاثة آلهةء وهؤلاء أثبتوا ما لا يُحصى من الآلهة لهذا الكون» وكذا
شركهم شر من شرك المجوس؛ لأن المجوس أثبتوا خالقّين» وهؤلاء أثبتوا
خالقِين متعددين مع الله ل أو من دون الله؛ وكذا هو أشد من شرك عباد
الأصنام؛ لأن عباد الأصنام يعترفون بأن الله هو الخالق» ولكن يجعلون هذه
الأصنام شفعاء عندهم» فشرك الفلاسفة أشد من شرك عباد الأصنام.

قوله: (وهو أخبث شرك في العالم)؛ بلا شك؛ لأنه عكس الفطرة التي
فطر الله الناس عليها .

قوله: (واستناد الخلق إلى غيره #)؛ يعني : صدور الخلق عن غير الله
من هذه الأباطيل والترهات التي ينسبون إليها أنها تخلق في هذا الكون.

قوله: (وشرك القدريّة مختصر من هذا الباب)» هذا هو النوع الثالث؛ وهو
شرك القدرية وهم المعتزلة» الذين يقولون: الله لم يقدر ولم يخلق أفعال
العباد.
أفعالهم في خلق الله فهم إذَا أثبتوا شركاء مع الله في الخلق؛ (مختصر من
هذا)؛ يعني : كل هذا مختصر من شرك الفلاسفة» وهو أقل منه ولكنه مثله .

قوله: (وباب يدخل منه إليه)؛ يعني: شرك القدرية باب يدخل منه إلى
شرك الفلاسفة» حيث إنهم فتحوا الباب وقالوا: إن بعض المخلوقات وهى
أفعال العياد ليست مخلوقة لله ج

ولهذا شبههم الصّحابة ط بالمحوس» كما ثبت عن ابن عمر وابن عباس أ وقد روى أمل السنن عنهم ذلك مرفوعًا: أنهم (مَخُوسنُ هذه الأول .

وكثيرًا ما يجتمع الشركان في العبد وينفرد أحدهما عن الآخر *#.

والقرآن الكريم؛ بل الكتب المنزلة من عند الله تعالى كلها مصرّحةٌ * بالرد على أهل هذا الاشراك؛ كقوله تعالى : ظإِبَّالكُ نَحَبَّد [الفاتحة: 5]؛ فإنه ينقفي شرك المحبّة والالهيّة؛ وقوله : «إوَإِبَالكَ تَيِتٌ» [الفاتحة: ه]؛ فإته

قوله: (ولهذا شبّههم الصّحابة لأ بالمجوس)ء فقد ظهر أول نفي القدر في آخر عهد الصحابة؛ فالقدرية ظهروا في آخر عهد الصحابة» فأنكروا عليهم وسموهم لمَجُوسنُ هذه الأمة».

قوله: (وقد روى أمل الستن عنهم)؛ أي: : عنا الصحابة. (ذلك مرفوعًا)؛ عن النبي كُليةٍ قال: «الْقَدَرِيَّةٌ مَجُوسسُ هذه الْأُمَّ إن تَرِضُوا فلا تَعُودُوهُمْ وَإِنْ مَانُوا فلا تَشْهَدوهُمْ»!".

قوله: (وكثيرًا ما يجتمع الشركان في العبد وينفرد أحدهما عن الآخر)» فقد يكون بالإنسان نوعان من هذه الأنواع؛ فيكون عنده شرك المجوس» وشرك القدرية.

قوله: (والقرآن الكريم؛ بل الكتب المنزلة من عند الله تعالى)؛ أي : قبل القرآن» (كلها مصرّحةٌ بالرد على أهل هذا الإشراك)» وهو الإشراك في الربوبية» فكل الكتب تثبت أن الخالق هو الله وحده» وهو المستحق للعبادة دون ما سواه.

عر ا

قوله تعالى: «إِيَاكَ نَعَبدٌ وَإِيَالكَ شتيب (©)» هذه الآية فيها نفي الشرك في الألوهية» ونفي الشرك في الربوبية» وذلك أن قوله: «إِيَاكَ نَبْد»

يل أخرجه أبو داود (41497). [ف6) أخرجه أبو داود (4157).

ينقى شرك الخلق والربوبيّة» فتضمّنت هذه الآية تجريد التوحيد لربٍ العالمين فى العبادة. وأنه لا يجوز إشراك غيره معه» لا فى الأفعال ولا فى الألفاظ ولا في الإرادات.

فالشرك به في الأفعال؛ كالسجود لغيره سبحانه؛ والطواف بغير #

هذا حصر للعبادة في الله 35 ؛ لأن تقديم المعمول يفيد الحصرء والمعمول هو «إيَاكَ»» والعامل هو تِتَبُدُ»» فتقديم المعمول على العامل يفيد الحصر؛ أي: حصر العبودية في الله هيك وحده؛ وقوله: «إماإِيَاللَكَ صَتوِثٌ)6 الاستعانة من أفعال المخلوق» والذي يعين ويخلق ويرزق ويحيي ويميت ويدبر «هو الرب 8#؛ فهذا فيه توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية» فالله هو المعين وهو الخالقي وهو الرازق» وهو المدبر.

قوله: (فتضمّنت هذه الآية تجريد التوحيد لربّ العالمين في العبادة» وأنه لا يجوز إشراك غيره معه. لا فى الأفعال ولا في الألفاظ ولا في الارادات). لا في الأفعال كالذبح» والنذرء والركوع» والسجود وغير ذلك من العبادات الفعلية؛ كلها لله ي؛ ولا في العبادات القولية كالدعاء» والذكر وغير ذلك مما يجري على اللسانء وكذلك العبادات القلبية كالخوف» والرغبةء والرجاءء والرهبةء والمقاصد فى العبادات والنياتء فكلها يجب أن تكون لله فِيكَء فالعبادات العملية التى على البدن» والعبادات القولية التي تكون باللسان والعبادات القلبية في النيات» العبادات في القلب كالمحبةء والخوف» والرجاءء والإنابة» والتوكل وغير ذلك» فالعبادات لا تخرج عن هذه الأنواع الثلاثة: إما بدنية؛ وإما لسانية» وإما قلبية.
قوله: (فالشرك به في الأفعال؛ كالسجود لغيره 8#)؛ أي: السجود بالبدن.

قوله: (والطواف بغير بيته المحرّم)ء فالطواف عبادة ولا يشرع إلا

وحلق الرأس عبوديّةٌ وخضوعًا لغيره؛ وتقبيل الأحجار غ غير الحجر الأسود الذي هو يمينه فى الأرضء

بالكعبة المشرفةء ولا يجوز أن يُطاف بالقبور ولا بالمقامات؛ ولا بالأمكنة والآثار التي ينسبونها إلى الأنبياء والصالحين؛ لأن هذا شرع دين لم يأذن به اللهء فلم يشرع الله الطواف إلا بالبيت العتيق» فإذا كان الطائف يتقرب بهذا
الطواف إلى غير الله كأن يتقرب لصاحب القبرء فهذا شرك أكبرء وإن كان ينوي الطواف لله ولكنه يؤديه بهذا المكان الذي لم يشرع الله الطواف بهء فهذا بدعة؛ لأن الله لم يشرع الطواف إلا بالبيت العتيقء ولا يطاف بغيره من أي مكان.

قوله: (وحلق الرأس عبوديّةٌ وخضوعًا لغيره)» حلق الرأس يكون عبادة ويكون مباحا :

إذا حلقته لأجل التخلص من الأذى ومن القمل ومن الأوساخ» وأن تسلم من كُلف تغذية الرأس» فهذا مباح .

وإذا حلقته أو قصرته من أجل النسك والتعبد؛ فهذا لا يكرن إلا ف فلا يحلق للقبرء ولا لغيره من المخلوقات» فيكون الحلق أو التقصير عبادة؛ إذا كان في الحج أو العمرة» فالحلق أو التقصير من مناسك الحج أو العمرة فقط ؛ فهو عبادة لله 48 ؛ لأن هناك من يحلقون رؤوسهم للأضرحة والأصنام.

قوله: (وتقبيل الأحجار)؛ أي: تقبيل الأحجار تبركًا بهاء هذا نوعٍ من العبادة؛ لأن البركة من الله وحده وهي فيما جعله الله مباركًا .

قوله: (غير الحجر الأسود الذي هو يمينه في الأرض). الله لم يشرع لنا تقبيل حجر أو بناء أو غيره إلا الحجر الأسود؛ لأنه من شعائثر اللهء والنبي كَلةٍ استلمه وقبّله عبادة لله وليس عبادة للحجرء ولكن لأن الحجر مشعر من مشاعر العبادة» فنحن قله أو نستلمه أو نشير إليه تعبدا لله 38؛ ا
حجر لا ينفع ولا يضر؛ ولهذا قال عمر أنه لما قبل الحجر: «إ: ني أَعْلَمُ أَنَكَ

أو تقبيل القبور واستلامها والسجود لها
حَجَرٌّ لا نَضْرٌ ولا تَنْقَعٌ» وَلَّلا أنّي رأيت النبي قله يُقَبْلْكَ ما قَبَلْتُكَ”"؛
فالمسألة مسألة اتباع للرسول كِلة؛ عبادة لله 45ء فأنت تقبله لا تتقرب إليه وإنما تتقرب إلى الله» وتعبد الله الذي أمرك بذلك» وأما تقبيل المقامات والأضرحة والقبور والشبابيك التي عليها فهذا من فعل المشركين» وهو تقرب إلى غير الله 8#. فالقبور لا تُقبَلل لا جدرانها ولا شبابيكها» ولا قبر النبي كي ولا قبر غيره» فما شع لنا إلا هذا الحجر الذي هو يمينه في الأرض)ء كما في الحديث: يني الوُكنُ َو الْقِيَامَةِ أظم مِنْ أبي ُيْسٍ ؛ لَهُ لِنَانُ وَشَكَتَانِ تَكَلّمْ تَمنِ اسْتَلَمَهُ بالنيّةِ» وَهُوَ يَمِينُ الله التي يُصَافِحٌ بها علق أي: هوَ ً بمنزلة يمينه ومصافحته» فمن قبّله وصافحه فكأنما صافح الله ؛ لأنه شعيرة من
شعائره؛ فهو تيَمِينُ الله» بمعنى أنه من شعائره» وليس يمين الله بمعنى يد الرب يل فالله تعالى ليس منه شيء في الأرضء الله ## في السماء ولكن يمينه في الأرض , بمعنى أنه مشعره في الأرض» ومحل عبادته .

قوله: (أو تقبيل القبور واستلامها والسجود لها)» لم يشرع الله لنا تقبيل القبور واستلام القبور والسجود لها؛ لأن هذا من دين المشركين.

© ©

)١(أخرجه البخاري)1947(.
(؟) أخرجه الحاكم في المستدرك)1181(.

قوله: (وقد لعن النبى كَليةٍ من اتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد) فى أحاديث كثيرة صحيحة؛ نهى النبي كِةٍ عن اتخاذ القبور مساجدء ونهى عن البناء على القبور» ونهى عن تجصيصها والكتابة عليهاء ونهى عن إسراجها بالسرج» وتبخيرها بالبخور» كل ذلك نهى الرسول كَليةٍ عنه؛ لأنه من وسائل الشرك» وعبادة غير الله والغلو في القبور» والآن يبنون عليها ويجعلون لها صناديق» وسدنة؛ ويجمعون الأموال من المساكين» ويتقاسمونها؛ ويجعلونها مصدرًا أو موردًا ماليًا للبلد. وأغروا الناس في عبادتها والعياذ بالله. أكلوا أموالهم بالباطل وأفسدوا عقيدتهم» فهذا هو ديدن القبوريين اليوم؛ أو من رضي بفعلهم» أو اتخذه موردًا من موارد بيت المال في بعض البلاد.

قوله: (مساجد يصلى لله فيها)» المسجد هو مكان الصلاة ولو لم يبن فكل مكان صليت فيه فإنه مسجدء لقوله كل: «وَججْمِلَتْ لي الْأَرْضْنْ مَسْجِدًا وَطَهُورًا»”'"؛ فالمسجد هو مكان الصلاة سواء استمر يصلى فيه أو صليت فيه مرة واحدة ومشيت»؛ فهو مسجد مقت بوقت صلاتك فيه؛ والقبور لا يُصلى عندهاء ولو كان المصلي يصلي لله؛ لأن المكان ليس مكانًا للصلاة؛ ولأن هذا وسيلة إلى الشرك» فإذا رأوك تصلي عندها فإنهم يقتدون بك ويظنون أنك
تصلي لأجل القبر وبركته؛ فيصلون عنده ويتبركون به فلذلك سد النبي كَل هذه الوسيلة ونهى عن الصلاة عند القبور» وإذا بُني عليها مسجدًا فالأمر أشدء
قال كَةٍ لأم سلمة ينا لما ذكرت له كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور : «إِنَّ أُولَئِكَ إذَا كَانَ فِيهِمُ الرّجُلُ الصَّالِعُ قَمَاتَ توا عَلَى قَبرهِ مَسْجِدًا وَضَرَّرُوا فِيهِ يِل الصُّوَرَ ا شِرَارٌ الْخلْقِ عِنْدَ الل يَوْمَ لْقِامَقَ"'. فإذا بني عليه مسجد فالأمر أشدء ولا تجوز الصلاة في هذا المسجد؛ لأنها صلاة عند

)١(أخرجه البخاري (705*). () أخرجه البخاري)/477(.

فكيف من اتخذ القبور أوثانًا تعيد من دون الله؟ فهذا لم يعلم معنى قوله تعالى: «إِلكَ عبد [الفاتحة: 8]. وفي الصحيح عنه قلق أنه قال: لَعنَ الله الْيَهُوةَ وَالنّصَارَى. اتَّخَذُوا بُورَ أَنْبِيَاكِهِمْ مَسَاجِده يُحَذَرٌ ما»

ضَتَعُواااً". وفيه عنه - أيضًا -: ل

القبرء أما إذا كان يصلي للقبر فهذا شرك أكبرء ولكن إذا كان يصلي لله فهذا حرام ووسيلة من وسائثل الشرك.

قوله: (فكيف من اتخذ القبور أوثانًا تعبد من دون الله؟)؛ أي : كيف إذا صلى لها ودعا أصحابها واستغاث بهم واتخذها أوثانًا تعبد من دون الله ويتقرب إليها بالعبادة» والوثن: هو ما عُبد من دون الله سواء كان على صورة إنسان أو كان شجرّاء أو حجرًا أو قبرّا» فكلها أوثان؛ فالوثن هو ما عُبد من دون الله على أي شكل كان؛ ولهذا قال كِلي: «اللهمٌ لا تَجْعَلُ قَبْرِي وَثَنَّا يُعْبّد""" فجعل عبادة القبر عبادة للوثن» وإن كان قبر نبي ؛ فلا يجوز التقرب إلى الأموات بالاستغاثة والذبح والنذر والصلاة عندها والتبرك بهاء وسيأتي ما يُشرع للقيور ولا يُشرع.

قوله: (فهذا لم يعلم معنى قوله تعالى: «إِيَّاكَ نَعَبدة)؛ أي: لم يفهم معتى قوله: «إِيَاكٌ نَعبد» وأنه حصر للعبادة في الله فهذا عبد غير اللهء فكيف يقرأ هذه الآية بلسانه» ويخالفها بفعله؛ فيعبد غير الله .

قوله كل: «لَعنّ الله الْيَهُودَ والنّصَارَى. اتخَذُوا ثُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ تَسَاحِجِدَ»؛ اليهود والنصارى غلو في القبور فاتخذوها مساجدء بمعنى أنهم يصلون عندها تبركًا بها؛ فلذلك لعنهم النبي كم واللعن لا يكون إلا على كبيرة من كبائر الذنوب» والشرك هو أكبر الذنوب» وكذلك الوسائل المؤدية إليه من أكبر الذنوب» فهذا سد لباب الشرك.

البخاري (4705)» ومسلم (971). الموطأً (947) «)

من شُرَارِ الناس من تَدْرِكُهُمْ السَّاعَةُ وهُمْ أَحْيَاءٍ؛ والذين يتخذون الْقبُورَ» مَسَاجِدَء”'". وفيه - أيضًا - عنه يل#8: «وَإِنَّ من كان بْلَكُمْ كَانُوا يتَّخِذُونَ القَبُورَ مَسَاجِدَ ألا فلا تَتَخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ؛ إني أَنْهَاكُمْ عن ذلك"”".

قوله كلةِ: «من ثرَّارٍ الناس من تُذْرِكُهُمْ الَّاعَةُ وم أحْيَاء»؛ لأن الساعة لا تقوم وفي الأرض من يقول: الله الله» ولا تقوم إلا على شرار الناس الذين لا يعرفون الله؛ لأن القرآن يُرفع في آخر الزمان» وينزع العلم» ويبقى الناس في جهل» ويموت العلماء؛ فيقع الناس في الشركء ويقعون في الكفرء ثم تقوم عليهم الساعة والعياذ بالله» ولا تقوم إلا على شرار الناس» أما أهل الإيمان فيموتون قبل قيام الساعة» تأتيهم ريح طيبة فتنزع أرواحهم ويموتون ويبقى شرار الناس» يتهارجون كتهارج الحمر» هذا صنف منهم.

والصنف الثاني: الذين يبنون المساجد على القبورء وهؤلاء من شرار الناس في كل زمان ومكان» وليس عند قيام الساعة فقط ؛ بل في كل زمان»
ولكن هؤلاء تقوم عليهم الساعة.

ولما نزل به الموت كُةِ وصار في الاحتضار والرمق الأخير» ما نسي الوصية لأمته؛ بل أوصاهم بالتوحيد وإفراد الله بالعبادة» وقال: «وإِنَّ من كان بْلَكُمْ يعني : من الأمم من اليهود واللصارى» «كَانُوا يَتَّخِذُونَ القُبُرَ تَسَاجِدَ؛ ألا فلا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ تَسَاجِدَ إني أَنْهَاكُمْ عن ذلك». خشي أن يتخذ قبره مسجدًا؛ كمن سبقهم مع قبور الأنبياء»؛ وهذا من كمال نصحه كَل فلم يشغله الموت عن ذلك؛ لأنه خشي أنه إذا مات يتبعون فيه سنة من قبلهم؛ فيبنون عليه ويتخذونه مسجدّاء وهذا من نصيحته كليةٍ؛ ولذلك دفنه الصحابة في بيته؛ في حجرة عائشة التي مات فيهاء ولم يخرجوه للبقيع مع الصحابة؛ لأنه حُشي

١(الذي فى البخاري معلقًا (70170): (يِنٌ شِرَارٍ النَّاس مَنْ تُدرِكُهُمْ السَّاعَةٌ(وَهُمْ أَحْيَاء».

وفي مسند الإمام أحمد (1144): رار الناسي الَّذِينَ تَخِذُونَ التْبُورَ مَسَاجِدَ».
انظر: صحيح مسلم (9*7) ().

وفي مسند الأمام أحمد وصحيح ابن حبّان عنه كَلثٍ: «لَعَنَ الله زوّارات لْكْبُورٍ وَالْمُتَخِين عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ جد وَالسُرْجَ» 0

أن يتخذ مسجدًا لو برز؛ فحمي قبره عن الناس بالجدران» وبالحجرة النبوية؛ وكانت الحجرة خارج المسجد» مجاورة للمسجد في عهد الخلفاء الراشدينء وفي عهد معاوية #ه» والقرون المفضلةء فلما جاء الوليد بن عبد الملك في دولة بني أمية» أراد أن يوسع المسجد النبوي فأدخل فيه الحجرة بإشراف «عمر بن عبد العزيز أمير المدينة في عهده» ولم يكن هذا بمشورة أهل العلم ولا برأيهم؛ وإنما هو رأي رآ السلطان ونفذه» فالأصل أن قبره كَةِ ليس بالمسجد؛ لأن هناك من يُشْبّه على الناس الآن ويقول: هذا قبر النبي في المسجد! . والحقيقة أنه ما بني عليه المسجد؛ لأن المسجد بني أول ما هاجر الرسول كلل وليس فيه قبور؛ بل إنه أمر بالقبور التي كانت فيه للمشركين فنبشت وأخرجت؛ ثم بنى مسجده كل ليس فيه قبور» ولكن هذا جاء بعدء وهو من تصرف بعض الولاةء وليس هو بأمر الرسول» ولا بشنة الرسول» ولا بسن الخلفاء الراشدين» فليس في ذلك حجة.

قوله كل: «لَعَنَ الله زوّارات الْقُبُورِ؛ وَالْمْتَخِدَينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالْرْجَ». هذا الحديث فيه مسألتان:

المسألة الأولى: تحريم زيارة النساء للقبور» وأنها كبيرة من كبائر الذنوب؛ لأن النبى كَل لعن زوارات القبورء واللعن لا يكون إلا كبيرة من كبائر الذنوبء فلا تجوز زيارة النساء للقبور» وفي لفظ : « زائرات»""؟» بدل:
زوِّارات»؛ لأن هناك من يقول: الرسول لعن زوارات؛ يعتي: كثيرات»

٠١ وسئنن ابن انظر: مسند الإمام أحمد 017 - كدض وسنن الترمذي بح 19 (- 9114)7١78 ماجه (1067/4)» وصحيح ابن حبان.

مسند الإمام أحمد (7070)» وصحيح ابن حبان (7178) وأبو داود (778) () ١(7). والترمذي

نْ

وقال: يق : «١اشتد غضب الله على قوم اتَّخَذُوا قُبُورَ أنْبِيَائِهِمْ

. تَمَاجده!'؟
الزيارة» أما الزيارة القليلة فلم تمنع. نقول: جاءت رواية: لعن زائرات القبورء فهذه فيها رد على هؤلاء» فالنساء لا تزور القبور» والحكمة والله أعلم أن المرأة ضعيفة إذا رأت قبر قريبها فإنها لا تمنع نفسها من الجزع والبكاء فمنعت من أجل ذلك» وكذلك المرأة فتنةء ولو أنها خرجت إلى المقابر لتزورها انتهز الفساق هذه الفرصة فيحصل مقاسد في المقابر؛ ولذلك منعت النساء من زيارة القبور لأمرين :

١. لضعفهن وعدم صبرهن

"- لأنهن فتنة.

المسألة الثانية: وهذه محل الشاهدء قوله: «وَالْمُتَخِذَين عَلَيْهَا الْمَتَاجِدَ وَالسرُجَ»؛ الذين يصلون عندها أو يبنون عليها المساجد» هؤلاء ملعونون على لسان رسول الله كي كما لعن اليهود والنصارى من قبل؛ لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجدء وكذلك جعل السرج عند القبور ولا تضاء بالمصابيح والكهرباء؛ لأن هذا يغري الجهال؛ إذا رأوها مسرجة ومنوّرة تعلقوا بها وزاروها؛ فسدًا للذريعة فالقبور لا تضاء ولا تسرج؛ نعم إذا احتاجوا إلى «الدفن بالليل فإنهم يأتون معهم بالسراج أو بالفانوس أو بالمصباح الكهربائي ويدفنون الميت مثلما فعل النبي كي لما دفن ميتًا بالليل استعمل السراج؛ وكذلك أصحابه» يأتون بسراج مؤقت لدفن الميت فقط .

قوله كَلة: «اشتدّ غضب الله على قوم اتَّخَذُوا فُبُورَأَنبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ؛ فمع اللعن» اشتد غضب اللهء فهذا يدل على أن هذا كبيرة من كبائر الذنوب» «على قوم

و ا

اتّخَذُوا كُبُورَ أنبِيَئِمْ مَسَاجِدَ» يصلون عندها أو يبنون عندها المساجدء فهذا أشد.

)١(أخرجه الإمام مالك في الموطأ (847)» وابن أبي شيبة)7554(.

وقال: «إن من كان قبلكم كانوا إذا مَاتَ فِيهِمْ الرَّجُلُ الصَّالِ بَنَوا
من م" اع اعم مع . + ولزر أ ا
قبرو مسجذا وصوروا فيه يلك الصَوّرء أوليئك شِرّار الخلق

."”عِنْدَ اشي

قوله كل: «إن من كان قبلكم كانوا إذا مَاتَ فِيهِمٌ الرَّجُلٌ الصَّالِحُ بَنَوا
على قَبْرِه تَسْجِدًا وَصَوَّرُوا فيه تَلْكِ الصُوَرَ» أُولِيَكِ شِرَارٌ الْخَلْقي عِنْدَ اللو»؛
لما
ذكرت أم سلمة زوج الرسول كل كنيسة رأتها بأرض الحبشة عندما هاجرت
إليها الهجرة الأولى وأهل الحبشة نصارى» وذكرت ما رأت في هذه الكنيسة
من الصورء وكما سبق قوله: («من شُرَارٍ الناس من تَذْرِكُهُمْ الَّاعَةٌ وضٌ أَحْيَاء
والذين يتخذون الْكُبُورٌ مَسَاجِدَ»؛ فهم شرار الخلق والعياذ بالله؛ فالذين يبنون
المساجد الآن على القبور هم شرار الخلقء؛ وإن كانوا يزعمون أنهم مسلمون
.وأنهم يحبون الصالحين» فهذا كله لا أصل له

© ©

)١(انظر: صحيح البخاري)477 - 9/877

والناس في هذا الباب - أعني: زيارة القبور - ثلاثة أقسام #:

قوم يزورون الموتى فيدعون لهم. وهذه الزيارة الشرعيّة * .

وقوم يزورونهم يدعون بهمء فهؤلاء هم المشركون في الالهية # والمحبّة!".

وقوم يزورونهم فيدعونهم أنفسهم, وهؤلاء هم المشركون في #

إذا سألت عن زيارة القبور وقلت: ما حكم زيارة القبور؟ فالجواب: أن فيها تفصيلًا سيذكره الماتن.

قوله: (قوم يزورون الموتى فيدعون لهم. وهذه الزيارة الشرعية)؛ إذا كان قصد زائر القبور الدعاء للميت فهذه الزيارة المشروعة؛ لأن الزيارة الشرعية لها
فائدتان:

الفائدة الأولى: الاعتبار والاتعاظ» بتذكر بالآخرة» كما قال كلة: «فَإِنَهَا يُدُرْ الآَخِرَة!". ا

الفائدة الثانية: أنك تدعو للميت؛ لأنه بحاجة إلى الدعاء والاستخفار له.

قوله: (وقوم يزورونهم يدعون بهم)؛ أي: يتخذونهم وسائط بينهم وبين الله» يزعمون أنهم يشفعون لهم عند الله (يدعون بهم)؛ أي : بواسطتهم.

قوله: (فهؤلاء هم المشركون في الالهية والمحبّة) إذا زاروا القبور يقصدون أن يتخذوا الأموات وسائط ووسيلة إلى الله يتقربون إليهم» ويعبدونهم
لأجل أن يقربوهم إلى الله ومن أجل أن يشفعوا لهم» فهذه زيارة شركية.

قوله: (وقوم يزورونهم فيدعونهم أنفسهم)؛ أي: يدعون الميت.

في بعض النسخ: «وهؤلاء هم المشركون وجهلة العوام والطغام من 0

)١(.«غلاتهم

في بعض النسخ: «وقوم يزورنهم فيدعونهم أنفسهم وقد قال النبي كَيةٍ: («9)
«اللَهُمّ لا
. «تجعل قبري وثنا يعبد

)١٠166(. أخرجه الترمذي (©)

يا لاب اب ل ا أب د ا أ ليد د ا أ يا أي ا أي ابد ايد أي ا اجا ا ا أو اجا أ ا أي أي
أي أي كا د اا ا لس ا ل ا اس ا ا اس أ اس ا ا اس ا ا ام د ا ا ا ا ا ل ا ا

والخلاصة: أن الذي يزور القبر لا يخلو من ثلاث حالات؛ يدعو للميت فهذه زيارة مشروعة» أو يزور القبر يدعو الله عند قبر الميت» وهذه زيارة بدعية» لأن القبر لا يُدعى عنده» ولا يصلى عنده» أو يزور القبر ليدعو الميت» فهذا شرك أكبر.

قوله: (وهؤلاء هم المشركون في الربوبيّة) وكذا في الألوهية؛ لأآن الدعاء من الألوهية؛ ولأن توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية .

© © .

وقد حمى النبيّ كَل جانب التوحيد أعظم حماية؛ تحقيقًا لقوله #
تعالى: إِيَاكَ عبد [الفاتحة: 5]» حتى نهى عن الصّلاة في هذين
الوقتين؛ لكونها ذريعة إلى التّشبه بعبّاد الشّمس الذين يسجدون لها في
هاتين الحالتين. وسد الذّريعة بأن منع من الصّلاة بعد العصر والصّبح
لاتصال هذين الوقتين”'' اللذين يسجد المشركون فيهما للشمس.

النبي كله بين التوحيد أولًا ووضحه لأمته» ثم حماه من أن يغير أو أن
يدخل فيه شيء مبتدع فسد الوسائل التي تفضي إلى الشرك.

قوله: (حتى نهى عن الصّلاة في هذين الوقتين) نهى عن الصلاة بعد
العصر حتى تغرب الشمس» ونهى عن الصلاة بعد الفجر حتى ترتفع الشمس؛
لأن المشركين يعبدون الشمس عند غروبهاء. وعند طلوعهاء فيسجدون لها إذا
بزغغت» ويسجدون لها إذا غربت» فنحن لا نتشبه بهم في هذين الوقتين» فلا
نصلى لله فى هذين الوقتين؛ لأن هذا فيه التشبه بعبّاد الشمس عند غروبها أو
عند طلوعهاء هذا من سد الوسائل التي تفضي إلى الشرك.

قوله: (بعبّاد الشمس الذين يسجدون لها في هاتين الحالتين)؛ عند
الغروب وعند الشروق يسجدون لهاء يسجد لها الكفار» فهينا عن الصلاة في
هاتين الوقتين. ولكن لا بد من التنبيه أن من نام عن صلاة العصر أو نام عن
صلاة الفجر ولم يستيقظ إلا عند غروب الشمس أو عند طلوعها فليبادر
بالصلاة» قال كلة: (مَنْ نَسِيِ صَلَاةٌ أو تام عَنْهَا كُكَتَارَتَهَا أَنْ يُصَلَبَهَا ذا
فلا تؤخر١4[:طه] «(©) ذَكَرَمَاء"" قال تعالى: تَأَقِي أَسَّكزَة إيكرية
الصلاة حتى ينتهي وقت النهي؛ فالفريضة تُصلى في الحال» وإنما النافلة هي
التي لا تصليها في هذين الوقتين؛ فاحتاط النبي كَل في النهي» فهم يسجدون
لها عند الغروب» ويسجد لها عند الطلوع؛ فالرسول احتاط في النهي فحرم
الصلاة بعد العصر مباشرة» وحرم الصلاة بعد الفجر مباشرة احتياطًا للنهي .

في بعض النسخ : «لاتصال هذين الوقتين بالوقتين اللذين يسجد 0(
المشركون فيهما للشمس».
أخرجه مسلم (184) (7).

وأمّا السّجود لغير الله فقد قال النبي كلة: ١لا يَنْبَفِي أَحَدٍ أَنْ #
يَسْجْدَ لأَحَدٍ إلا لله»”'". ولا يَنْبَفِي؛ في كلام الله ورسوله كِلِلٍ إنما يستعمل
للذي هو في غاية الامتناع؛ كقوله تعالى: وما 851" لمن أن يتَخِذَ
«: كنا © 1مريم: 147 وقوله تعالى : وما عَلَمْتَهُ اليَحْرَ رَمَا ينض
وقوله تعالى: وما تت 0 الشَبْطِينٌ 1 وما يت َتى تب «[يس: 14]

٠١ وقوله تعالى : ما كان يني ينبن آنآ أن تَشيْدَ بن يوك 72 ٧١١[« :الشعراء]

ل [الفرقان: 718).

السجود لا يكون إلا لله فين وكذا الركوع والانحناء من باب التحية

. والتعظيم لا يجوز؛ لأنه هذه عبادة لغير الله فك
يبين المؤلف كلمة «لا يَنْبَفِي» في كلام الله ورسوله أنها في غاية الامتناع

والنهي» فهي كلمة فيها غاية النهي والتحذير العظيم عن الشيء.

قال الله تعالى في حق الرسول كلة: «وَمَا عَلَتَتَهُ اليَعْرَ دما يشي لَث:»؛
لأن المشركين يقولون: إنه شاعرء وأن هذا القرآن شعرء فرد الله ف بقوله:
إوَمَا عَلَتَتَهُ ألمِعرَ»؛ فالرسول لا يحسن الشعرء حتى إنه إذا أراد أن ينشد»
البيت لا يستطيع أن ينشده على أصله؛ لأنه لم يُعلّم الشعر عليه الصلاة
والسلام.

وقوله تعالى : ما كَآن يبن لآ أن تَتَدَ بن يُوتلك بن أَبليَآه» دل على أن
كلمة «لًا يَنْبَفِي» هي كلمة عظيمة. ولها معنى عظيمء فهي تقتضي شدة
التحريم .

جاء في صحيح ابن حبان (4137) بلفظ: «ما ينبغي لأحد أن يسجد لأحد»؛ «)
وفي
المستدرك (77784) بلفظ: «لو كان يتبغى لبشر أن يسجد لبشر لأمرت
الزوجة أن
تسجد لزوجهاء» وفي المصنف لابن أبي شيبة (17177) والدارمي (17)
بلفظ : «لا
ينبغي لشيء أن يسجد لشيء؛ ولو كان ذلك لكان النساء يسجدن لأزواجهن».

شرح تجريد التوحيد المفيد : 1
هذا

«ومن الشرك بالله تعالى المباين لقوله تعالى: «إِيَاكَ نَحَبد #
الشرك به في اللفظ كالحلف بغيره؛ كما رواه الإمام الحمد [الفاتحة: ه]
وأبو داود عنه كل أنه قال: «مَنْ خَلَفَ بِغَيْرِ لله فَقَدْ أشرلَا!ا". صحّحه
الحاكم وابن حبّان”". قال ابن حبّان: أخبرنا الحسن بن سفيان. ثنا
عبد الله بن عمر الجعفي؛ ثنا عبد الرّحيم بن سليمان؛ عن الحسن بن
عبيد الله النخعيء» عن سعد بن عبيدة؛ قال: كنْتُ عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ

الشرك الأصغر نوعان:

الأول: شرك ظاهر على اللسان بالألفاظ» مثل: لولا الله وأنت؛ ما
شاء الله وشثتء وكذا الحلف بغير الله هيك هذا كله من الشرك في الألفاظ .

الثاني : وشرك في القلب» وهو الشرك الخفي» وهو مثل الرياء والسمعة
وإرادة الإنسان بعمله الدنيا وما أشبه ذلك؛ أي: الشرك في المقاصد.

قوله كلةٍ: «مَنْ خَلَفَ بِغَيْرِ الله فَقَدْ أَشْرَكَ» دليل على أن الحلف بغير الله
من الشرك» ولكنه شرك أصغر؛ لأنه شرك في اللفظ .

فلا يجوز الحلف لا بالكعبةء ولا بالنبي» ولا بغيره .

ولما قال رجل للنبي كلة: : «ما شَاء الله وَشِئْتَ»» قال النبي كَللة:
أجعلتني لله ندًا؟»؛ أي: شريكًا» «قل ما شَاء الله وَحْدَة» . وهذا إرشاد»
وتوجيه

من النبي يةَءِ؛ للاحتياط 1 للتوحيد؛ وفي حديث آخر: «قل: ما شَاءَ الله ثم
شاء

فلان»”"""؛ لأن (ثم) تقتضي الترتيب» فتكون مشيئة العبد بعد مشيئة الله .
أما إذا

قلت: ما شاء الله وشت ت» بالواو فالواو ة تقتضي الجمع والتشريك» فلا
تجوز وفرق بين العطف بالواوء والعطف ب(ثم).

مسند الإمام أحمد (0775) وأبو داود (0770 77 ()
المستدرك (7/2815) وابن حبان (رة47) (؟).
أخرجه الإمام أحمد (777718)» وأبو داود (4987) ().

حَلَفَ رَجُل ِالْكَعْبَ فقال ابن عمر #؛: «وَيْحَك لِا تَفْعَلُ فَإِني سَيعْتُ رَسُولَ الله كل يَقُولُ: مَنْ خَلَفَ بِغَيْرٍ الله فَقَدْ أَشْرَكَ». ومن الاشراك قول القائل لأحد من النّاس: ما شاء الله وَشِئْتَ» كما ثبت عن النبي كَلةٍ أنه قال له رجل: ما شاء الله وَشيِئْتَ. فقال: «أجعلتني لله ندًا؟. قل ما شاء الله وَحْدَه”'". هذا مع أن الله تعالى قد أثبت للعبد مشيئة؛ كقوله تعالى: لسن َه ينكم أن يَتَقِمَ (©)6 [التكوير: +]. فكيف بمن قال: أنا متوكل على الله وعليك» وأنا في حسب الله وحسيك.

قوله: (هذا مع أن الله تعالى قد أثبت للعبد مشيئة)؛ العبد له مشيئة بلا شك» قال تعالى: «لمَن شه نكم أن يَتَتَقِمَ ل(ونا تَتَامُونَ إلا أن يتا اله رن الْعَلَمِيت © [التكوير: 78 14]» فالعبد له مشيئةء ولكنها لا تكون إلا بعد مشيئة الله 8# ليست استقلالية كما يقوله المعتزلة» قوله تعالى : «إمَا كَكَتودَ إل أن يدَه اند أثبت للعبد مشيئة ولكنها لا تكون إلا بعد مشيئة الف فقد تشاء شيئًا ولا يحصلء ولكن لو شاء الله شيئًا فلا بد أن يحصل؛ فمشيئتك تأتي بعد مشيئة الله .

قوله: (فكيف بمن قال: أنا متوكل على الله وعليك)» التوكل نوع من أنواع العبادة؛ فلا يجوز أنك تقول: متوكل على الله وعليكء ولكن يجب عليك أن تقول: أنا متوكل على الله وقد وكلتك في هذا الشيء» ولا تقل: توكلت عليك؛ بل قل : وكلتك . ا

قوله: (وأنا في حسب الله وحسبك)؛ يعني : أنا في كفاية الله يكفيني وأنت تكفيني» لا؛ فالله #8 هو الحسب وحده. قال تعالى: إكأيهًا آلَيُّ حَبْكٌ أَلَّهُ وَمَنِ أَكَ بينّ الْنيْسِيت 66 [الأنفال: 14]؛ أي: وحسب من اتبعك من المؤمنين؛ فالحسب من الله ل

١(أخرجه الإمام أحمد () والبخاري في الأدب المفرد (787)» والطبراني« في
الكبير (1778749).

.وما لي إلا الله وأنت؛ وهذا من الله ومنك» وهذا من بركات الله وبركاتك
والله لي في السماء وأنت لي في الأرض. وازن بين هذه الألفاظ الصادرة
من غالب النّاس اليوم وبين ما نّهي عنه من: ما شاء الله وشعت؛ ثم انظر
«أيّها أفحش؟؛ يتبيّن لك أن قائلها أولى بالبعد من ظَاَّاِكَ نَعَبَدي
وبالجواب من التبى تل لقائل تلك الكلمة. وأنه إذا كان قد جعل
.رسول الله كل ندا فهذا قد جعل من لا يدانيه لله نذًا

قوله: (وما لي إلا الله وأنت)»؛ الواو هذه تشريكية؛ تقتضي الجمع؛
.ولكن لو قلت: ما لي إلا الله ثم أنت» فلا بأس

قوله: (وهذا من الله ومنك) هذا شرك في اللفظ؛ حيث سوّيت
«المخلوق بالخالق؛ لأن الواو تقتضي التسوية؛ فإذا جئت ب(ثم) زال المحظور
هذا من الله ثم منكء يعني: بسببك» وكذا قوله: (وهذا من بركات الله
وبركاتك)» وقول: (والله لي في السماء وأنت لي في الأرض!!) هذا لا
يجوز؛ قالله ل في السماء وفي الأرض علمه» 0:1 له يتل ما في ألتَمَوّتِ َمَا
فى الّتَتضة [المائدة: 47] وما يجري فى الأرض فهو من تقدير الله فيك ؛
فالله
له ما في السماوات وما في الأرض خلقًا وعبيدًا وتدبيراء «َإوَهُوٌ أنه في
آلسَعَوَتِ وف الأ تلم يِزَكُمٌ وَجَهْنًّ زَيتْلمّ نا تَكْيِبنَ © [الأنعام: ©]؛ فالله
.في السماء وعلمه في كل مكان

فلا يجوز هذا الكلام إلا بهذه التقييدات النبويةء؛ حماية للتوحيد» وإن
كان المسلم قالها لا يقصد بقلبه ذلك. ولكن هذا شرك في الألفاظ ؛ فلسدّ
.الذريعة يُنهى عن ذلك حتى وإن كان باللسان

© © ©

وبالجملة: فالعبادة المذكورة فى قوله تعالى: «إِيَّاكَ نَحَبْدٌ» هى #
السَجودء والتوكل, والاتابة» والتقوى» والخشية» والتوبة؛ والتشذر؛
والحلف» والتسبيح» والتكبير» والتهليل, والتحميد, والاستغفانء وحلق
. الرأس خضوعًا وتعبَّدًا والدعاء» كل ذلك حق الله تعالى
وفي مسند الامام أحمد: أن رجلا أتى به إلنبى كَللةٍ وقد أذنب #
ذنبّاء فلما وقف بين يديه قال: اللّّهُمّ إني أَتُوبٌ إِلَيْك. وَلَا أثوبٌ إلى
مُحَمَّدٍ فقال كَتلةٍ: لعَرّفَ الْحَيَّ عليه" . أخرجه الحاكم من حديث
.'"!الحسن عن الأسود بن سريع وقال: حديث صحيح
في قوله تعالى: «إِيَّاكَ عبد حصر للعبادة لله فيك يفيد بطلان عبادة
ما سواه» وهذه الآية فيها معنى: (لا إله إلا الله)؛ لأنها تتضمن النفي
والإثبات الذي تضمنته (لا إله إلا الله)» «إِيَاكَ عبد هذا معناء نفي العبادة
عما سوى الله 8؛ لأن تقديم المعمول يفيد الحصرء كما هي القاعدة عند
أهل اللخ فالمعمول هنا: «إياك» والعامل «نجد»؛ فتقديم المعمول على
العامل يفيد الحصر؛ أي: حصر العبادة في الله ي3؛ وبطلان عبادة ما سواه
وهذا هو معنى (لا إله إلا الله) تمامّاء بقي أن نعرف ما هي العبادة؟ العبادة في
الأصل الذل والخضوع مع المحبة؛ فهذا أصل العبادة» وكما قال الإمام ابن
:القيم كلَثْهُ في النونية
وعبادة الرحمئ غاية حبه مع ذل عابده هما قطبان
وعليهما فلك العبادة دائر ما دار حتم قامت القطبان
ومداره بالأمر أمر رسوله لا بالهوى والنفس والشيطان
فأصل العبادة هو المحبة مع الذل والخضوع؛ فهما قطبا العبادة» فالعبادة
كلها تدور على هذين كالفلك الذي يدور على القطبء وأنواع العبادة كثيرة

)١( )10587(وفيه: أتي بأسير. (؟) المستدرك)73585(.

وال اه أ لما لاا اي اا| لجا ل ل أ ااا أو أ أي أ أ لا لوا ل اجا بجا أو ل او أ لما أ
ااا أو ا اج أ لها تجاه أ ا اج ادا أواد أ اج لجا اجا لجا ديد ا ا ا ا ا

فكل ما شرعه الله ثلةِ من الأقوالِ والأفعال والاعتقادات والنيات» فهو عبادة؛ ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية كِثثة: «هِيّ اسم جَامِمٌ لِكُلٌ مَا يُسِبَّهُ الله وَيَرْضَاءُ : مِنْ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ وَالطَّاهِرَةَه"'". الظاهرة على الجوارح وعلى اللسان» والباطنة في القلوب من الخوف والرغبة والرهبة والخشية والإنابة والتوكل» هذه في القلوب» وأما الصلاة والركوع والذبح والحج وسائر الأعمال والزكاة والصدقات وبر الوالدين» وصلة الأرحام» فهذه أعمال ظاهرة منها ما هو على اللسان كالتسبيح والتهليل والتكبيرِ وعلى الجوارح مثل الصلاة والصيام والحج والعمرة والذبح والنذر وغير ذلك» فجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة لا يستحقها إلا الله ##. فمن صرف منها شيئًا لغير الله
فهو مشرك» الشرك الأكبر؛ لأنه عبد غير الله.

قوله: (وحلق الرأس خضوعًا وتعيّدًا)» حلق الرأس يكون عبادة إذا قصد به الامتثال لأمر اللهء وطاعة الله وهذا يكون في النسك في الحج والعمرة« قال تعالى: يِب وس مْكَيَرِنَ لعافت » [الفتح: 77]» والنبي كي قال: «اللَّهُم ا غفْرِ لِلْمُحَلِّقِيئيَ». ثلاث مرات» وقال في الرابعة: وِلِلْمُقَصَرِينَ".؛ فحلَق الرأس في النسك عبادة لله 8# والذي يحلق رأسه» للصنم أو من يعظمه دون الله فهذا شرك باللهء كما يحلق المشركون رؤوسهم
عند الأصنام وعند القبور وعند الأضرحة»؛ وهذا شرك بالل فل .

قوله: (اللَّهُمٌ إني أَنوبٌ إِلَيْ)؛ أي: إلى الله 3؛ (ولًا أَثوبٌ إلى مُحَمَدٍ)؛ فالتوبة عبادة» والاستغفارِ عبادة» ولا تكون للمخلوق؛ فالنبي كَيةٍ صوّبه على هذاء وقال: #خَرَفَ الْحَيَّ لأَهْلِوِ. فالله هو أهل العبادةء «وَما

و كا

ددرن إلا أن َه 21 ةُ و أَعْلٌ التَنَوَئ يَأَعْلُ الْعَفِرَوَ © [المدثر: 876].

)١(مجموع الفتاوى)٠٥9/٠١(. (؟) أخرجه مسلم)١707(.

وأما الشرك في الارادات واليّات: فهو البحر الذي لا ساحل له؛ #

قوله: (الشرك في الارادات والتيّات)» هذا يسمى الرياءء وهو شرك خفي؛ لأنه بالقلوب» لا يعلمه إلا الله وهو الذي خافه النبي كَيةٍ على أصحابه؛ فقال: إن أحْوّق ما أَعَاف َلَيْكُمْ اسوك الأَصْعَدُ»ٍقَالُوا: وَمَ الشَّرْكُ الْأَصْغَرُ يا رَسُولَ الل؟ قَالَ: «البُيَافه!. وفي رواية: «آلَا أُحْرِكُمْ بِمَا هوّ أَخْوَفٌ عَلَيْكُمْ بِنّ المَسِيحِ عندي؟»؛ قالوا: بَلَى» قال: «الشَّوْكُ الخفيء أن قُومَ الرَجُلَ يَعْمَلُ لِتَكَانٍ رَجُلَ!»".

لأن الشرك الأكبر لا يحصل من المسلم» بينما الشرك الأصغر والشرك الخفي قد يحصلان من المسلمء؛ فيّخاف على المسلمين من الرياء؛ يقوم الرجل ليصلي ويجمّل صلاته لما يرى من نظر رجل إليه؛ هذا رياء» يجمل الصلاة ليرائي الرجل الذي ينظر إليه؛ هذا يعتبر شركًا خفيًا في القلب؛ هو يصلي ونحن لا ندري عنه» ولكن الله يعلم ما في قلبه» أنه يرائي بصلاته؛ والرياء يبطل العمل الذي خالطه» فيبطل الصلاة» يبطل الصدقة؛ فيبطل العمل
الذي خالطه إلا إذا تاب منه؛ ورجع عنهء وأخلص العمل لله» فإن الله يتوب عليه؛ وهذا خطير جدّاء وقلّ من يسلم منه» إلا من سلّمه الله وهو كما جاء في الحديث: «الشُّرْكُ أَحْقى مِنْ دَبِيبِ الذَّرّ عَلَى الصَّقَا فِي اللَيْلَةِ الظُلْمَاءِه”؛ الشرك يعني: الرياء» من الذي يرى النملة السوداء على الصخرة في ظلمة الليل؟ فالشرك في هذه الأمة أخفى من ذلك» فهو خطير» فعلى المسلم أن يخلص نيته وقصده لله فك .

قوله: (فهو البحر الذي لا ساحل له)؛ لأنه يدخل في أعمال كثيرة؛ فعلى المسلم أن يحذر منه؛ وأن يخلص نيته لله فل فلا يكون في قلبه قصد لغير الله.

)١(أآخرجه الإمام أحمد (777176). (؟) أخرجه الإمام أحمد)11767(.
)©(أخرجه الحاكم في المستدرك)15/(.

شرح تجريد التوحيد المفيد #إنثم] "ع
: وقل من ينجو منه؛ فمن نوى بعمله غير وجه الله تعالى فلم قم ؛ بحقيقة إيَّاكَ تَحَبّد؛ فإن «إِيَاكَ تحدم هي الحنيفيّة ملّة إبراهيم التي أمر الله»

بها عباده كلهم؛ ولا يقبل من أحد غيرهاء وهي حقيقة الإسلام: 0

قوله: (وقلّ من ينجو منه)ء من المؤمنين؛ فخطره عظيم؛ فالإنسان يريد المدح؛ ويريد الثناء» ويريد المظهر اللائق به عند الناس؛ فيجمل عبادته» أو «يتصنع من أجل المدح والثناء» وهذه هي المصيبة» والرياء يكون فيما يُرى والسمعة تكون فيما يُسمع» يحسن صوته وتلاوته لأجل أن يمدحه الناس؛ ويتجمعون عليه ويفرح هو بهذاء وهذه مشكلة» فعلى المسلم أن يخاف من هذاء يحسن صوته؛ وتحسين الصوت مطلوب» أمر به النبي كل ولكن لا يحسنه بقصد مدح الناس» وتجمع الناس عليه؛ بل يحسته طاعة لله فك .

قوله: (قمن نوى بعمله غير وجه الله تعالى فلم يقُم بحقيقة قوله: «إتَاكَ تيد»)» قوله: لإيَاكُ نَعَبدج» تنفي الشرك الأصغر وتنفي الشرك الأكبر؛ فؤإيَاكٌ تيدم ظاهرًا وباطّاء لا نعبد غيرك» لا بأفعالنا ولا بأقوالنا ولا بنياتنا ومقاصدنا .

قوله: (إيَاكَ نيد هي الحنيفيّة ملّة إبراهيم التي أمر الله بها عباده كلهم)؛ فالتوحيد الخالص هو الحنيفية» ملة إبراهيم» فإبراهيم كان حنيقًا مسلمّاء والحنيف هو: المقبل على الله المعرض عما سواه» يريد بعباداته وجه الله ولا يريد الناس بها وهذا هو الحنيف» وهذه ملة إبراهيم التي أمرنا باتباعها» «مَلَة أَبكُم إِهِيدٌ هو سَكَنَكُم التتلِيينَ» [الحج: 178 فتحن على ملة إبراهيم 189 في الإخلاص لله 38؛ وعدم الالتفات إلى غيره في عباداتنا ونياتنا ومقاصدنا .

قوله: (وهي حقيقة الأسلام)؛ فالإسلام هو التوحيدء فهو إسلام الوجه لله فيك عبَنَ مَنْ أسَلَم رَجْهَهُ لله فكو حُحيِن؟ [البقرة: 117 أَسَتم وَجْهَهُ لِلَه»: هذا التوحيد والإخلاص» فدهو نحينٌ»: أي: تارك للبدع؛

©(ومن يبتع عير الإسَلم دِينا فكن يَقبَلٌ مِنّهُ وهو في الآجِرةَ م 0 مِنّ الْخَبِيِينَ آل عمران: 85]. فاستمسك بهذا الأصل؛ ورد ما أخرجه المبتدعة والمشركون إليه تحقق معنى الكلمة الالهيَّة.

متبع لسن الرسول كله بهذين الشرطين تكون العبادة صحيحة: الإخلاصء والمتابعة» يا لها من آية عظيمة.

قوله تعالى: إن يَبَيع غير الإتكم ديسا قن يُقْبَلَ بنْهُ وَهُوٌ في الْأَخِرّةَ بن الْبِنَ (4)28 [آل عمران: ف8]ء المراد بالإسلام م هنا: التوحيدء وإسلام الوجه لله يخ وإخلاص العمل لله فين وهو دين جميع الأنبياء .

قوله: (قاستمسك بهذا الاصل)ء وهو الإخلاص لله 35 والاتباع للرسول كية.

قوله: (وردٌ ما أخرجه المبتدعة والمشركون إليه تحقق معنى الكلمة الإلهيّة)» ورد كل ما أحدثه المشركون والمبتدعة؛ لأنه مخالف لهذا الأصل؛ فالمبتدعة مخالفون لشريعة الرسول كِللةٍ والمشركون مخالفون للتوحيد والعقيدة.

ج. ©

فإن قيل: المشرك إنما قصد تعظيم جناب الله تعالى» وإنه *
لعظمته لا ينبغي الدخول عليه إلا بالوسائط والشفعاء؛ كحال الملوكء
فالمشرك لم يقصد الاستهانة بجناب الربوبيّة؛ وإنما قصد تعظيمه» وقال:
إنما أعبد هذه الوسائط لتقربني إليه» وتدخل بي عليه؛ ممم ممم ممم مقف

هذه الشبهة. يقولون: إن الذين يعبدون الأولياء والصالحين والقبور
«قصدهم تعظيم الله؛ لأن الله عظيم ولا يصل إليه أحد إلا بواسطة وشفعاء
فنحن نتخذ هؤلاء شفعاء عند الله لعظمة الله 0# انظر كيف يطورون
الشركء
ويزخرفونه» ويجعلون الشرك تعظيمًا للهء مع أن الشرك تنقّص لله ف ؛ لأننا
لا

«١ لله عُخلصِينَ لَه آليّنٌ تصل إلى الله إلا بواسطة هؤلاءء والله ل يقول: اغا
ويقول: «وَإِدًا الك عبادى عق قَاِقَ كَرِبٌ جيب دَعوة الع ١40[« :غافر]
ان [البقرة: 187]» ولم يقل بواسطة فلان أو علانء وقولهم: (وأنه لعظمته
لا ينبغي الدخول عليه إلا بالوسائط والشفعاء؛ كحال الملوك) من بني آدم لا
يصل إليهم أحد إلا بالوسائط والشفعاء والوزراء» ونقول: الملوك والرؤساء:

أولًا: لا يعلمون أحوال الناسء فيحتاجون إلى من يبلغهمء والله 8
يعلم كل شيء.

وثانيًا: الملوك ولو علموا حوائج الناس» فهم لا يريدون قضاءهاء إلا
لو جاءهم شفيع وألح عليهم وأثّر عليهم فهم بحاجة إلى هذا الشفيع؛ فهم
يقبلون شفاعته وواسطته؛ لأنهم بحاجة إليه. بحاجة إلى الوزير» وإلى
المستشار فلو ردهم نفروا عنهء» ولم يصبحوا له وزراء ولا مستشارينء» وهو
بحاجة إليهم» ولكن الله ليس بحاجة إلى أحدء فليس بحاجة إلى مُعين ولا إلى
وزير ولا إلى ظهيرء فهذا قياس باطل؛ لأنه قياس مع الفارق العظيم؛ فالله لا
يُقاس بخلقه ث#. هذا ملخص الرد الذي سيأتي .

قوله: (وقال: وإئما أعبد هذه الوسائط لتقربنى إليه. وتدخل بى عليه)
هذا هو الذي قاله المشركون من قبلء تبت ين وبي آم ما آلا بعكم

فهو الغاية وهذه وسائل.
فلم كان هذا القدر موجبًا لسخط الله تعالى وغضبه» مخلاًا في #
النان وموجبًا لسفك دماء أصحابه واستباحة حريمهم وأموالهم؟.

وهل يجوز في العقل أن يشرع الله تعالى لعباده التقرّب إليه #
بالشفعاء والوسائط» فيكون تحريم هذا إنما استفيد بالشرع فقط ؛ تمر
موموء

ا ما ررم ب أدص قا ».| ابضيهاً
و

م ور
يَنَفَعهُمٌ وَيَعُولونَ مولا شُفَعتونا عِددٌ أل [يونسن: ٨1]ء فنحن لا نصل إلى الله
إلا بواسطتهم.
قوله: (فهو الغايةء وهذه وسائل)ء وسائل ووسائط ووسيلةء ويشبهون
على الناس بقوله تعالى: «إكآيا الريت مثا تفقوا نه تَبَتَمُوا ريه
لْوَصِيئَدٌة» [المائدة: 5*]» فيفسرون الوسيلة بالواسطة؛ في حين أن الوسيلة
هي
الطاعة والقرب من الله ##» فالوسيلة إلى الله طاعته وامتثال أمره
واجتتاب

هك اس

نهيه؛ وليست الوسيلة الأشخاص» فهذا تفسير باطل» فقوله: «أنلَِكَ الِب
يع تعونت إلِ زَيُهِرٌ الوّسِيلِدَة» [الإسراء: 57] أي: القرب منه سبحانه؛
أَتِدَ ان بتك أي: يَدعوهم الكفارء يتك إِدَ نَيَهِدُ آلَسِبِتد»؛
أي: هم أنفسهم بحاجة إلى أن يتقربوا إلى الله بالطاعة والعبادة؛ فكيف
يُعبدون مع الله كك وهم عباد؟ .

قوله: (فلمّ كان هذا القدر موجبا لسخط الله تعالى وغضبه» مخلدًا في
الثار وموجبًا لسك دماء أصحابه» واستباحة حريمهم وأموالهم؟) يقولون: إن
قصدنا تعظيم الله؛ واتخذنا هؤلاء الشفعاء ليقربونا إلى الله زلفى» وليشفعوا
لنا
عند الله» فلماذا تكفروننا وتقاتلوننا وتسفكون دماءنا وتسبون نساءنا كما فعل

النبي قل مع المشركين؛ قاتلهم وهم يقولون: كَؤْلَاء شُكَزا عند آله
ء «ِلِقَرَيناَ إل أنَّهِ ذل [الزمر: ؟]» والرد عليهم أن يقال: (وهل[يونس: «١]
يجوز في العقل أن يشرع الله تعالى لعباده التقرّب إليه بالشفعاء والوسائط)؛
ف(هل يجوز في العقل) قبل الشرع؛ فالفطر تتكر أن الله #8 بحاجة إلى

أم ذلك قبيح في الشرع والعقل» يمتنع أن تأني به شريعة من الشرائع» وما السر في كونه لا يغفر من بين سائر الذنوب» كما قال تعالى: ل ل ا
.ينْفِرُ أن شرك بء يقر ما ذً ذَلِكٌ لمن مُاء [النساء: م]

الوسطاء والشفعاء» لأنه يعلم كل شيءء ولأنه أرحم الراحمين» فلا يحتاج إلى من يؤثر عليه ويُعقلقه على الناس» هذا في ملوك الدنياء أما الله 8 فليس
بحاجة إلى من يُعلفه على عباده؛ ويؤثر عليه في نفع عباده» فهو يريد هذا 8# يريد الرحمة بعبادهء ويريد لهم الخيرء ويريد لهم التوبة
.والاستغفار» فليس بحاجة إلى من يؤثر عليه؛ كما يؤثر الشفعاء عند الملوك

قوله: (أم ذلك قبيح في الشرع والعقل)» فالعقل ينزه الله عن ذلك
والشرع نهى عنه؛ قال تعالى: دوت + من من دوب أنه ما ً م 1
بَتَثْهُرَ يَثْأنَ مَوْلَت مُتَصَرنا عند آل تل أ تُنْرتت لَه يما لا يَمَلَمُ في التَحَوتٍ
ولا في الْأضِ سُبْحَتَهُ وَتَسُلَ عَنَا يروت © [يونس: 18]» فستّاه شركًا
ونزه نفسه عنه. فالآية صريحة في إبطال هذاء وفي الآية الأخرى: ما
تُبُدُم» فقد اعترفوا أنهم يعبدونهم» «(إلا لقنا 0ِ نل إن أله يحِ
«© بَيْنَهُمَ في مَا هُمْ فِيهِ يِخْتشبتُ إذّ أله لا يَهَدِى مَنَ هي 5 كَتَدٌ
فحكم عليهم بالكفر والكذب على الله 8# هذا ما جاء به الشرع [“ :الزمر]
. من إبطال اتخاذ الوسائط من الخلق بينهم وبين الله

قوله: (يمتنع أن تأتي به شريعة من الشرائع)؛ لم تأت شريعة من
شرائع الله بهذا الشيء» كل الشرائع تنهى عن هذا الشيءء وإنما هذا شيء
.أحدثه المشركون والمبتدعة كما سبق

قوله: (وما السر في كونه لا يغفر من بين سائر الذنوب)؛ مع أن
مغفرة الله واسعة؛ إن رَبك ونيم آلْمَعْفرَذكِ [النجم: 37]» فلماذا لا يغفر الله هذا
الشرك» لماذا تقصر المغفرة عن هذا الشرك» قال تعالى: «إِإنٌ أله لا يَخْهِرٌ أن
يشلك بوء وَيَخْرُ ما دن ذَلكَة» من الذنوب والمعاصي والكبائر لمن يشاب

ا لد لا لا ا اا أ ااا أ ا ا أو ام ايد أ ل ا اجا أ ا لجا ا لجا اجا اا اا أو أي ايا اس
أجااد أو ا لوقا اجا ااا أو ادا أ لجا اجا ارج ا ا لد أ اج اج أ د لد اس أ لوا اجا ا
اس ا ا ا ل

فهذا دليل على خطورة الشرك» وأنه لا يُغفر بينما الله غفور رحيمء الله أخير

أنه لا يغفره لمن مات عليه» فهذا يدل على خطورة الشرك» وفى الآية
م ب هي صم ع يدم ميو عرسم اا ا 1 3

الأخرى: «(إِئم من يُشرك بِلَه فَقدَ حرم أنه عليه الجنة وَمَأونةٌ النار دما ايت

بن أنصسار 090 [المائدة: 77]» وفي الآية الثالثة: «ِإينَ شرك لَبَطنَ خَلكَ
اريت © [الزمر: 8+]؛ فالشرك لا يخفره الله ويخلد صاحبه 0
في التار» والشرك يحبط الأعمال كلهاء فالشرك هو أخطر الذنوب» وأعظم ما
نهى الله عنه هو الشركء ومع هذا لا ينرجر هؤلاء عن الشرك؛ بل يتواصون
به ويقولون: هذا هو الدين» وهؤلاء متشددة يكمّرون الناسء وهؤلاء
وهابية. . وما أشبه ذلك من الكلام الباطل» فبدل أن يقبلوا الحق» يقابلونه
بهذه المقابلات القبيحة.

قوله: (وما السر فى كونه لا يغقر من بين سائر الذنوب)» السر هو أن
هذا فيه صرف للعبادة لغير الل هذا هو السر وفيه تنقص لله ككء وتسوية
لغيره به هذا هو السر.

»©

:قلنا: الشرك شركان *
.شرك يتعلق بذات المعبود وأسماثه وصفاته وأفعاله *
وشرك فى عبادته ومعاملته» وإن كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه لا *
.شريك له فى ذاته ولا فى صفاته

هذا هو الجواب عن السؤال» وهو سؤال وجيه ومفيد من المؤلف كلتم
. فتنبه له

قوله: (شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله)» هذا شرك
. في الربوبية

قوله: (وشرك في عبادته ومعاملته» وإن كان صاحبه يعتقد أنه يل لا
شريك له في ذاته ولا في صفاته) هذا الشرك في الألوهية؛ فكثير منهم
يشركون
في توحيد الألوهية. ويخلصون في توحيد الربوبية؛ وهذا دين المشركين» وهذا
:مع الأسف في عقائد المتكلمين الآنء يقررون توحيد الربوبية؛ فيقولون
الشرك هو أن تعتقد أن هناك خالقًا يخلق مع الله» وأن أحدًا يدير مع الله ولا
يعتبرون الشرك في الألوهية شيئًا؛ بل يسمونه بغير اسمه» يقولون: هذا
توسل
وتقرب إلى الله بواسطة الصالحين!» فيسمونه بغير اسمه والعياذ بالله»
فعلينا آن
نتنبه لهذا الأمرء وأن نعالج هذا الأمر بحكمة وعلم ومجادلة بالتي هي أحسن
ونبينه للناس بحكمة وموعظة حسنة» وجدال بالتي مي أحسن» لعل الله أن
يهدي منهم من يشاء هدايته؛ ولا نتركهم ونيأس منهم؛ + هم في ذمتناء قال
تعالى: متَأَبِرٌ عَمْرَتَكَ الَف ©4 [الشعراء:]1 طلَتَتَتَهًا في أَلِينٍ
ردنا قَتَهُرَ إنَا رَجَتَرَا إلَبم كَلَمُمْ ِحَدَريُتَ (4)0 [التوبة: 1177 هذه فائدة
أن الإنسان يطلب العلم ويتفقه في دين الله فائدته أن يدعو إلى الله وأن
يبين
للناس بعد أن يهتدي هوء ويحاول هداية الناس؛ قال كِلةٍ: «مَنْ دَعَا إلى هدى
كَانَ لَهُ بِنَ الأَجْرٍ بِثلُ أَجُورٍ مَنْ تَبِعَهُ لا يَنْقَصنْ ه بْنْ أجُورِهِمْ شئء»”'؟. فهذا

)١(أخرجه مسلم)7374(.

وأما الشرك الثاني وهو الذي فرغنا من الكلام فيه وأشرنا إليه #
.الآن» وى ُ ستشبع الكلام فيه إن شاء الله تعالى

فضل عظيم» وقال كَل لعلي بن أبي طالب: «قَوَاللَه لأنْ يُهُدَى بلك رَجُلَ وَاحِدٌ
خَيْرٌ لك من حُمْرٍ النّعمه'"؛ فالمطلوب أن يحاول الإنسان هداية الناس» مهما
كلفه ذلك؛ لأنه في سبيل الله ولكن لا يعنف على الناس ويقابلهم بالقسوة؛
ولا يقابلهم بالغلظة» هذا يُنفرهمء» ولكن يقابلهم بما أمر الله به «آدْعٌ إل
سَيلِ رَيِكَ بِاليِكْمَةِ زَلْمَوِعَةِ اَن يَحَدِلَهُر ل ع أَصَنٌّ؟» [الحل: ١17]؛
لآن أغلهم جهال ومروج عليهم» أما المعاند والذي لا يقبل فهذا أمره إلى انلف
<إنك لا تهْرى مَن أَحبك تَتكِنَ لله يَبَدِى من بِمَاءُ وَهُوٌ أَعلم بِلْتْهْنَينَ (ل©)#
؛ فالذي يعلم الله من قلبه أنه يحب الهداية يهديه. أما من[القصص: 57]
. يعلم الله من قلبه أنه لا يحب الهداية ولا يريدها؛ فإن الله يضله.؛ عقوبة له

قوله: (وأما الشرك الثاني وهو الذي فرغنا من الكلام فيه وأشرنا إليه
. الآن)؛ أي: الشرك فى الألوهية؛ وهذا سبق الكلام فيه

. © ©

.١(أخرجه البخاري (457؟)(

-*[#شرح تجريد التوحيد المفيد 7
:وأما الشرك الأول: فهو نوعان *
أحدهما: شرك التمطيل. وهو أقبح أنواع الشرك؛ كشرك فرعون *

في قوله: عقوم رب الْعلمِيت تم 10 [الشعراء: 9]73» وقال: «ِيَهْمَنُ أبن لي
نما لَمَلَ مل النبب © لتب التنَعب تطح إ ند تمت تَكٍ

مدير

٠7[. غائر: حل] «لم حكذبا

.قوله: (الشرك الأول)؛ أي: الشرك في الربوبية

:قوله: (شرك التعطيل)؛ وهو قسمان

تعطيل الكون من خالفه» ويقال: إن الكون ليس له خالق» وإنما أوجدته
الطبيعة» أو أوجدته حركات الأفلاك» أو ما أشبه ذلكء هذا شركٍ تعطيلء؛
والعياذ بالله» وهو مشركقء؛ الدهرية وغيرهم يقولون: ممما اً الم م
بتعطيل الخلق من خالقه» ونسبة الحوادث إلى أسباب فقطء «[الجائية: 74]
وإلى أسباب كونية طبيعية» حوادث طبيعة» يقولون: ليس لله فيها تقدير ولا
إيجادء وإنما هي طبيعية» انتبه لهذه الكلمة» لا يقولون: هذه حوادث قدرها
الله
وعقوبات على الناس ويعظون الناس بهاء لا؛ بل يقولون: هذه طبيعية؛
اطمتنواء لا يهمكم هذاء هذه من أمور الدهرء تقد متب تابنا لَه
والنَتَآءُ» [الأعراف: 40]» فهذا شيء طبيعي وقد جرت به العادة» لا تقولوا:
إن
هذه عقوبات على معاص» هذه الكوارث والزلازل والمصائب والأعاصير
بأسباب طبيعية وتجري في الكون» ويهونون على الناس أمرهاء فلا يبقى في
قلوبهم خوف من الله 8# فلا يتوبون منه؛ بل يقولون: يقد تب تابنا
آلصَرَه وَي» فهذا شيء عادي كما يقولون» «إن هذا إلا خلْقٌ الأول ل نا
تن سُذَ 1 [الشعراء: 177 178]» هذا قول قوم عادء فالكسوف
والخسوف أحوال فلكيةء فلا يتصور أن الله يغير فيها؛ وأن الله يحدث عندها
.عقوبات

قوله: (وهو أقبح أنواع الشرك)؛ لأنه تعطيل للكون عن خالقه. ولا

انا ل ل انان نا نا لات بك ب أ أ ا لا ا د أ ا ل ا أ لج اجا أ ايد أو اا أو ادا لوا ا
اا أسا أ أ ساي أ أي الجا أ أ داك امد ام لج دا سد دا أ د أ ا ل ا لج لج ا ا ا

.ينسب الخلق إلى الله» وإنما ينسب إلى الطبيعة وإلى الأسباب العادية

قول فرعون: مما زب آلْتَلَبِيت (0©)» [الشعراء: 77]؟ هذا استفهام
<إنكار والعياذ بالله» وقال: «كأيها آلنَتُ مَا عَلِنتُ تكم بن إلند عَبيى
ء وقال: آنا ريم الْتتلَ (©)» [النازعات: 74]. تظاهر بهذاء وإلا[*القصص: 8]
فهو في قلبه وفطرته يعلم أن هذا الكون ليس من خلقه ولا من تدبيره» وإنما
هو من تدبير الله؛ ولهذا قال له موسى: #لَدْ عت نآ آل مثلم إلا رت
فهو مكابر والعياذ بالل وإلا معلوم أنه لا2٠07 :لسَمَوّتٍ وَالْأَرّضِ [الإسراء

جل م 01 خا الغ المماعدة خا ال كه
يوجد مخلوق من دون خالقء ولا أثر من دون مؤثر» #قأم خَلِقوا من غَيرِ
شَىء أم

بي باد ار 4

ثُم الكيثرة © آم خَكتا التتوب رَالأريٌ بن لا ُبِيْ © أ عِنَتٌ خَنَكيُ
ريك أ كُمْ التُيَبِنَ 0»؛ أي: يأتيهم الوحي من خلاله. «تَيِآنِ ُتَيعُمُ
بط شت)© [الطور: © - 8*]؛ أي: بحجةء إلى قوله: «آم َم له غَيرُ

<رم ا 22

حَنَ أن عَمَا شرن (ع مان يَرَماً كما بن آلَمَ سَاقِطَي» [الطور: 4 44] فلاً
يعتبرون ولا يتعظون؛ بل ميقلا سَحَابٌ تَتُمُ (4» [الطور: 6؛] يقولون: هذا
مطر» يقولون كما قال قوم عاد: «كذًا عَاٌ تُطيي»» [الأحقاف: 74] وما زالوا
في غيهم حتى أخذتهم الريح والعياذ بالله؛ وفرعون يقول: «َإمَا عَلِنْتُ كم
إلنو َب تَفقدَ لي يَهَمَنُ عَلَ أليلين تتتصل ل حَيْحا لَسلَ أ إل اكه
شوب وَإِق لَأَطْنُمٌ > الْكَذِينَ 400 [القصص: 38] انظر إلى جرأته والعياذ
بالله» وهامان هو وزير فرعون يأمره أن يوقد على الطين حتى يصير فخارّاء
ويبني له مقصورة يصعد عليها إلى السماءء ويبحث عن إله موسى الذي

.يدعوكم إليه

د

وا
2

© © ».

والشرك والتعطيل متلازمان» قكل مشرك معطّل» وكل معطّل #
مشرك» لكن الشرك لا يستلزم أصل التعطيل؛ بل قد يكون المشرك مقرًا
بالخالق سبحانه وصفاته ولكنه معطل حق التوحيد.

قوله: (والشرك والتعطيل متلازمان» قكل مشرك معطّل)؛ لأن المشرك
#عطل توحيد الله» وأشرك معه من لا يستحق العبادة» فعطل حق الله 8
وليس كل معطل مشرك؛ فالتعطيل أعم؛ قد يكون المعطل لا يعترف بالله
أصلًا» أما المشرك فهو يعترف بالله؛ ولكن يثبت مع الله شريكًاء فهو معطل
من ناحية ومشرك من ناحية» ولكن المعطل الهرف لا يعترف بالل أصلّاء
وهذا معنى قوله: (لكن الشرك لا يستلزم أصل التعطيل؛ بل قد يكون
المشرك
مقرًا بالخالق 8# وصقفاته ولكنه معطّل حق التوحيد) هذا حال المشركين
الذين
«يعترفون بتوحيد الربوبية» ويجحدون توحيد الألوهية»؛ فهم يعطلون التوحيد

خرر بدي ساسم ام عسي ل 5#

ويعترفون بالله 35» قال تعالى : كين سَألتهُم كَنْ خَلَقَ النَتوبٍ وَالْأضَ تَسَخْ
سق 2 ربط

ألقنس يَلفَمَرٌ لِتْنَ أن تن بٌتَثَ (©4 [العتكبرت: ١د وكين ماهر كن كَل
عم ررم ارمر مككم مم ا سم سرج ب مدع
نك لَه مآ فَأحَيَا يد الْأرّضٌ مِنْ بَدِ مَوْتَهَا لقان أن [العتنكبوت: 7*+]ء
را وي كم مسمس ام ساس م مسر ترك ريخ را اضر
١١ تلن عَأَنَه[:لوكين سَألتهم ثَنْ حَلَقَ السَحَوُتِ وَالأصٌ لقن اند انتمان
عد
م مبيرى ملو 4 ذو

صَ ليقوان 0 [الزخرف : لام]. فهم معترفون بتوحيد الربوبية.

© © ©

إفادة المستقيد في شرح تجريد التوحيد المقيد

:أقسام
.أحدها: تعطيل المصنوع عن صاتعه #
.الثاني : تعطيل الصّانع عن كماله الثابت له *
.الثالث: تعطيل معاملته عمًّا يجب على العبد من حقيقة التوحيد *
ومن هذا الشرك شرك أهل الوّحدة. ومنه شرك الملاحدة القائلين *#
بقدم العالم وأبديته 0

قوله: (وأصل الشرك وقاعدته التي يرجع إليها: هو التعطيل)؛ لأنه

قوله: (أحدها: تعطيل المصنوع عن صانعه)ء هذا من أعظم أنواع التعطيل» جحود الخالق» وجعل المخلوقات أحدثت نفسهاء أو أحدثئتها «الطبيعة» وأحدثتها حركات الأفلاك» والعقول العشرة كما يقول الفلاسفة . ويتخبطون في هذا

قوله: (تعطيل الصّانع عن كماله الثابت له) وهو تعطيل الأسماء والصفات عند الجهمية والمعتزلة.

قوله: (تعطيل معاملته عمّا يجب على العبد من حقيقة التوحيد»). وهذا . تعطيل العبادة لله كن

.قوله: (ومن هذا الشرك شرك أهل الوحدة»)؛ أي: أهل وحدة الوجود
:الذين يقولون: ليس هناك مخلوق وخالق» الكون كله هو الله؛ فالذي يقول إن الكون ينقسم إلى مخلوق وخالق مشرك عندهم» أما الموحد فهو الذي يقول: ليس هناك مخلوق وخالق؛ بل الكون كله هو الله وهم أهل وحدة . الوجود؛ كابن عربي والحلاج» وأتباعهما

قوله: (ومنه شرك الملاحدة القائلين بقدم العالم وأبديّته)؛ أي: من يجحدون وجود الخالق» ويقولون العالم قديم وليس بمحدث.

وأن الحوادث بأسرها مستندة إلى أسباب ووسائط اقتضت إيجادماء ويسمّونها العقول والنفوس. ومنه شرك معطّلة الأسماء والصفات؛ كالجهمية والقرامطة وغلاة المعتزلة.

قوله: (وأن الحوادث بأسرها مستندة إلى أسباب ووسائط اقتضت إيجادها» ويسمّونها العقول والنفوس)» أي : ولا ترجع إلى الله 38؛ وإنما هي أسباب موجودة تؤثرء تأثيرات هذه الأسباب؟ وليس لله فيها تدبير ولا خلق؛ من الذي خلق الأسباب وأوجد الأسباب» الأشياء لها أسباب ولكن من الذي خلق الأسباب» وجعل فيها خاصية المسببات إلا الله يُخؤ؟

قوله: (ومنه شرك معطّلة الأسماء والصفات؛ كالجهمية والقرامطة وغلاة المعتزلة)» هذا النوع الثالث» وهو تعطيل الذين يؤمنون باللهء. ولكن:

منهم من يعبد غير الله وهم المشركون؛ فيعطلون توحيد الألوهية؛ ويثبتون توحيد الربوبية.

ومنهم من يعبد الله» وهم الجهمية والمعتزلة» يعبدون اللهء ولكن يجحدون أسماءه وصفاته» وإلا فهم لا يعبدون الأصنام ولا الأوثان ولا القبور؛ ولكن يجحدون الأسماء والصفات .

والجهمية: نسبة إلى الجهم بن صفوان؛ لأنه هو الذي اعتنق هذا المذهب ونشره.؛ وإلا من قبله الجعد بن درهم وهو شيخه» والجعد أخذه عن طالوت اليهودي» وطالوت أخذه عن لبيد بن الأعصم اليهودي؛ هذا سند الجهمية» والعياذ باللهء فنسبة الجهمية إلى الجهم؛ ولكن الجهم هو الذي أظهر مذهبهم» ودعا إليه؛ قسميت الجهمية باسمه.

والقرامطة: وهم غلاة الشيعة الباطنية؛ من الفاطميين وغيرهم» وهم أتباع حمدان قرمط» صاحب القطيف بشرق الأحساء الذي جاء بجنوده وقتل الخجاج في الحرم» وألقاهم في بئر زمزم وذهب إلى عرفات وقتل الححجاج فيهاء. وأخذ الحجر الأسودء وذهب به إلى كعبة بناها في هجرء وبقي الحجر

نر أ ا أ ا ا له ل اجا ا وا لأسا اس أ أ ااه أ ادس اه اا ا ا ا

فوق عشرين سنة هناك» ثم رده الله إلى مكانه» فهؤلاء القرامطة أتباع حمدان
قرمط» وهو من الباطنية.

وغلاة المعتزلة: وهم أتباع واصل بن عطاء الغزال» الذي اعتزل مجلس الحسن البصري؛ لأنه كان من تلاميذ الحسن البصري» فحصل خلاف بينهما في مرتكب الكبيرة» فالمعتزلة يرون أن مرتكب الكبيرة حارج من الإسلام؛ ولكنه لا يدخل في الكفرء فهو في منزلة بين منزلتين» والحسن البصري والسلف والصحابة والتابعون يقولون: مرتكب الكبيرة لا يكفرء ولا يخرج من الإسلام إذا كانت كبيرته دون الشرك» ولكن ينقص إيمانه؛ فيكون مؤمنًا ناقص الإيمان؛ فاسق بكبيرته» لكنه لا يكفر ولا يخرج من الإسلام» ويصير بمنزلة بين المنزلتين كما تقوله المعتزلة؛ قسموا معتزلة؛ لأنهم اعتزلوا علماءهم واتحازوا إلى أنفسهم وابتكروا هذا المذهب الخبيث؛ فسموا بالمعتزلة.

ومذهب الجهمية: جحد الأسماء والصفات.

«ومذهب المعتزلة: يجحدون الصفات» ويثبتون الأسماء بلا معاني
يقولون: الأسماء مجردة وليس لها معاني» ولا تدل على صفات.

© © .

النوع الثاني: شرك التمثيل» وهو شرك من جعل معه إِلهًا آخر؛ #

لما فرغ المؤلف ثم من بيان الشرك في توحيد الألوهية الذي هو مثار النزاع بين الأنبياء وبين أممهم من المشركين؛ ومعنى (لا إله إلا الله) توحيد الألوهية» ثم انتقل إلى بيان الشرك الذي وقع في الربوبية؛ وهو على نوعين:

التوع الأول: شرك التعطيل والجحود؛ جحود الرب يق كما حصل
٠ المعطلة الذين جحدوا وجود الرب سبحائتف وجود من فرعون وغيره من الخالق.؛ وينسبوت هذا الكون إلى الطبيعة؛ وإلى الأناداكف وإلى العقول العشرقء وترهات ليس لها أصلء ولكن يزعمون أنهم فلاسفة وأنهم عقلاء« ومع هذا يذهبون هذا المذهب الذي لا يُحقل حتى عند المجانين» وحتى البهائم تعرف أن كل أثر له مؤثر» ولكن كابروا العقول» وكابروا الفطرء فذهبوا إلى أن هذا الكون ليس له خالق» وأنه نتيجة طبيعة» أو تأثير كواكب

والنوع الثاني: شرك التمثيل والتشبيه؛ فهم مثبتون وجود الله تله ولكنهم يشبهون به غيره» من مخلوقاته»؛ ويمثلون ويجعلونها مثل وعديل وشبيهًا لله 4# هذا شرك التمثيل؛ فالله أ لا مثل له لا ند ولا شبيه له كما أن الله نفى ذلك في آيات كثيرة: كِتْل تَءٌوَكْرَ الس ار
١١ «إعلِ تَفْلَرٌ لت سَيِيًا © (مريم: دد) أإفلا نما له[« :الشورى] *©ل)
أندَادًا فَآنتُمْ تلوت 680 [البقرة: 177 هذا شرك والنوع الأول شرك التعطيل» يدخل فيه تعطيل المعتزلة الذين نفوا القدر وقالوا: إن الإنسان يخلق
فعل نفسه؛ فأئبتوا خالقين مع الله ثَلِ.

وأما شرك التمثيل فهو أن يُجعل لله شبيه وند وسمي ويعجدل من خلقه تل ومن ذلك ادعاء الولد لله يله لأن الولد شبيه بوالده» وجزء من والده» وهذا مذهب النصارى الذين غلوا في المسيح؛ » قالوا: «الْبَسِيحُ أت الله

٠ وقالوا: ذإ أَه تالت تكَتَوَ# [المائدة: 77] وكذلك مذهب٠9[« :التوبة]

كالتصارى في المسيحء واليهود في عزيرء والمجوس القائكلين بإسناد حوادث الخير إلى النورء وإسناد حوادث الشر إلى الظلمة» وشرك القدرية وهؤلاء أكثر مشركي العالم؛ وهم طوائف جمّة * :

المشركين من العرب الذين جعلوا الملائكة بنات الله يل رجملا المَلتكَة آلَِ مَّ عبد لمن يتا » [الزخرف: 14]؛ يعني: جعلوهم بنات لله فق ويزعمون أن الله أصهر إلى الجن فأنجب الملائكة» كما قال َيل : رجملا بِنم ي اَِنَّةِ تناك [الصافات: 158]» يقولون: إنه تزوج من الجن فأنجبَ الملائكة. وهذه ترهات وأباطيل والعياذ باللهء وهذا شأن من أعرض عن الوحي» وعن اتباع الرسل» فإنه يقع في هذه الأمور التي تضحك العقلاءء وتخالف الفطر السليمة والعقولء ولكن من ترك الوحي فإنه يُبتلى بمثل هذه الخزعبلات وهذه الأباطيل والخرافات التى ما أنزل الله بها من سلطان» فلا عاصم منها إلا التمسك بالوحي والاعتصام بالكتاب والنُّنَّة. ما يعصم من هذه الأمور غير الكتاب والسُنَّة؛ والتمسك بالوحي المنزل.

فهذا شرك التشبيه» الشرك في الأسماء والصفات» أو في الربوبية؛ لأن الأسماء والصفات من الربوبية؛ والشرك فيها من التمثيلء والتشبيه؛ وهو ما وقع فيه المشبهة من النصارى وغيرهم» وكذلك التشبه بالله كك .

قوله: (كالتصارى في المسيح, واليهود في عزير)ء «رَكَالب اآلْيَهُوهُ ١ وكذا”[:التعوبة] عُزٌ أي الله زَقَالي أَلصَرَى ألتَرِيحُ أت ألو المشركون قالوا: الملائكة بنات الله؛ فالله 8# رد عليهم فقال: «أسَعفقَ نات رات له نا يَخْرَمُبب [التحل: 7+]؛11١7: عَلّ أَلبسَتِين © [الصافات لأنهم يكرهون الإناث» ومع هذا ينسبونها لله «وَكِيفٌ آلْسِنَتْهُرٌ الْكَزِيَ آذك لمر لَلْسئ» [التحل: 7+]» «آمَ لَه أِلتِتُ تَلَكهُ لين)4 [الطود: 4*]» إلى غير ذلك من الأدلة التي ترد عليهم» فهم لا ينزهون الله عما نزهوا عنه أنفسهم .

* منهم: من يعبد أجزاء سماوية.

* منهم: من يعبد أجزاء أرضية.

* ومن هؤلاء: من يزعم أن معبوده أكبر الآلهة.

#* ومتهم : من يزعم أن إلهه من جملة الآلهة.

ومنهم: من يزعم أنه إذا خصّه بعبادته والتبتّل إليه أقبل إليه واعتنى به.

«ومنهم: من يزعم أن معبوده الأدنى يقربه إلى الأعلى الفوقاني والفوقاني يقربه إلى من هو فوقه؛ حتى تقرّبه تلك الآلهة إلى الله ث8 ؛ فتارة تكثر الوسائط» وتارة تقل.

قوله: (منهم: من يعبد أجزاء سماوية)»؛ مثل عباد الكواكب» الشمس والقمر والنجوم يعبدونها» ويشبهونها بالله حل ويعبدونها .

قوله: (متهم: من يعبد أجزاء أرضية) وهم الذين يعبدون الأصنام والأشجار والأحجار والقبور والأضرحة.

قوله: (ومن هؤلاء: من يزعم أن معبوده أكبر الآلهة). كل واحد يدعي أن معبوده أكبر الآلهة» ويفتخر به على الآخرين» وكلهم مبطلون» ولكن يزين لهم ما هم فيهء يزين لهم باطلهم؛ فكل يدعي أن معبوده من الجن والإنس والشجر والحجر والكواكب أنه أحسن من آلهة الآخرين» إن له سوه أَتْسلِهمٌ [التوية: .]٠7

قوله: (ومنهم: من يزعم أنه إذا خصّه بعبادته والتبتّل إليه أقبل إليه واعتنى به)؛ أي : إذا خص هذا المخلوق بعبادته واعتنى به؛ فإن هذا المخلوق يعتني بمن عبده .

قوله : (ومنهم: من يزعم أن معبوده الأدنى يقربه إلى الأعلى الفوقانيء والفوقاني يقربه إلى من هو فوقه» حتى تقرّبه تلك الآلهة إلى الله 3#)؛ أي: ومنهم من يعترف أن معبوده أدنى؛ كالذين يعبدون الأصنام والأشجار

ألـ ات أ أ اا جات أ اجات لجا لو ها أ جات أ ا أ االـ لجا أ الجا اجا اجا اا اجا ادا
أو ايج الا لج د أ أي ا أ ا أ اد أو اس ام أ اج اد أو أو ا اماد د ا ا أ جا اج اد ا أ ا ا
ا ا ا ا ا ا ا ا ا ا

والأحجار والأموات ويقولون: نحن نعلم أنهم لا يضرون ولا ينفعونء ولكنهم يقربوننا إلى الله ويشفعون لنا عند الله» «إَيتْبُدُيت ين دوب آله ما لا ضف

ولا بْفَعُهُرْ» هم معترفون بهذاء وأنه لا يضرهم ولا ينفعهم» «وَيَقُولونَ خَوْلَتَ السرم قرس

راب
سُفَمَوْنَا عند أَلّك [يونس: 8١]؛ لأنهم صالحون» ولهم مكانة عند الله فك فهم يشفعون لنا ويقربوننا إلى الله زلفى» هكذا زين لهم الشيطان هذا العمل .

© © .

فإذا عرفت هذه الطوائف» وعرفت اشتداد نكير الرّسول كَيلةِ على *#
من أشرك به ل في الأفعال والأقوال والإرادات كما تقدّم ذكره» انفتح
لك باب الجواب عن السّؤال. فنقول: اعلم أن حقيقة الشرك: تشبيه
الخالق بالمخلوق» وتشبيه المخلوقات بالخالق. أمَّا الأول: فإن المشرك
شبّه المخلوق بالخالق في خصائص الألهيّة؛ وهي: التفرّد بملك الضّر
«والتفع؛ والعطاء والمنع» فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق تعالى
وسوّى بين التراب ورب الأرباب؛ فأي فجور وذنب أعظم من هذا؟

ولهذا يعترفون إذا دخلوا النار هم ومعبودهم» «إِن كم وما تَمْبُدُودَ بن
ب جَهَتَرٌ أَنْرٌ لكا ترشب 46 [الأنبياء: 48]ء فالذين
أمروهم بعبادتهم ورضوا بعبادتهم إياهم يدخلون معهم النار» قال تعالى: علو
عا مَل للح نا بيذكا يكل فا خَيِدُ 68 [الأنبياء: 44] وفي
هذا المصير يعترف المشركون بأنهم أخطأوا فيقولون لأصنامهم ومعبوداتهم في
النار: «إتآلَ إن كنا ل شَكلٍ تين (© إذ شيم رَتِ آلْلَيِنَ ©4 [الشعراء:
ء اعترفوا أنهم وقعوا في الضلال في الدنيا حيث سوا هذه الأشياء[48 - 7

م بس ارا
دوت ألو

بالله فعيدوها مع الله 8# فشبهوها بالله» هذا مصيرهم يوم القيامة» أما الذين
لم يرضوا بعبادتهم إياهم فأولئك الذين قال الله فيهم: فإِنٌ لبت سَبَقَتَ لَهُم
س7 ل له عام اس مرو وص يخفخصض ا حر م ا ا ل ا من

ينا انق أثلَيك عَنهَا د © ا حتت حِيَبا كُمْ في نا أَفْتَهَتْ

مررء

1١7[. الأتبياءت د] نَفْهَر خَيدة 0

© هه

واعلم أن من خصائص الألهيَّة: الكمال المطلق من جميع #
الوجوه» الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه؛ وذلك يوجب آن تكون
العيادة له وحده عق وشرعًا وفطرةً» فمن جعل ذلك لغيره فقد شبّه الغير
بمن لا شبيه له» ولشدة قبحه وتضمّنه غاية الظلم أخبر من كتب على نفسه
الرّحمة أنه لا يغفره أبدا.

قوله: (من خصائص الألهيَّة: الكمال المطلق من جميع الوجوه)
فالرب ل هو الكامل من جميع الوجومء ا نقص يعتريه سبحانه؟ ولهذا نزه

ام جر قر عرسم م

نفسه عن النقائص والعيوب فقال: إل تَأَخْذٌ سد وَل ته لدي [البقرة: م6؟]
آليّ أآلَرى لا يَتُرتّيُ [الفرقان: +م]» فترّه نفسه عن كل النقائص» ونرّه)» نفسه
عن الوالد والولد» ونرّه نفسه عن الصاحبة والزوجة؛ لأن هذه كلها نقائص؛
لأن الزوج بحاجة إلى الزوجة؛ فهو محتاج لهاء والله 8 ليس بحاجة إلى
أحد» أن يَعون لد وآ وك تكن أ مدع [الأنعام: ١٠٠]؛_يعني: _زوجةء من
أين يأتي الولد؟» فلا أحد يأتيه أولاد إلا من الزوجة.

قوله: (وذلك يوجب أن تكون العبادة له وحده عقا وشرعًا وقطرة)؛
فالعبادة يجب أن تكون للكامل من جميع الوجوه؛ ولا" تكون العبادة للناقص .

قوله: (قمن جعل ذلك لغيره فقد شبّه الغير بمن لا شبيه له ولشلدة قبحه
وتضمّته غاية الظلم أخبر من كتب على نفسه الرّحمة أنه لا يغفره أبدًا)؛ أي:
أنه لا يغفر الشرك» قال تعالى: «(إِنَّ آله ل" يَخْفِرُ أن مُشْرَِكٌ بو وَيَخْفرٌ مَا ذِدَ ذَلِكَ
يمن كِكَكَدُم» [النساء: 48]» مع أنه أرحم الراحمين» ولكن رحمته لا يدخل فيها
المشرك؛ لأنه لم يدع مجالًا لشمول الرحمة له والعياذ باللهء فهو أرحم
الراحمينء ولكنه لا يرحم المشرك يوم القيامة مع قوله: «إِإنَ نَبِكَ ديع
الْغَيرَزْة» [النجم: 7 فنَقل رَتٌكُمْ ذر رَعَوَ رَيِتَرَ» [الأنمام: 167ل
فرحمته واسعة ومغفرة واسعة ولكنها لا تتسع للمشرك يوم القيامة؛ لعظيم جرمه
والعياذ بالله؛ فإنه أجرم جرمًا لم يجرمه أحد من الخلائق؛ فلذلك قطع الله عنه

[زقف

ومن خصائص الالهيَّة: العبوديّة التي لا تقوم إلا على ساقي #
الحب والدّل» فمن أعطاهما لغيره فقد شبّهه بالله تعالى - فى خالص

رحمته ومغفرته وآيسه منهاء وجعله خالدًا مخلدًا في النارء وهذا يدل على
خطورة الشرك بالله 38» ووجوب الحذر منه؛ والابتعاد عنه» وإخلاص
. العبادة لله يل
قوله: (ومن خصائص الالهيّة والعبوديّة التي لا تقوم إلا على ساقي
الحب والذّل) العبودية تقوم على قطبين: غاية الحب» مع غاية الذلء ثم
العبادة كلها تدور على هذين القطبين؛ ولهذا قال الإمام ابن القيم 0
وعبادةالرحمن غاية حبه | مع ذل عابده هما قطبان
وعليهما فلك العبادة داثر ما دار حتى قامت القطبان
ومداره بالأمر أمر رسوله .لا بالهوى والنفس والشيطان
قوله: (فمن أعطاهما لغيره فقد شبّهه بالله تعالى في خالص حقه)؛ فمن
أحب أحدًا مع الله فقد أشرك باللهء كما قال تعالى: «وَّمِنك ناس كن يَكَخِدٌ
من
دون الله أندادا يحم كب 3 [البقرة: 166]ء وكذلك الذي يذل ويخضع
لغير الله هذا قدأشى ك بالله «يَّ. فالله خلق هذا الإنسان حرّاء. وحصّنه
بعبادته»؛ فإذا خرج من هذا الحصن وهو عبادة الله يُيتلى بعبادة غير الله فيقع
في الذل والهوانء وما دام متحصنًا بعبادة الله فإنه لا خوف عليه ولا ذل» لا
.في الدنيا ولا في الآخرة
قوله: (وتُبح هذا مستقر في العقول والفطر)» توحيد الربوبية والاعتراف
بأنه لا يستحق العبادة إلا الله يْ3» وأن أحدًا لا يشاركه فيها كاثنًا من كانء
«هذا هو مقتضى الفطر التي فطر الله الناس عليهاء؛ إِإِرٌ يَبْيَكَ لزن حَنِينَا
:؛ يعني: خالصًا لله «فِظْرَتَ أقَه آل فَطرَ النَاسَ عَتِيا [الروم[©الروم: 0]
٠» لكن الشياطين تجتالهم عن ٠ ©]؛ فالله خلق الخلق حنفاء على الفطرة؛

لكن لما غيّرت الشياطين فطر أكثر الخلق. واجتالتهم عن دينهم» وأمرتهم أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا. كما روى ذلك عن الله أعلم الخلق به وبخلقه”؟ عموا عن قبح الشرك حتى ظتوه حسنًا.

فطرتهم» وتغير فطرتهم» والتربية السيئة تغير الفطرة» قال ك8: «ما من مَوْلُودٍ
إلا يُولَدُ على الْفِطْرَ فَأَبَوَاءُ يُهَودَانِهِ أو يُنَصَّرَانِهِ أو يُمَجْسَانِوه”" ولم يقل: يسلمانه؛ يعني: يجعلانه مسلمّاء؛ لأن هذا هو الأصل» وأما اليهودية والنصرانية والمجوسية هذه طارئة؛ وليست هي الأصل.

قوله: (لكن لما غيّرت الشياطين فطر أكثر الخلق. واجتالتهم عن «دينهم) وقد ورد في الحديث القدسي: وني خَلَقْتٌ عِبَادِي حُنَقَاءِ كُلَهُمْ يعني : مفطرون على التوحيد؛ «وَإِنَهُمْ أتنْهُمْ الشيَاطِينُ فَاجْتَلَتْهُمْ عن دِينْهِم»”".
وليس هذا خاص بشياطين الجن؛ بل وبشياطين الإنس ودعاة الضلال يغيرون فطر الناس.

قوله: (وأمرتهم أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا)؛ يعني : دليلا وحجةء فالشرك ليس عليه دليل أبدّاء وإنما الدليل على التوحيد» «ألنهُ مم له ل شا بُمَتكُمْ إن كر تتَدِقيك ©©» [السل: 1+4 فليس على الشرك دليل أبدّاء وإنما هو شبهات؛ وحكايات» أو أحاديث مكذوبة يتعلقون بهاء أو رؤى ومنامات يأتيهم بها الشيطان» فليس على الشرك دليل» ولا برهان» #وَمن يَذمٌ
مع أله إلنها دار لا رمن لَه بو فنا حابم عد زَيَيٌ إِكَتُ ا يُلعٌ اكبيد
فلا برهان على الشرك أبدّاء وإنما هي شبهات [المؤمنون: 117] 9 وأباطيل» لا تقوم أمام الحق أبدًّا .

قوله: (كما روي ذلك عن الله أعلم الخلق به وبخلقه)؛ يعني: في

)١(أخرجه مسلم (718566). (؟) أخرجه البخاري)988٠(.
)©(أخرجه مسلم)978705(.

اال ا اب ا أ أ ا د ا لا أي يم لد ل ا ل لا ا لما ليم ا أ ا أ كا ا لم أن لا أ يا أي ما
اميد ابد لأسا د كا لجا ا امد لي أي يد امد أي ما لجا اجا لجا أ أي أ أ لما امد يد
امد د ليد د اليد ل أ ل ا ا ليا

عن دِينهم» ؛ فهذا حديث قدسي من كلام الله يرويه عنه رسوله ل وما طق
ع افيد ©© إن عُرّ إلا ب ب 460 [النجم: © 4]؛ فالأصل أن الخلق
تحلقوا على الفطرة السليمة؛ ولكن هذه الفطرة تتغير ؛ وقد شبه النبي كَليةٍ
ذلك
بالشاة تولد جمعاء؛ أي: لها قرون وآذان؛ فيأتي الناس ويجدعون قرونهاء
وآذانها”'"» فهم يغيرون الخلقة؛ كذلك الشياطين يغيرون الفطرة.

ج © ©

)١(أخرجه مسلم)768(.

. ومن خصائص الالهيّة: السجود» فمن سجد لغيره فقد شبّهه به *“
.ومنها: التوكل» فمن توكل على غيره فقد شيهه به #

قوله: (ومن خصائص الألهيّة: السّجود)ء فلا يُسجد لأحد غير الله ولا #يركع لأحد وينحني لأحد غير الله 8#؛ فالركوع والسجود لا يليق إلا لله 8 فمن سجد لغيره فقد أشركء ومن ركع وانحنى لغيره فقد أشرك؛ وما يسمونه
بالتحية» وينحنون أمامه فقد عبدوه والآن هناك من الطوائف المنحرفة الضالة من يسجد لهم أتباعهم عند أقدامهم» وهذا شيء موجود عند الباطنية . والأغاخانية والحلولية وغيرهم

قوله: (فمن سجد لغيره فقد شبّهه به) أي: شبه المخلوق بالخالق؛ لأنه .لا يستحق السجود إلا الله ل

قوله: (ومنها: التوكل)؛ أي: من أنواع العبادة: التوكل» وهو تفويض الأمور إلى الله 8# والاعتماد عليه دون غيره» قال تعالى: «وَعَلَ 2 ا «إن كر تُقَيِنِينَ (© [المائدة: 17 يوغل سر يتَرحَلٍ الْمُؤَمِنْ > (©4
:١ نه بلع رورم [الطلاق آل عمران: 1177 تكن بهل عل أله فهو حَسَبدة إن
١] «َتبدَهُ وَتوَكَلَ عَليِهْكة [مود: 17]؛ فالتوكل من أعظم أنواع العبادة وهو تفويض الأمور إلى الله وحده. أما أنك توكل أحدًا فهذا توكيل وليس توكلًا» وإنما هو توكيل وإنابة؛ فهذا لا بأس به فيما يقدر عليه؛ فالوكالة جائزة؛ ولكن التوكل هذا لا يكون إلا لله زء لأنه عبادة» ولا ينافي هذا أن تتخذ الأسباب النافعة» فأنت تجمع بين الأمرين: تعمل الأسباب النافعة مع . التوكل على الله» ولا تتوكل على الأسباب» وإنما تتوكل على الله ث8

© ©

ومنها: التوبةء قمن تاب لقيره فقد شبهه به. ومنها: الحلف
باسمه تعظيماء فقمن حلف بغيره فقد شبّهه به. ومنها : الذّبح له فمن ذبح
لغيره فقد شبّهه به.

قوله: (ومنها: التوبة)ء من أنواع العبادة: التوبة» وهي الرجوع من
المعصية إلى الطاعة؛ فالتوبة من التوب» وهو الرجوع من المعصية إلى
الطاعةء ومن الانحراف إلى الاستقامة» وهذا من أنواع العبادة» «وَآسَتَفْرَهاً
١0[. :هود] ريَحكُمْ ثم تيا ادي

قوله: (قمن تاب لغيره فقد شبهه به)» فالذين يأتون إلى الأولياء
ويقولون: إن عندنا ذنوبّا؛ فنستغفر عندكم» يأتون عند القبر ويطلبون منه
التوبة» فهذا شرك أكبرء والتصارى يأتون إلى القديس أو المعمدان ويطلبون
منه الغفران» فيعطيهم صك الغفران» وكل هذا من الترهات والأباطيل»
ومثلهم القبوريون الذين يأتون إلى الأولياء ويعترفون بالذنوب عندهم؛
ويزعمون أن الأولياء يضعون عنهم الذنوب والأوزار» حتى إنهم يخاطبون
الرسول جَةِ عند قبره بذلك» يقول: أنا مذنب» وأنا فعلت كذا وكذاء وأنا
وأنا. فلا يعترف عند الله ويطلب من الله المغفرة؛ بل يطلب عند قبر
الرسول.

قوله: (ومنها: الحلف باسمه تعظيمًا)» من أنواع الشرك الحلف بغير الله
. #وقد عرفناه بأدلته؛ لأنه تعظيم للمحلوف به والتعظيم لا يكون إلا لله 8
قوله: (ومنها: الدّبيح له)؛ من أنواع العبادة الذبح على وجه التقرب» ذبح
الحيوانات المأكولة كالإبل والبقر والغنم» تذبحها تقربًا إلى القبرء أو إلى
المخلوق» فهذا شرك أكبر؛ لأن الذبح على وجه التقرب والعبادة لا يكون إلا
لله
إنَصَلِ ربك بغر ©©ْ» [الكوثر: ؟] قرنه مع الصلاة؛ إل إن صَلَاقٍ رشي
وَنْيَاَ كَتَتَافٍ لَه نت الْعَلَمِيَ ©©)4 [الأنعام: 1167]؛ والنسك: هو الذبيحة»
وقد
قرنها مع الصلاةء فكما أنه لا تجوز الصلاة لغير الله فكذلك لا يجوز الذبح
لغير الله فمن ذبح لغير الله فقد أشرك الشرك الأكبر؛ فالذين يذبحون عند
. القبور» وعند قبور الأولياء والصالحين» هذا شرك أكبرء نسأل الله العافية

. ومنها: حلق الرّأس. إلى غير ذلك. هذا فى جانب النشبِيه *#
وأمّا في جانب التّشبّه: فمن تعاظم وتكبّر » ودعا النّاس إلى #
إطرائه ورجائه ومخافته؛ فقد تشيّه بالله وتازعه في ربوبيته؛ وهو حقيق بأن
يهينه الله غاية الهوانف 0

قوله: (ومنها: حلق الرّأس)ء حلق الرأس يكون عبادة أحيانًا مثل حلق
الرأس في الحج أو العمرة» هذا تفعله عبادة لله فيك فلا يجوز أن تحلق
رأسك تعظيمًا لأحد غير الله 8#؛ أما أن تحلق رأسك من باب التنظف» أو
من باب إزالة الأذى فهذا لا بأس به.

قوله: (هذا فى جانب التشبيه)؛ أي : تشبيه المخلوق بالخالق.

«قوله: (وأمًا في جانب التّشبّه)؛ أي: في جانب تشبه المخلوق بالخالق
مثل الكبر؛ فالمستكبر متشبه بالله فيك ما الداعى أنه يستكبر فهو مخلوق
ضعيف؛ فكيف يستكبر؟؛ فالكبرياء لله #. كل هذا لا يجوز؛ فالإنسان
مخلوق ضعيف عليه أن يتواضع؛ ويعرف ضعفه. ولا ينفخ نفسه ويتعاظم؛ بل
: . يتواضع لله كن

قوله: (فمن تعاظم وتكبّر ؛ ودعا النّاس إلى إطرائه ورجائه ومخافته؛ فقد
تشبه بالله ونازعه في ربوبيته)؛ من دعا الناس إلى تعظيمه وإلى تفخيمه.
فهذا
نوع من التعبد لغير الله أما إذا وقره الناس وهو لا يريد ذلك» ولا يتطلع
إليه ولكن الناس احترموه ووقروى» فلا بأس بذلك» أما إن كان هو الذي
يطلب من الناسء ويتطلع إلى أن يعظمه الناس؛ ومن لا يعظمه يغضب عليه ؛
فهذا من حق الله ثيٍ.

قوله: (وهو حقيق بأن يهينه الله غاية الهوان)؛ ولهذا جاء في الحديث:

إن المتكبرين يوم القيامة يحشرون أمثال الذر”'؟» أي: النمل الصغير يطأهم

أخرجه الإمام أحمد (13977) ().

ويجعله كالذّر تحت أقدام خلقه

الناس والعياذ بالل كما أن من تواضع لله رقعة الل كما في الحديث: المَنُ
تواَضعَ له لله و كَرّجَة رَفَعَهُ الله َرَجَة حَتَى يَجْعَلَة في عِلْيِينَا!'" قو له: (ويجعله

© © ©

() (11777) أخرجه الإمام أحمد.

وفي «الصحيح؟ عنه كي أنه قال: «يقول الله تِكَ: «الْعَظمة *
مود ن

«إزَاري وَالْكِبْرِيَاء رِداثي » فَمَنْ نازعني في واحد متهما عذيته

وإذا كان المصوّر الذي يصنع الصور بيده من أشد الناس عذابًا 3
يوم القيامة

قوله َيك: «الْعَظمة إزاري؛ وَالْكَبْرِيَاءٌ رداثي ؛ فَمَنُ نازعني في واحد منهما عَذْبيه؛ فالعظمة من صفات الله؛ والكبرياء من صفات الله؛ فمن تعاظم وتكبر فقد أشرك نفسه مع الله بما هو من صفاته» وخصائصه؛؟؛ فالإنسان يجب
عليه أن يُحقر نفسه. وأن يتواضع» وأن يذلء وأن يرى نفسه من أصغر الناس» ومن أضعف الناس» حتى ولو كان في منصب رفيع» فيجب أن يرى نفسه إنسانًا ضعيفَاء ويروى أن خليفة طلب من عالم ناصح موعظته؛ فطلب من الخليفة ماء ليشرب؛ فقال له يا أمير المؤمنين لو أنك ظمئت وقيل لك نعطيك هذا الماء بنصف ملكك وإلا ستهلك من العطش؛ فقال الخليفة: نعم؛ أشتريه بنصف الملك» فقال: إذا اشتريته بنصف ملكك وذهب عنك العطش؛ وانحبس البول فيك وقيل لك لا يخرج البول إلا بنصف ملكك. فقال
الخليفة: أعطيه ذلك ولا أموت بسببه» فقال العالم: بئس الملك الذي يذهب بشربة وبوله. فاطلب ما عند الله الذي لا ينفدء فهذه موعظة عظيمة.

قوله: (وإذا كان المصوّر الذي يصنع الصور بيده من أشد النّاس عذابًا يوم القيامة...)». صناعة الصور تشبَّه بالله؛ لأن الله هو المصور وهو الخلاق فهذا المخلوق الضعيف يحاول أن يتشبه بالله فيوجد صورة على شكل ما خلقه الله فيجعل لها عينين وفمًّا» ويجعل لها يدين ورجلين. ولكن لا يقدر أن ينفخ فيها الروح» والمشكلة أنهم الآن يسمونه بالفن التشكيلي؛ فالتصوير يعتبرونه من الفنون» ويعظمون المصور هذا والفنان» هو يقدر أن ينحت الحجر

٠ "0" وجاء في انظر: مسند الإمام أحمد 7 تحد/) وسنن أبي داود (7 61
٠١٠(بلفظ : «الْرٌ زازه والْكِبْرِيَاء رِدَاؤهُ فَمَنْ يُنَازِغْنِي عَذْيْتُ((صحيح مسلم.

وباب اه ا ل ا ا ا أ تا أ أ ل لاا أ أ ا أ أ أي ا وأا ام أو أ اي رج ا ل ايد أو دمجاو
اماي امد د أ ام اجام لج ام اج اج اد أ ا د ا ا ا ا

«أو الطين ويجعله على صورة لها يدين ورجلين ولها صورة عينين» وفم وأنف
يقدر على هذاء ولكن يبقى أنه لا يستطيع أن ينفخ فيها الروح؛ لأن هذا من

خصائص الله 3# «وَيْتَلوتَكَ عَنِ ارج كُلِ آلزُوحٌ بن أَثْرٍ رق وآ أوتيشر بن آلِارِ

إلا كيلا 0ي)* [الإسراء: د8]؛ فلذلك يُعجزه الله يوم القيامة؛ فيأتي بالمصورين
فيقول لهم: «أَحْيُوا ما خَلَعْتُمْ'"؛ أي: انفخ فيه الروح؛ فلا يستطيع؛ فهو
يأمره أمر تعجيز وتعذيب وخزي والعياذ بالله؛ لأن الروح لا يقدر عليها
إلا اللهَ ل فلا يجوز التصويرء لا بالرسم باليد» ولا بالنحت» ولا بالالتقاط
بالآلة الكهربية؛ فكل هذا يدخل تحت مسمى التصوير» والمصور متشبه بالله؛

ولهذا قال الله فق في الحديث القدسي: ووَمَنْ أَظْلَمٌ مِمنْ ذَهَبَ يَخْلْقٌ

© ار
8

كَخَلْقِي؟؟!". وفي الحديث الآخر: «أَشَّدٌّ الناس عَذَابًا يوم الْقِيَامَةٍ الَذِينَ
يُضَامهُونَ بخَل الله" يضاهون: أي: يحاولون أن يوجدوا صورة تشبه ما
خلق الله ل فهذا من خصائص انلف ولا يجوز لأحد أن يحملة فيحترف
«التصوير أو يعمل بالتصوير» ويعتبر هذا فت من الفنون ويأخذ عليه جوائز
نسأل الله العافية هذا من أكبر الكبائئ وفي الحديث الآخر: «أشد الناس
عَذَابًا يوم الْقِيَامَةِ الْمُصَوَّرُونَ يُقَالُ لهم: أَحْيُوا ما خَلَقْتُم. فلا يستطيعون أن
يحيوها » فإذا لم يستطيعوا أن يحيوها عذبهم الله 8# فالموقف عظيم
والخطر
عظيم» ولكن يبقى إذا احتاج الناس إلى الصورة حاجة ضرورية» مثل أن
تكون
لأجل إثبات الشخصية» أو ضبط الجرائم أو ضبط الأمنء فهذا يباح
«للضرورة»؛ والله ## قال: «إيَكّذ فكَلَ لكم ما حنم عَم إل مَا أَمْطِرثمٌ إلد
فإذا اضطر الناس إلى التصوير فيصورون في أضيق صورة119[« :الأنعام]
ولا
ينبسطون ويتوسعون ويجعلونه فا من الفنونء ويعلقونه على جدرانهم

)١(أخرجه البخاري)7٠١5(. (؟) أخرجه البخاري)7854(.
(؟) أخرجه البخاري)5484(.

لتشبّهه بالله فى مجرّد الصّنعة» فما الظن بالمتشبّه بالله فى الربوبيّة والالهيَّة؟. كما قال ل: «أَشَدُ الناس عَذَابًا يوم الْقِيَامَةِ الْمُصَرّرُونَ . بُقَالُ

لهم : أَحْيُوا م لف

ومجالسهم أو في الشوارع» هذا مضاهاة لخلق الله» وهذا كبيرة من كبائر الذنوب» فلا تجعل في بيتك تصاويرء قال كلة: «لَا تَدْخُلُ الْمَلَئِكَةٌ بَيْنَا فيه كَلْبٌ ولا صُورَةٌ تَعمَاشِلَ»!"" فلا تدخله ملائكة الرحمةء وإذا لم تدخله ملائكة الرحمة فتدخله الشياطين» فلا تبقي في بيتك تصاوير أبدًا إلا الصورة التي تحتفظ بها للضرورة فقط» أما ما كان للذكريات» أو للفنون» فهذا كله لا يجوزء وإن تساهل فيه الناسء وصاروا يضحكون على من ينكر التصويرء ويصفونه بالمتشدد. ويصفونه بأوصاف: كالمتشدد.؛ أو المتطرف» إلى آخرفء . فما علينا منهم؛ بل علينا من ديننا

:وجاء في تفسير قوله تعالى: «إِاَ 1 يدوت آله وَيَسُواِد» [الأحزاب أنها فى المصورين”"؛ فالتصوير أذية لله» فالله #8 يتأذي ولكنه لا [*" يتضرر » قال الله ج: (يُؤذِينِي : بن آذ 06 فهذا يدل على أن الله يتأذى بأفعال .عباده» ولكنه لا يتضرر ثُلةٍ؛ فإنه لا يضره شيء

قوله: (لتشبهه بالله في مجرّد الصّنعة)» يعني : الذي يصنع الصور ويبيعها ويعملها للناس حرفة له هذا من أشد الناس عذابًا يوم القيامة؛ ومكسبه الذي يأخذه من ورائها حرام؛ لأنه في مقابل صنعة محرمة» والذي لم يصنعها ولكنه . يبيعها هذا أيضًا يأكل حرامًا؛ لأنه يبيع شيئًا محرمً

.قوله: (فما الظن بالمشيّه بالله في الربودٍ بيّة والالهيّة؟)؛ فهذا أشد

. قوله كلةٍ: «يُقَالُ لهم: أخيوا ما لف ؛ ولا يملك الحياة إلا الله يْلكٍ
.١(انظر: صحيح البخاري (9486 - 84581)(

. أخرجه البخاري (775. () انظر: تفسير ابن جرير وابن كثير (؟)
.أخرجه البخاري (4877) (؟)

وفي «الصحيحين" عنه كِلِةٍ أنه قال: «يقول الله كِكَ: وَمَرُ مَنْ أَطْلَمٌ 0
يِعنْ ذَعَبَ يَخْلْقٌ كَخَلْقِي؟ لََخْلْفُوا ذَرَةٌ وَلِيَخْلْفُوا شعير 0
به بالذّرة والشعيرة على ما هو أعظم متهما # .

2

قوله 35: «وَمَنْ أَطلَمْ مِعنْ ذَعَبَ يَخْلْقٌ كَخَلْقِي؟ تَلْيَخْلْفُوا ذه وَلَيَخْلْفُوا شعيرة»» الذرة: النملة الصغيرة» فهم لا يقدرون على ذلك وهم يزعمون أنهم
فنانون وأنهم يصورون الصورة على شكل ما خلق الله فالله يتحداهمء ويقول لهم: اخلقوا ذرة؛ حشرة صغيرة» أو اخلقوا حبة الشعير وهي جمادء فلا يقدرون على إيجاد الجماد؛ ولا على إيجاد الحيوان» فلا يقدر على هذا إلا الله يَلكٍ؛ لأن الخلق لله فيك هو الخلاقء فلا يقدر على الخلق إلا هوء هو الخالق سبحانه له خَيقٌ كل توب [الزمر: 1] إن رَكلت هر اَن اليم)> ال +)؛ فالله تحدى المشركين: لإك الب تنبت ين تون آقّو أن يَخْلّا دابا وَلِر أَجْتَمَعُا لتُّكح فلو اجتمع كل من في الدنيا من الصّناع والمخترعين ون الأعياء كلهم لا تطيمون أن يخلقوا ذبابًا .

ج. © ©

)١(انظر: صحيح البخاري (75559)؛ وصحيح مسلم)7١١١(.

وكذلك: من تشبّه به تعالى في الاسم الذي لا ينبغي إلا له؛ #
كملك الملوك؛ وحاكم الحكام؛ وقاضي القضاةء ونحوه. وقد ثبت في
الصحيحين» عنه أنه قال: «إن أَخْتَعَ الْأَسْمَاءِ عِنْدَ الله رَجُلٌ تَسَمَى مَلِكِ»
لْأَمْلَاكِ؛ لا مالك إلا الله»"'". وفي لفظ: «أَغْيَظُ رَجُلٍ عند الله رَجُلٌ تسَتَّى
بيك الأنلك".

قوله: (وكذلك: من تشبّه به تعالى في الاسم الذي لا ينبغي إلا له؛
كملك الملوك؛ وحاكم الحكّام» وقاضي القضاة. وتحوه)؛ كذلك التشبه بالله
في
التسمي باسمه الذي لا ينبغي إلا له أما الأسماء الأخرى مثل: العزيزء
الملك» هذا لا بأسء أما (الله) 8# فلا أحد يتسمى باللهء حتى فرعون ما
قال: أنا الله قال: «أنا رَبِم الْتتل (6)2 [النازعات: 74]ء فمن سمى نفسه
(الله)ء(الخالق). (الخلاق) وكذلك الخلقء من أكفر - والعياذ بالله فهذا ؛
فلا أحد يسمى نفسه (الخالق)» أو (الخلاق)» وكذا (ملك الملوك)» و(شاهان
شاه) هذا حرام» ولا يجوز التعسمي بهذا الاسم؛ لآن هذا من
خصائص الله 8#. أما نفس الملك فالله ملك» ولكن أيضًا المخلوقين فيهم
ملوك» ويقال: الملك فلان.

و(ملك الملوك)» و(قاضي القضاة)» هذه أسماء خاصة (حاكم الحكام)
بالله؛ الله هو الذي يقضي بين خلقه يوم القيامة» القضاة وغيرهم يحضرون
يوم
القيامة فيقضي الله بينهم .

قوله ككيةٍ: «إن أَخْتَ الْأَسْماءِ عِنْدَ الله»؛ يعني يعنى: أنقصها وأذلهاء «رَجُلٌ
تَسَمَّى مَلِكِ الْأَمْلَكِ لا مالك إلا الله»» هذا لا يليق إلا بالله سبحائه.

© ©

,١ ١ (انظر: صحيح البخاري17 ٠ك ٠ (ومسلم(.
؟47٠ ((؟) انظر: صحيح ملم(.

وبالجملة: فالتشبيه والتشبّه هو حقيقة الشرك؛ ولذلك كان من **
ظن أنه إذا تقرّب إلى غيره بعبادته يقرّبه ذلك الغير إليه فإنه يخطئء
لكونه شبّهه به؛ وأخذ ما لا ينبغي أن يكون إلا له؛

لما بين المؤلف كته فيما سبق أن الشرك ينقسم إلى قسمين:

الأول: تشبيه الخالق بالمخلوق» والعدل به 8# ويعدل به أحد من
خلقه» ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١].

الثاني : التشبه بالخالق؛ بأن يحمل الإنسان صفة الكبر والعظمة في
نفسه» والافتخار وغير ذلك» فهذا تشبه بالخالق في صفاته سبحانه وعظمته
وكبريائه؛ فإن المخلوق ضعيف يجب عليه أن يعترف بضعفه؛ وأن
يتواضع لله ا .

ثم قال: (وبالجملة)؛ يعني: جملة ما سبق في هذه العبارة الآتنية؛
(فالتشبيه والتشبّه هو حقيقة الشرك)؛ يعني : تعريف الشرك؛ فإذا عرفته
تقول:
الشرك هو تشبيه الخالق بالمخلوقء أو تشبيه المخلوق بالخالق بأن تجعل له
شيكًا من العبادة» أو التشبه بالخالق بأن تشارك الله في عظمته وكبريائه
وجلاله» والشرك أيضًا يعبر عنه بأنه صرف شيء من أنواع العبادة
لغير الله 8#؛ كالذبح والتذر والخوف والرجاء والسجود والتعظيم وغير
ذلك .

قوله: (ولذلك كان من ظن أنه إذا تقرّب إلى غيره بعبادته يقرّبه
ذلك الغير إليه فإنه يخطئ» لكونه شبّهه به وأخذ ما لا ينبغي أن يكون
إلا له فمن شبه المخلوق بالخالق فتقرب إلى المخلوق بشيء من أنواع
العبادة يظن أن هذا المخلوق يتوسط له عند الله فيشفع له عند الله
ويقربه عند الله زلفىء فقد أعطى المخلوق ما ليس له؛ لأن العبادة

حقّه؛ فهذا قبيح عقلًا و شرمًا'"؛ ولذلك لم -

قوله: (والشرك منعه - سبحانه - حقه؛ فهذا قبيح عقلًا وشرعًا؛ ولذلك
لم يشرع» ولم يغفر لفاعله)؛ الشرك هو جعل شيء من حق الله الخالص به
سبحانه للمخلوق؛ فالعبادة خاصة بالله فلا يجوز أن يُعبد المخلوق بشىء من
أنواع العبادة» فهذا أعظم الظلم» «إإنك> ألبِرِلكٌ نَطّلرٌ عَطِيٍ» © [لقمان:
؟ لأن العبادة وضعت في غير موضعهاء وذلك حقيقة حقيقة الشركء وأيضًا[7
المشرك لا يغفر الله له مع أن الله غفور رحيم» رحمتةه وسعت كل شيء
وواسع
المغفرة ولكن لما تجاوز المشرقكء حدود المغفرةء وحدود الرحمة؛
فعبد غير الله لم تتله رحمة اللهء ولا مغفرته» إن أل له لا يَخْفِرُ أن يُشَرَكَ بوه

ره الى 7

ويعفر ما دن د ذَلِكَ !سن يت [النساء: 8؛].

ج © ©

١(في بعض النسخ: «فأشرك معه سبحانه فيه غيره» فبخسه سبحانه حقه»(فهذا قبيح عقلًا
وشرعًا . ولذلك لم يشرع» ولم يغفرء» فاعلمه .

-*شرح تجريد التوحيد المفيد 7#]4

واعلم أن الذي ظن أن الرّب لا يسمع له؛ أو لا يستجيب له إلا *
بواسطة تطلعه على ذلك» أو تسأل ذلك منه؛ فقد ظنّ بالله ظنّ السّوء؛
فإنه إن ظنّ أنه لا يعلم ولا يسمع إلا بإعلام غيره له وإسماعه ذلك؛ ممم

هذا الكلام وما بعده منقول من كلام الإمام ابن القيم في فوائد غزوة
الأحزاب من كتاب «زاد المعاد في هدي خير العباد» وهو كلام طويل اختصره
المؤلف باختصار جيد .

فمن زعم أن الله لا يسمع دعاءه إلا بواسطة من يبلغه سبحانه» أو أن الله
لا يستجيب إلا بواسطة من يتوسط عند الله» يُععلف الله على عبده» مثلما
يُفعل
عند الملوك» (فقد ظنّ بالل ظيّ السّوء)» قال تعالى: «وَيُقَزِّبَ ٱلْتَيِتِيَ

مير

ام ص

والْنْكَيِتَبتِ وَالْمُشْرِكِنَ اركب الطَائِيت بأل رك أَرَية» [الفتح: +]؛ فالمنافقون
ظنوا بالله ظن السوء» حيث إنهم ظنوا أنه لا ينصر رسوله؛ وأنه لن يرجع هو
وأصحابه من الغزو» «إبَل ظَتَنتمٌ أن أن يَكَبَ أَلرَسُولُ وَالْنَوِينونَ إل أله أبن
ء وذلك في غزوة تبوك وغيرهاء يظنون أن الرسول سيقتلء وأن[الفتح: ١١]
الصحابة سيهزمون» فهذا ظن بالله ظن السوءء ظن أن الله لن ينصر رسولة
ولا ينصر عباده المؤمنين» ويظهر عليهم الكفار والمشركين إظهارًا مستمرّاء
أما
أنه يظهر عليهم الكفار والمشركين في بعض الأحيان لسبب من قبل
المؤمنين»
ويعاقبهم الله فهذا واقع» ولكن من ظن أنه لا ينصر رسوله ولا أولياءه وأنه
يديل الباطل إدالة مستمرة فهذا قد ظن بالله ظن السوء» ومن ظن أن الله
لا
يبعث عباده ويجازيهم بأعمالهم فقد ظن بالله ظن السوءء وظن به عدم
العدل
بين عبادة» وظن به العبث إلى غير ذلك؛ ومن ظن أن الله لا يبعث رسولًا ولا
ينزل كتابًا ويترك الناس على عقولهم فهذا ظن بالله ظن السوء» كما قال
تعالى:

وما قَدَيُا أنه حَقّ كرو د قَالا مآ أَيّلَ أَمهُ عَلى بَرٍ بَن شَووٌ قل مَنْ أَزَلَ الكتبّ اذى جَآ يو مُوتَئم [الأنعام: 41]» يخاطب اليهود الذين قالوا: لمآ أَيْلَ أنه عَلَ تر بّن كَوَ»» يريدون أن ينكروا رسالة محمد ول» لت مَنْ أَزَّ الكتب الى

يرن سمرسم عد ال سار رار مر م ا ا ررمي 2

سلٍ 7 سي م 7 ا
جاءَ به مومئ ورا وشتى لناب تجعلوت فراطيس تبدوتها وَتَخْفونَ كيها
وططِمتم ما لم

. فهذا نفي لعلم الله وسمعه وكمال إدراكه» وكقى بذلك ذنبًا

وإن ظنّ أنه يسمع ويرى ولكن يحتاج إلى من يليّنه ويعطّفه
عليهم؛ فقد أساء بأفضال ره وبرّه وإحسانه وسعة جوده.

*# وبالجملة فأعظم الذنوب عند الله إساءة الظنء ولهذا يتوتّدهم
في كتابه على إساءة الظّن به أعظم وعيدء كما قال تعالى : «أَصَأِيتَ يانه
تك ليا عَيمْ تيه الت تَكَيْبَ أ تير تلز ركد نيز جر

مدت نَصِيا © [الفح: +1 ل لل

خرن رمع حر او رمد
١: فهم لا يستطيعوا أن يقولوا4[:الأنعام] شلا شر ول" ءَابَاؤكم م أنَدُم
لا أيدذا

قوله: (فهذا نفي لعلم الله وسمعه وكمال إدراكه. وكفى بذلك ذتيًا.) وظنا
بالله ظن السوء.

قوله: (وإن ظنّ أنه يسمع ويرى ولكن يحتاج إلى من يليّنه ويعطّفه
عليهم,؛ فقد أساء بأفضال ربّه وبرّه وإحسانه وسعة جوده)ء الذين يتخذون
الوسائط بينهم وبين الله ليقربوهم إلى الله زلفى» ويشفعوا لهم عند الله
هؤلاء
ظنوا بالله ظن السوءء وجحدوا علمه ورحمته بعباده» وجحدوا سمعهة
وبصرة»
وأنه يحتاج إلى المبلغين» وجحدوا عطفه على عباده ورحمته بعباده حتى
يتوسط أحد عنده مثلما يتوسط أحد عند المخلوقين» فيُحطفهم» هذا من ظن
. السوء بالل كك

قوله: (وبالجملة فأعظم الذنوب عند الله تعالى إساءة الظّنء ولهذا
يتوعّدهم في كتابه على إساءة الظن به أعظم وعيد)» قال تعالى : #وَثيتَ 5
١" فى ويك وَظنَنُمٌ طركى النَرْهِ رَسحُنتُر قرا برا (0 ال

1١ :وفي سورة (الفتح) قال تعالى : «إإذا قثن د تنما تنا 0 [الفتح

والمراد به صلح الحديبية» وقد اعتبره فتحًا عظيمّاء ادي آكَ أَنَّهُ ما ما تقد من
دَيِكَ وما تَأَخْرَ دَبدَ شَنَتَدُ عد يَبَيِبَكَ برا َتنا © تَبَمْكَ أله ضَئ

-*#شرح تجريد التوحيد المفيد #أزمتنا

وقال تعالى عن خليله إبراهيم كية: «أآيِتك ءَلهَةٌ شن أنه يبد © نا

بت آلْمَلَيِتَ 000 [الصافات: 83 87]؛ أي: فما ظتكم أن يجازيكم
إذا عبدتم معه غيره» وظننتم أنه يحتاج في الاطلاع على ضروريات عباده؛
لمن يكون بابًا للحوائج إليه» ونحو ذلك.

ا © [الفتح: 7 17 هذا ما أعطاه الله للرسول كَل في صلح الحديبية؛ً
وللمؤمنين وصحابة الرسول كل قال 38: «رَتَجْلَ َلَزَن وَالنِّتَتِ جَنتٍ تَجَرى
بن ثَيْهَ الجر خَيرِن فِهَا رَيُخَيْرَ خَنَهُرَ مَيْتَتِمٌ َنَ مَِكَ عد آله من
عِّلِيمًا (ن6 [الفتح: 5]» ثم ذكر المنافقين الذين أساءوا الظن بالله ق؛ فقال:
ره السو وَخَيْبَ أَنَدُ عله وَلسنْهُرَ وَأعَدّ لَمُدَ جَهَنمٌ كنكت نَصِبا © [الفتح:
؛ فالمتافقون الذين ظنوا أن الله لا ينصر رسوله» وأنه لا ينصر عباده[
المؤمنين» وأنه لا يغفر لهم» ولا يتفضل عليهم؛ فالله م يعذيهم على هذا
الظن السيئع» وحتى المشركين في يوم القيامة يقول الله 8# لهم: «دَذَلِرٌ
طشك الَزى طتنتم يريك أردسكر تَأسَبَستُم بَنَ ميري (©)» [فصات: “7]
الكفار
والمشركون ظنوا بالله ظن السوء؛ فلذلك صاروا في جهنم يوم القيامة.

قوله: (وقال تعالى عن خليله إبراهيم - 85: أيِتَكًا عله دن أله دن
كنا تلشكر بِتَ آلعْلَبِيَ (0©©)» فالمشرك ظن بالله ظن السوء حيث ©
أشرك به
من ليس له شيء من العبادة» فأشركه مع الله 8# فإبراهيم #8 قال لأبيه
وقومه ينكر عليهم: طم تَقْبْدُئَ ©©©»؛ لأنهم كانوا يعبدون الأصنام» ظِقَالاً
تيد أتنامًا تتطَلُ ما عَكيِنَ © قل مَل تعد إذ تَنعْة © أذ بَتَحْتكُ آز
[- 71074 :الشعراء] «(©) يَشُنِنَ (0©) قَلوا بل فين تابنا كَنَلِكَ يَقْلوةَ
فليس لهم
« حجة إلا التقليد» وفي الآية الأخرى؛ قال لهم: «إمَاذَا تَبُددَ © بنك
يعني : كذباء إءَالهَةُ دن أن زْدْدَ © فَمَا طن بت الْحَلِمِينَ © [الصافات:
هم - لام]ء ما هو هذا الظن الذي ظننتم برب العالمين فأشركتم معه هذه
الأصنام» وهذه الجمادات الناقصة العاجزة.

وهذا بخلاف الملوك؛ فإنهم محتاجون إلى الوسائط ضرورة #
.لحاجتهم وعجزهم وضعفهم» وقصور علمهم عن إدراك حوائج المضطرين
فأما من لا يشغله سمع عن سمع» وسبقت رحمته غضبه» وكتب #
.على تنفسه الرّحمة؛ فما تصنع الوسائط عنده؟

قوله: (وهذا بخلاف الملوك)؛ فهم يقولون: كما أنك تحتاج إلى
الوسائط عند الملوك؛ فأيضًا تحتاج إلى الوسائط عند الله» فيقيسون الله
بخلقه؛
وهذا من سوء الظن بالله فكء ومن تنقص الله حيث شبهوه بالملوكء
والملوك
بشر لا يدرون عن حوائج الرعية إلا إذا بلغوا عنهاء وأيضًا لو بُلغوا فقد لا
يريدون قضاء حوائجهم» إلا بمن يُعطفهم ويرقق قلوبهم للرعية أو للمحتاجين؛
أما الله #8 فإنه لا يخفى عليه شيء» وهو سبحانه يرحم عباده» ويُنعم
عليهم؛
.فليس بحاجة إلى من يعطفه على خلقه

قوله: (فإتهم محتاجون إلى الوسائط ضرورة)» فالملوك محتاجون إلى
الوسائط والوزراء ليبلغوهم عن أمور الرعية ويعينوهم على قضاء حوائج
الرعية» فلا يقوى بنفسه أن يقوم بكل شيء؛ أما الله 8# فإنه لا يعجزه
شيءء؛
ولا يخفى عليه شيء» فهو الغني عن خلقه فليس بحاجة مثل حاجة الملوك
إلى
ما يصلح ملكهم ويعينهم على تصريفه؛ وهذا فيه رد على من يعبدون القبور
وهم يقولون: نحن نعلم أنهم لا يضرون ولا ينفعون ولا يملكون من الأمر
شيئًاء؛ ولكن لكونهم صالحين فإنهم يشفعون عند الله ويقربون إلى الله
«زلفى
ويصرفون لهم من أنواع العبادات» من الذبح والنذر والاستغاثة وغير ذلك عند
قبورهم» ويقولون: ليقربونا عند الله هذه مقالة المشركين من قبلهم» يقولها
القبوريون اليوم ويرددونها من غير خجل ولا حياء» وهم يقرأون القرآن
ويحفظونه؛ بل ربما يقرأون بالقراءات السبعء ومع هذا ما يقلعون عن هذه
. الجريمة» والقرآن ينادي بوضوح وبيان أن هذا باطل

. قوله: (فما تصنع الوسائط عنده؟) فهو ليس بحاجة إلى الوسائط

فمن اتخذ واسطةٌ بيته وبين الله تعالى فقد ظنّ به أقبح الظنء *
ومستحيل أن يشرعه لعباده؛ بل ذلك ممتنع في العقول والفطر.

واعلم أن الخضوع والتأله الذي يجعله العبد لتلك الوسائط قبيح #
فى نفسه» كما قرّرناه» لا سيما إذا كان المجعول له ذلك عبدًا للملك

العظيم الرّحيم القريب المجيب» ومملوكًا له.

قوله: (ومستحيل أن يشرعه لعباده؛ بل ذلك ممتنع في العقول والفطر)؛
أي: مستحيل أن يشرع الله لعباده أن يتقربوا إليه بالصالحين والأولياء
ويتوسطوا عندهة؟ لأن هذا يتنافى مع كمال علمه وسمعه وبصره ورحمته
ولطفقه
بعباده .

قوله: (واعلم أن الخضوع والتأله الذي يجعله العبد لتلك الوسائط قبيح
في نفسه) فكونه يخضع لهؤلاء الأموات» ويذل لهم ويدعوهم ويستغيث بهم
ويذبح لهم؛ وينذر لهم؛ ويقول: أنا أعلم أنهم خلق؛ وأنهم لا ينفعون ولا
يضرون» ولكن لا أريد منهم إلا الشفاعة» والوساطة عند الله. فنقول: هل
الله
أمرك بهذاء أن تجعل بيتك وبينه واسطةء أم أمرك أن تدعوه مباشرة»
قال تعالى: ددا تسأكلك يبادى عق فَإِقْ خَرِيبٌ بيب تَعْمَةٌ الع إذا تَكَاكَ»
ء وقال: مؤوَقَالَ ربكم ل أسَتجِبٌ 4 [غافر: ٠7]ء ولم[البقرة: ١85]
يقل : ادعوني بواسطة فلان أو علان.

قوله: (لا سيما إذا كان المجعول له ذلك عبدًا للملك العظيم الرّحيم
القريب المجيب» ومملوكا له)؛ فهذا من أقبح الأموره أن تجعل المملوك
شريكًا للمالك في قضاء حوائج العباد» وإغاثة الملهوف وغير ذلك» فهذا من
أقبح الأفعال والاعتقادات.

© © ©

كما قال تعالى: لست لم تك بَنْ شك مَل لم بن نا تت *

ين شك فى ا رَتَفْحُ شر فِيدِ سَيَآءٍ ل 0
أنْفُسَكُمَك» [الروم: م7 أي: إذا كان أحدكم يأنف أن يكون مملوكه شريكه في رزقه» فكيف تجعلون لي من عبيدي شركاء فيما أنا منفردٌ به؛ وهو الإلهية التي لا تنبغي لغيري؛ ولا تصلح لسواي» فمن زعم ذلك فما قدرني حقّ قدريء ولا عظمني حقّ عظمتي.

ناه

كان المشركون يلبون إذا أحرموا بالحج» أو بالعمرة» وكانوا يقولون في تلبيتهم: «لَبيْكَ لا شَرِيكَ لك» إلا شَرِيكًا هو لك. تَمْلِكُهُ وما مَلَكَ»» فلبى النبي كل بالتوحيد؛ فقال: بيك للَهُمٌ ليك لبيك لَا شَرِيك لك لبيك إن الْحَمْدَ وَالنَعُمَةَ لك وَالْمُلْكَ. لا شَريك لك».؛ فنفى الشرك عن الله سبحانه؛ وألغى هذه الكلمة القبيحة» وأنزل الله في ذلك: صِطَرَبَ لكِ تتلا بن أشخ ل لَكُم ين ما مَلكتْ أبن قن شك في 7 ا بَنْتكُمْ تَأثر فيد سَنَكُ ائتَهُم ينيط نسي . فأنتم تقولون: «إلا شَرِيكًا هو لك. تَمْلِخُهُ وما مَلَكَ».
فهل أنك ترضي لنفسك أن يكون عبدك شريكك؟ فكيف ترضى أن يكون عبد الله شريكًا له فترضى لله ما لا ترضاه لنفسك؛ وِكَتَكَ َل اليك

1

قور وى © نت تم نَع اليك ظَلمواً أهواء هم بِكَيْرٍ عِلَيٌ شن تهَدى مَنْ أَصْلُ

ا سف

هكذا78-0٠1 :وما كم بن نَمِنَ (2 وَجَهَكَ لِإِّن خَنِيفَا» [الروم
يبين الله عه التوحيد؛ , وينهى عن الشرك» ويبطل شبهات المشركين» فهذه الشبهة أبطلها الله 8#؛ لأنهم لا يرضون هذا لأنفسهم» لا يرضى أحد أن

يكون عبده ومملوكه شريكًا له في ماله فكيف يرضى هذا لله فل

© © ©

وبالحملة: فما قدّر الله لله حقّ قدره من عبد معه من ظنّ أنه يوصل **
إليه؛ قال الله تعالى: «إِيأَيُهَا ناسح ضُربَ مَثَلّ اتيم يما لَه إنك آلب
توبس من دود أقه لى تلت بصلا ير أ: نكما 5 الآية» إلى أن قال:
ما قرا أله صق قَّ كدري 0 ا لقو عي)0 [الحج: 177 - 76].

وقال تعالى : «ؤوما قَدَرُوا الله حي قدَرِهِ وَالْأَرْضُ جميكا تف ب #
الْقِمَةِ والسَمَوتُ مَطوتت بِيَميِيْهء سُبْحتةُ تصق عَما شروت)60 [الزمر : 67].

فما قدّر القويّ العوير حقٌ قدره من أشرك معه الضّعيف الذّليل *.

واعلم أنك إذا تأمّلت جميع طوائف الضّلال والبدع؛ *#

قال تعالى في سورة (الحج): وأا الاش مرب َكَل سكيم د ما
هو هذا المثل؟ «#إِكى الب تعونت ين دُونِ أل من الأصنام والأشجار
والأموات ' والأحجار والملائكة والرسل؛ وجميع العباد» «إلن يلقو دابا ولو
أجَتَمَثا ذ»؛ فالعبادة لا يستحقها إلا الخالق» وهؤلاء لا يخلقون شيئًا؛ وهم
يُخلقون نء فكيف تعبدونهم كيف تعبدون المخلوق العاجز مع الخالق القادر
كل
هذا من براهين التوحيد» وإبطال الشرك» تن يِخْلُقاً رُبابا» فالذباب هو أضعف
شيء وأقل شيء» لو اجتمع الإنس والجن والأطباء وحذاق العالم يريدون أن
يخلقوا ذبابًا ما استطاعوا لينفخوا فيه الروح ويجعلوه » يتحرك ويذهب ويأتيء
لا
يمكن» يمكن أن يصوروا الذبابء أو يصنعوا تمثالًا مثل الذبابء ولكنهم لا
ينفخون فيه الروح ويجعلونه حيًّا» فلا أحد يقدر على هذاء دأو أمُمعا ل ؛
بل : رن يَنُهُمْ الْأَبَابُ شيا لا بْكَهَدُهُ , ري يمره ل َبٌ ل(©» ثم
قال : جما قَدَرُاً أنه حَنَّ دري إِنَ أله لقو عَيٌّ © [الحج: 977 74]. فمن
#شرك باه ما لوم حق قاد ا لأنه لا يقبل الشرك» والشرك تنقّص له 8

لدم الترقرِ سوسم

وقال تعالى : «تما ددا اله حل كني وَالأئش جما فته بم الكَة
ام ثُ مَطوِثَتٌ وب م قرامِ م وَتَمثنَ عَنَا ا عَنّا يشر © وقال تعالى فى 01
آخر سورة (الزمر»): ما و ا 4 ره رد ؟ أي: ما عظموه هه حق تعظيمه؛

وجدت أصل ضلالهم راجعًا إلى شيئين:

أحدهما: ظنهم بالله ظنّ السّوء #.

والثاني: أنهم لم يقدروا الرّب حقّ قدره *.

فلم يقدره حقّ قدره: من ظنّ أنه لم يرسل رسولّاء ولا أنزل #
كتبًا؛ بل ترك الخلق سدى» وخلقهم عبثًا.

وَالَأضٌ جيِكًا قَصَتُهُ بَوْمّ الْقِيِمَةَ»ء؛ فالأرض بجبالها وبحارها وجميع»
محتوياتها يقبضها الله ##ٌ بيده يوم القيامة. «وَالتَتَوتُ مَطِيتَتٌ بِيَسِيْبٌ»؛
أي: السموات أيضًا يقبضها الله تعالى باليد الأخرىء على سعتها وعظمتهاء
فهذا يدل على عظمة الله 8# بحيث يطوي السموات بيمينه» ويقبض الأرض
بيده الأخرى» هذا يدل على عظمته» فكيف يُشرك به المخلوق الضعيف الذي
لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرّاء وهو من أضعف الناس» ثم قال: «إسُبَحتهُ
وتشلَ عَم برت (ثاي [الزمر: 17].

قوله: (وجدت أصل ضلالهم راجعًا إلى شيكين..)؛ فالمشرك جمع بين
الأمرين: أولًا: أنه ما قدر الله حق قدره حيث ساوى المخلوق الضعيف
به 8#؛ والثاني: أنه ظن بربه ظن السوء وأنه عاجز وبحاجة إلى من يعينه .

قوله: (فلم يقدره حقّ قدره من ظنّ أنه لم يرسل رسولًا» ولا أنزل كتبًّا؛ بل
ترك الخلق سدى ؛ وخلقهم عبثًا)؛ كما يقوله الدهريون الذين يزعمون أن هذا
الكون
ليس له خالق» وأنه وُجد صدفة» أو نتيجة لتفاعلات المواد الكونية» وليس له
خالق»؛ تعالى الله عن ذلك» وكذلك الذين يجحدون أن الله أرسل رسولًا أو
أنزل
كتاباء هم يا له ع رو ز كاأيا تا َي له ع بكر بن خَرَي [الأنمام: ١4]؛
فيظنون أن الله سيهمل عباده ولا يأمرهم ولا ينهاهم» ولا يوجههم بما فيه
خيرهم
ولا ينهاهم عما فيه ضررهمء فيتركهم؛ وهذا سوء ظن بالله 38؛ ونقص في
حقه؛
ما قدره حق قدره من قال ذلك من الفلاسفة» ومن العقلانيين الذين يقولون:
إن

العقول تكفي من دون شرع ؛ فالعقل يكفي عندهم» فيألهون العقل» والعياذ بالله .

.ولا قدره حقّ قدره: من نفى عموم قدرته وتعلقها بأفعال عباده #
.من طاعاتهم ومعاصيهم وأخرجها عن خلقه وقدرته
«ولا قدر الله حقّ قدره: أضداد مؤلاء *

قوله: (من نفى عموم قدرته وتعلقها بأفعال عباده؛ من طاعاتهم ومعاصيهم) هذا في القدريةء الذين غلوا في إثبات قدرة العبد؛ وجعلوه يخلق «فعل نفسه»ء وأن الله لم يُرد ولم يقدر فعله» وإنما هو الذي أراده باستقلال وفعله باستقلال» مع أن الله 8 يقول: عاِٱَتَهُ خَنُ كي شير [الزمر: 77] هم يقولون: العبد يخلق فعل نفسه» فجعلوا خالِقِين مع الله ا وما قدروا الله حق قدرم» هذا في القدرية من المعتزلة وغيرهم الذين يقولون: إن الله لم يخلق أفحال العباد ولا أرادها ؛ هم الذين أرادوها وهم الذين أوجدوها استقلالاً. فجعلوا الله عاجرًاء وجعلوا له شركاء في الخلق» تعالى الله عن .ذلك وهذا قول المعتزلة ومن مشى في ركابهم من ثقاة القدر

قوله: (ولا قدر الله حقّ قدره: أضداد هؤلاء)» الذين على النقيض. من المعتزلة» وهم الجبرية» يقولون: العبد ليس له إرادة أصلًا ولا مشيئة؛ وإنما هو مرك مسير لا مخيّرء وأنه يفعل الطاعات بغير اختياره» وبغير قدرتة؛ ويفعل المعاصي بغير قدرته وبغير اختياره؛ إذَا يسيئون الظن بالله؛ لأنه يعذبهم على شيء ليس من فعلهم» وأن الله ظلم العبد بحيث عذبه بشيء ليس له فيه
دخل وإنما هو مخرك» ليس باختياره» هذا قول الجبرية والعياذ بالل وهم على النقيض من القدرية. وأهل السُنَّةَ والجماعة توسطوا فقالوا: العبد له مشيئة
وله إرادة» ولكنها لا تخرج عن مشيئة الله ا وإرادته» والعبد يقدر على فعل الخير وترك الشرء هو المطيع وهو العاصي بفعله وإرادته ومشيئته؛ ولو شاء ما
عصىء ولو شاء ما زنى» ولو شاء ما سرق؟؛ فالعبد يفعل الخير بمشيته ويفعل
الشر بمشيئته؛ ولكنها بعد مشيئة الله 8#» «يَنَا تَتَانُونَ إل أن ينه آله رَبُّ ٱلْكَلَمِيتَ (8)» [التكوير: 74]» والله علق العقوبات على أفعال العباد؛. على

الذين قالوا: إنه يعاقب عبده على ما لم يفعله؛ بل يعاقبه على فعله سبحانه» وإذا استحال في العقول أن يجبر السّيد عبيده على فعل ثمّ يعاقبه عليه قكيف يصدر هذا من أعدل العادلين؟ وقول هؤلاء أشرّ من قول المجوس القدريّة الأذلين. ولا قدره حقّ قدره: من نفى رحمته ورضاه

الكفرء على الشركء على المعاصي» على الذنوب» علق الثواب على الطاعات والحسنات؛ فالجزاء ما عُلى بالقضاء والقدرء وإنما عُلَى بأفعال العباد» يجزيهم بأعمالهم» أو يجازيهم عليهاء ولذلك الذي لا قدرة له ولا مشيئة له وهو المجنون والصغير والنائم لا يؤاخذ؛ لأنه ليس لهِ قدرة ولا مشيئة فلا يؤاخذ إذا حصل شيء منه؛ لا يؤاخذ على هذاء «إلا يُكَيّتُ آَتَهُ تَنْسَا إلا «يُتحَكا لا ما كبك بكب لكب رى لك تزينتا يه حت أ أنكا
. وكذلك المكره؛ فالمكره لا يؤاخذه الله ؟ لأنه بلا اختيار «[البقرة: 7/87]

قوله: (الذين قالوا: إنه يعاقب عبده على ما لم يفعله؛ بل يعاقبه على فعله سبحانه)» يقولون: إن الله هو الذي خلق المعصية. والعبد ليس له فيها أي تدخل» وإنما أجبره عليها» إذَا يعذبه على غير فعله فيكون ظالمًا» تعالى الله
. عن ذلك

قوله: (وإذا استحال في العقول أن يجبر السّيد عبده على قعل ثم يعاقبه عليه)» هذا في الناس لا يصلح؛ أن السيد يجبر عبده على فعل» ثم يعاقبه عليه كيف تجبره عليه ثم تعاقبه عليه؟ هذا يصير ظالمَاء. فكيف بالل عِين؟ الله
أعطى العبد قدرة ومشيئة واختيارًا؛ وتمييزًا بين الخير والشرء فهو الذي أقدم وفعل؛ فالله يعذبه على أفعاله لا على القضاء والقدر.

. قوله: (فكيف يصدر هذا من أعدل العادلين؟)» وحو الله ل

قوله: (ولا قدره حقّ قدره: من نفى رحمته ورضاه)ء كذلك ما قدر الله حق قدره من نفى عنه الأسماء والصفات» من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة؛ ومن سار على نهجهم» ما قدروا الله حق قدره سلبوه كماله وعظمته وجعلوه

ومحبّته وغضبه» وحكمته مطلقًّاء وحقيقة فعله. ولم يجعل له فعلًا اختياريًا؛ بل أفعاله مفعولات متفصلة عنه.

مجرّدًا عن الأسماء والصفات» فصار مستحيلًا أو معدومّاء نسأل الله العافية.

قوله: (ومحبّته وغضبه..)» هذه أمثلة وإلا فالكلام على من نفى الأسماء والصفات. فهذا ما قدر الله حق قدره حيث وصفه بالعجز» ووصفه بالنقص، وشبهه بالجمادات.

© © ©

رولا قدره حقّ قدره: من جعل له صاحبةٌ وولدّاء أو جعله يحل
فى مخلوقاته؛ أو جعله عين هذا الوجود.

قوله: (ولا قدره حقّ قدره: من جعل له صاحبة وولدًا). صاحبة؛
يعني: زوجة» وهم النصارى» والمشركون من العرب الذين نسبوا البنات
إلى الله يىء والتصارى نبوا البح إلى الله واليهود نسبوا عزيرًا إلى الله
إركالب الهُدُ حُرَيرٌ أي الله كاك ألستَرى ألْنَسِيح أنف لك [التوبة»:
فهؤلاء ما قدروا الله حق قدره؛ لأن الولد يشبه الوالدء والله لا شبيه ©
له؛ ولأن الولد جزء من الوالد»ء والله ## لا يكون له ولدّا فيكون جزء
منفصلًا عنه 8# وأيضًا الوالد ب إلى الولدء والله ليس بحاجة إلى
أحدء قفالا اكد أنه يكنا مْتَحَمَةٌ ختك ل ال نا قف اتوت ثَنَا في
<« لض إن مَك ين سُلْطّنٍ : لا تقوأونب عَلّ أنه مالا ملسن

[يونس: غت].

قوله: (أو جعله يحل في مخلوقاته) كذلك ما قدر الله حق قدره: من نفى
عنه العلو والاستواء على العرش» وجعله حالًا في مخلوقاته». وجعله في كل
مكانء هؤلاء حلولية والعياذ بالل هذا كفر أكبر؛ لأنهم لم ينزهوا الله يخ
ولم ب يثبتوا له العلوء والاستواء على العرش» جعلوه مختلطا بالخلق؛ بل
منهم
من يقول: إنه حال في المخلوقات» إنه حل في المسيح ابن مريم» وحل في
الأولياء والصالحين؛ حتى يقول بعضهم: ما في الجبة إلا الله. الجبة التي
يلبسها؛ الله فيهاء تعالى الله عما يقولون» هؤلاء حلولية» وأشد منهم وأقبح:
أهل وحدة الوجود» الذين يقولون: الله هو الموجودات جميعّاء وليس هناك
خالق» ومخلوق؟؛ بل الله هو جميع الموجودات» ولا تقسيم. هؤلاء أهل
"وحدة الوجودء وهم شر من الحلولية

قوله: (أو جعله عين هذا الوجود) هذا مذهب أهل وحدة الوجود؛
كابن عربي وغيره .

ولا قدره حقّ قدره: من قال: إنه رفع أعداء رسوله وأهل بيته؛ *#
وجعل فيهم الملك.؛ ووضع أولياء رسوله وأهل بيته وهذا يتضمّن غاية
القدح فى الرّب. تعالى الله عن قول الرّافضة.

وهذا مشتق من قول اليهود والنصارى في حق ربٍ العالمين: إنه *
أرسل ملكا ظالمًا» فادعى التبوّة» وكذب على الله ا

قوله: (ولا قدره حقّ قدره: من قال: إنه رقع أعداء رسوله وأهل بيته؛
وجعل فيهم الملك» ووضع أولياء رسوله وأهل بيته)؛ كذلك الرافضة الذين
يقولون: إن الخلافة لعلي بعد الرسول كِة؛ وهو الوصي؛ ولكن اغتصبها أبو
بكر وعمر وعثمان» اغتصوبها منه» والصحابة وافقوهم على ذلك» فهم
ظلمة؛
فهؤلاء ما قدروا الله حق قدره» هل الله عاجز أن يجعل عليًا محل الرسول
كَل
ويترك هؤلاء يغتصبون؟ ما يمكن هذا أبدّاء وقد دُفن أبو بكر وعمر إلى جانب
الرسول كَل وهما مغتصبان؟ حتى إن بعضهم يقول: أنا لا أؤمن برسول
خليفته أبو بكر» لكني أؤمن برسول خليفته علي. وعلي و من الخلفاء
الراشدين» ولكن ليس هو الوصي بعد الرسول» فهؤلاء ما قدروا الله حق
قدره» وإنه مكن هؤلاء من انتزاع الحق من صاحبه» وأعانهم على ذلك
وأثنى عليهم» ورفعهم حتى دفنوا إلى جانب الرسول كَل

قوله: (رفع أعداء رسوله.. ووضع أولياء رسوله وأهل بيته)؛ أي:
أذلهم» فهل هذا يليق بالله 8# .

قوله: (وهذا مشتق من قول اليهود والنصارى في حق ربٍ العالمين: إنه
أرسل ملكًا ظالمَّاء فادعى النبوّة؛ وكذب على الله)ء يعنون محمدًا كَل
يقولون:
محمد ملك ظالم وليس برسولء يا سبحان اللهء ملك ظالمء؛ والله يعطيه
ويمهله وينصره ويثني عليه. «وَيَقْولُ اليك كَثَرْا لنت مصلا قل كَقٌ لَه
شَهينا بق يَيْتَحتْمْ َع عند عِلمٌ الكتتب (6)8 [الرعد: 47]؛ يعني : الله شاهد
علَى هذا الشيء ويعزه وينصره» هذا ظن بالله ظن السوء والعياذ بالله.

ا
ط]؟

ومكث زمنا طويلًا يقول أمرني ربي بكذا ونهاني عن كذاء ويستبيح دماء
أنبياء الله وأحبائه؛ والرّب تعالى يظهره ويؤيده» ويقيم الأدلة والمعجزات
على صدقه؛ ويُقبل بقلوب الخلق وأجسادهم إليه. ويقيم دولته على
الظهور والزيادة» ويذل أعداءه أكثر من ثمان مائة عام.

فوازن بين قول هؤلاء وقول إخواتهم من الرّافضة تجد القولين *#
سواء.

قوله: (ومكث زمنًا طويلا يقول أمرني ربي بكذا ونهاني عن كذاء
ويستبيح دماء أنبياء الله وأحبائه؛ والرّب تعالى يظهره ويؤيده؛ ويقيم الأدلة
والمعجزات على صدقه؛ ويُقبل بقلوب الخلق وأجسادهم إليه » ويقيم دولته
على
الظهور والزيادة» ويذل أعداءه أكثر من ثمان مائة عام)» فهذا قول اليهود
الذين
ينكرون رسالة محمد كَل ويقولون: إنه ملك ظالم. يسيثون الظن باللهء أنه
نصره ومكنه وجعل حبه في قلوب البشرية وآمن به أغلب أهل الأرض»
وانتشر
دينه في المشارق والمغارب» فهل الله عاجز عن أن يمنع هذا؟ هذا دليل على
أنه صادق» وإلا لما مكنه الله 88؛ فالله يقصم المتنبئين» أين مسيلمة؛ وأين
© الأسود العنسي» وأين الذين ادعوا النبوة» أين آثارهم وأين هم؟ فالله
يقصمهم» أما هذا الرسول قَليةٍ أمده ونصره وأعزه ومكنه في الأرض»
والبشرية
الآن لا تزال ترجع إلى دين هذا الرسول كل ومعه هذا القرآن الذي أعجز
البشرية وأعجز الجن والإنس» فهل هذا كذاب» تعالى الله عن ذلك؛ فالذي
يجحد رسالة محمد قل ما قدر الله حق قدره» وكذلك الذين جحدوا رسالة
عيسى وهم اليهود ما قدروا الله حق قدره» فكل من جحد رسالة نبي فإنه ما
قدر الله حق قدره» وكل من صدّق برسالة الكذاب أو نبوة الكذاب ما قدر
الله

حق قذره.

قوله: (فوازن بين قول هؤلاء وقول إخوانهم من الرّافضة تجد القولين سواء)» اليهود يقولون: إن الله أمد هذا الملك الظالم ومكنه» والرافضة

ولا قدره حقّ قدره: من زعم أنه لا يحبي الموتى»؛ ولا يبعث من *
في القبور ليبيّن لعباده الذي كانوا فيه يختلفون» وليعلم الذين كفروا أنهم
كانوا كاذبين.

وبالجملة: فهذا باب واسعٌ؛ والمقصود أن كل من عبد مع الله *
غيره فإنما عبد شيطاًنًا.

يقولون: إن الله مكن أبا بكر وعمر ونصرهما وفتح البلاد والعياد» والله مكنهم
من هذا وهما ليس لهم حق»ء فهذا سوء ظن بالله رب العالمين» فقول
الرافضة
مثل قول اليهودء سواء بسواء.

قوله: (ولا قدره حقٌّ قدره: من زعم أنه لا يحيي الموتى)؛ ما قدر الله
حق قدره من أنكر البعث» ووصف الله بالجورء وأنه لا يقيم العدل بين
عباده» وأنه لا يجازي المسيئين بإساءتهم؛ ويجزي المحسنين بإحسانهم» يوم
القيامة» يقولون: إن الإنسان يعمل في الدنيا ما يشاء ويترك ويموت؛ ولا
يبعث» سواء كان من أصلح الناس أو من أفجر الناس. لا» هذا لا يليق
بعدل الله بِل ما يليق بعدل الله أنه يترك العباد ولا يقيم العدل بينهم.

قوله: (وبالجملة: فهذا بابٌ واسعٌ)» وليراجع كلام ابن القيم في «زاد
المعاد» في فضائل غزوة الأحزاب.

© © ©

والمقصود أن كل من عبد مع الله غيره فإنما عبد شيطانًا؛ قال #
فما0٠ :تعالى : آل أَعْهَد إِلَكُمْ يبي ءَاكم آت لا تَتَبُدُوا آلنَيْعَلنَ»» (يس
.عبد أحدٌ أحدًا من بني آدم كائنًا من كان إلا وقد وقعت عبادته للشيطان
فيستمتع العابد بالمعبود في حصول غرضه» ويستمتع المعبود بالعابد في
تعظيمه له وإشراكه مع الله تعالى» وذلك غاية رضى الشيطان؛ ولهذا قال
:تعالى: تيم يَحَشْرَكُرَ جما يَمَعْثَرَ أن كد انتكثرت بن الإين»»؛ أي
من إغوائهم وضلالهمء شَرَكَالٌ أَزيَاىٔ بَنَ الإني رَبنا أَتَتَنْتَحَ بَنَضْنَا يَنْض
.وَبكَنتَآ أبن اليه أجلت لا قال آلنَارُ مَثونتك خَبلرِنَ فيهَآك» [الأنعام: 178]

فهذه إشارةٌ لطيفةٌ إلى السّر الذي لأجله كان الشرك أكبر الكبائر #

عند الله تعالى» وأنه لا يغفر بغير التوبة منه» وأنه موجبٌ للخلود فى

2

العذات العظيم؛ تمييم ررمي ميرررييميرم ررمي يريم ومرمرممرممر يمرم
فقفة
٠ .

قوله: (فما عبد أحدٌ أحدًا من بني آدم كائنًا من كان إلا وقد وقعت عبادته
للشيطان) فيقال لهم يوم القيامة: اذهبوا إلى من أمركم بهذاء وهو
«الشيطان
والعياذ بالله» فهذا مآل المشركين يوم القيامةء لا يستثنى من هذا مشرك» لا
من
عبد صنمًا ولا من عبد ملكّاء ولا من عبد نيا ولا من عبد وليَّاء لا يُستثنى أحد
من ذلك» كلهم يوم القيامة متبرثون ممن عبدهم» حتى الشيطان الذي قادهم
يتبراً
منهم» «إوَكالَ النَّتِطَنُ لا فى القنز رك اله رَمَتتحُ رغد الى تسن تتنستفش
ماك ل عتم بن شلك إل أن تح التتكنثز لي تلا تَفْحْنٍ بَرثا أَنَخْ نا أنا
ريخ مآ أش بِتُشَضفْد»؛ أي: أنا لا أستطيع أن أنقذكم مما أنتم فيه» وأنتمَ
لا تستطيعون أن تنقذوني مما أنا فيه «إِإِقّ كَفَرّتٌ بِنَا أَنَيكَتنِة [إبراهيم: ١؟]
تبرأ منهم» فهذا مآلهم يوم القيامة وكل عبادة لغير الله فهذا مآلها والعياذ
بالل
هل يبقى بعد هذا عاقل يتعلق بغير الله» لو أن هناك عقولًا سليمة وفطرًا

مستقيمة؛
. ولكن تُطمس العقول والعياذ بالله وتتغير الفطر وتنتكس

قوله: (وأنه موجبٌ للخلود في العذاب العظيم)؛ فالشرك باطل؛ لأنه لم

حم

وأنه ليس تحريمه وقبحه بمجرّد النّههى عنه فقط؛ بل يستحيل على الله أن يشرع لعباده إله غيره» كما يستحيل عليه ما يناقض أوصاف كماله ونعوت جلاله.

يبن على برهان ولا على دليل» وإنما بُني على شبهات وأكاذيب ودعايات تضمحل وتبطل» بخلاف التوحيد: وهو إفراد الله بالعبادة فإنه مبني على البراهين والآيات الكونية؛ والآيات القرآنية؛ فهو مبني على براهين وحجج»؛ وأما الشرك فهو مبني على أوهام ليس لها أصل» قال تعالى: ظِمَثَلُ اريت اذا ين شب ألو أناكه كَثَلِ لكين أتَدَتْ يما بن أت أآلْبْجْتِ
تٌ الْنَحَوْبِ» [العتنكبوت: ١٤]ء بيت العنكبوت ما يُظل من الشمسء» ولا يمنع من البرد» ولا يقي من البرد ولا من المطرء فكذلك آلهة المشركين التي اتخذوها مثل بيت العتكبوت» نسأل الله العافية؛ ولذلك صار الشرك لا يُغفر إلا بالتوبة منه» أما من مات عليه فإنه لا يغفر له «إِئَثُ من بُشرِكُ يله فَقَدٌ عَتَمّ لله عَيْدِ الْجَنَةَ يَتَأيَدُ أَكَزٌ تنا يِقَلِيتَ بنّ أَمَكَارِ © [المائدة: 177
لإِنٌ آنه ل" يَخْفْرٌ أن يُتْرَكٌ يد تِيَّرٌ نا شن ذَلِكَ لمن يِتَكةٌ» [النساء: 8:]؟ فالشرك هو أعظم الذنوب» وأعظم ما نهى الله عنه» وهو أخطر الذنوب؛ إذا مات عليه لا يُغفر له وإذا مات عليه يُحرم من الجنة ومأواه النار» وما للظالمين من أنصار .

قوله: (وأنه ليس تحريمه وقبحه بمجرّد النّهي عنه فقط ؛ بل يستحيل على الله أن يشرع لعباده إله غيره» كما يستحيل عليه ما يناقض أوصاف كماله
ونعوت جلاله)» ليس الشرك قبِيحًا وسيئًا لأن الله نهى عنه فقط» ولكن لأنه أكبر الكبائر وأقبح القبائح؛ لأنه وضعٌ للعبادة في غير مستحقها وهو الله يل ؛ وتعلق على مخلوق ضعيف» لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا ولا موتّا ولا حياة ولا نشوزاء «وَفَقَدُنا بن ُنب عَلِهَةٌ لا يلنب مَيَا َنم يُلَشْ لا تللم

نهم حَنَا وَل نَقْمًا ولا يَتَلِيُنَ مما ول حَبَه ولا شنا © [الفرقات: ؟]
هذه صفتهم.

: واعلم أن النّاس في عبادة الله والاستعانة به على أربعة أقسام *

أجلها وأفضلها: أهل العبادة والاستعانة بالله عليها: فعبادة الله *
غاية مرادهم؛ وطلبهم منه أن يعينهم عليهاء ويوفقهم للقيام بها نهاية
مقصودهم؛ ولهذا كان أفضل ما يُسأل الرّب تعالى الاعانة على مرضاته؛
:وهو الذي علّمه التي كِلةٍ لمعاذ بن جبلء فقال

:فهناك عبادة واستعانة» «إِيَاكَ نَعَبدُ وَإِيَاكَ تعيب (60 [الفاتحة
· وعلى هذه الآية يدور كتاب ابن القيم كِتّله: «مدارج السالكين بين منازل[«
إياكٌ تعبد وإياكٌ نستعيناء بناه على هذه المنازلء على هذه الآية: «إِيَاكٌ
عبد وَإِيَاكَ تَتَوِيتٌ ©©»؛ فلا بد من عبادة الله والاستعانة به؛ والناس
: انقسموا نحو هذا على أربعة أقسام يذكرها الشيخ كته

.القسم الأول: وهم من جمع بين العبادة والاستعانة

. القسم الثاني : من لا يعبد الله ولا يستعين به

. القسم الرابع : من يستّعين بالله ولكن لا يعبذه

ولا يصح إلا القسم الأول الذين جمعوا بين العبادة والاستعانة «إِيَاكَ
نعبد وَإِيَالَ شْيتٌ ©».؛ تُماهد الله أن لا تعبد إلا إيام ولا تستعين إلا
به في كل ركعة من صلاتك» حينما تقرأ هذه السورة العظيمة» سورة
.الفاتحة
والقبوريون والخرافيون يقرؤونها ولكن لا يعبدون الله ولا يستعينون به وهم
يقرؤونهاء وهم يرددون هذه الآية ولكن مع هذا لا يعبدون الله ولا يستعينون
به» لا يعبدون الله عبادة خالصة» وإلا فهم يعبدون الله بأنواع من العبادات؛
ولكنهم لا يعبدونه عبادة خالصة. ولا يستعينون به في المهمات» وإنما
.يستعينون بالمخلوقات» وبالأوثان وبالأموات» إلى آخره

قوله: (أجلّها وأفضلها: أهل العبادة والاستعانة بالله عليها)؛ أي: الذين
جمعوا بين العبادة والاستعانة بالله عليهاء أي على العبادة؛ لأنه لولا أن الله

يا مُعَلاً؛ والله إني أحبّك» فلا تَدَعَ أن تَقُول في دُبْرٍ كل صَلَاةٍ: اللَّهُمّ» أَمِني على ذَكُرِك» وَشْكْرِكُ. وَحُسْنِ عِبَادَتك»!'". فأنفع التعاء طلب العون على مرضاته تعالى.

ويقابل هؤلاء القسم الثاني: المعرضون عن عبادته والاستعانة * به؛ فلا عبادة لهم ولا استعانة؛ بل إن سأله تعالى أحدهم واستعان به فعليى حظوظه وشهواته؛ مممم ممم م ممم ممم مم ممم مو مم ممم ع م وم و ممم مف ممم مم وو ممم فق

أعانك ما استطعت أن تعيده» لاحظ السر بين الجمع بين «إِيَاكَ عبد وَإِبَالكَ

رار با

تيت © لولا أن الله أعانك ما استطعت أن تعبده.

الرسول كَيةِ قال لمعاذ بن جيل ل: (يا مُعَاذً؛ والله إني أحبّك)؛ كفى بهذا فخرّاء (فلَا تَدَعَ أن تَقُول في دُبْرٍ كل صَلَاةٍ: اللَّهُمْ أَمِنّي على ذِكْرِك؛ وَشْكَرِكَ. وَحُسْن عِبَادَتكَ)؛ فأمره أن يسأل الله أن يعينه على عبادته؛ لأنه لو لم ينه على عبادته لم يستطع ذلك» ويردد هذا الدعاء بعد كل فريضةء في دبر كل صلاةء وهل المراد بالدبر آخر الصلاةء أم بعد السلام؟ على قولين؛ فأيهما وقع هذا الدعاء إما في آخر الصلاة أو بعدها فإنه وقع موقعه؛ لأنه يصدق عليه أنه دبر كل صلاة.

هذا القسم الأول وهم أسعد الخلق الذين جمع بين العبادة والاستعانة بالله عليها .

قوله: (ويقابل هؤلاء القسم الثاني)» وهو القسم الخاسر.

قوله: (المعرضون عن عبادته والاستعانة به)» فلا يعبدونه ولا يستعينون به عطلوا هذا نهائيًا والعياذ باللهء نسوا الله فنسيهم.

«قوله: (بل إن سأله تعالى أحدهم واستعان به فعلى حظوظه وشهواته) وإن استعان بالله واحد من هؤلاء فإنما يستعين به على حظوظه في الدنياء

)١(انظر: مسند الإمام أحمد (77119) وسنن أبي داود)16746(.

والله جيل ل من فى السماوات والأرض» ويسأله أولياؤه وأعداؤه. فيمد

هؤلاء وهؤلاء.
وشهواته في الدنياء قن لاس من تَقُولٌ ربكا اها اليا وما له
فليس له هم إلا الدنيا» وإذا دعا الله00٠ [: البقرة] ف الأخِرَةِ بنّ خَلثقٍ 9
فإنما يطلب منه ملاذ الدنيا وشهواتهاء» ولا يطلب الآخرة. ولا تخطر له على
بالء فهذا لم يعبد الله ولم يستعن به الاستعانة المطلوبة» التي هي الاستعانة
على العبادة» أما الاستعانة على أمور الدنيا وحدها فهذه ليست بشيء.

قوله: (والله 8# يسأله من في السماوات والأرض)؛ كما قال تعالى:
تتأ من فى الَتوتِ والأتٌ كل يري عُرٌ في تَأنٍ © [الرحمن: 74]؛ أي: كل
ساعة هو سبحانه في شأن؛ أي: في تدبير لخلقه وأمر ونهي وتصريف دائمًا
وأبدّاء فكل يوم هو في شأن.

قوله: (ويسأله أولياؤه وأعداؤه). يسأله أولياؤه المتقون» ويسأله أعداؤه؛
فالكفار والمشركون يسألون الله لا غنى بهم عن اللهء فإذا وقعوا في الشدة
سألوا الله يين» «ِتحَرًا أنه خُامِينَ آ اللِْدَة [يونس: ؟؟]؛ أي: الدعاءء ونا
تنكم اضر في الْبَحْرٍ صل من تَدْعُنَ إلا 4 [الإسراء: «د]ء «وْهرٌ الى يسبت في
ل ابر حك 8 كُثد فً الك تيد جم بيع بيه تَكيحًا يجا جَدتهَا ربع
عاتٍ وَبَهَهُمْ التَرّخ ين كي مَكَانٍ يتما آنَهُمْ أيبتد بهم دوا آنه خلِمِينَ لَه اليب
إن أَيِيْتنَا بن مَذِي ال مِنّ التَرِينَ (10 [يونس: 77] فيخلصون؛ لأنهم
يعلمون أنه لا ينقذ من الشدائد إلا الله تضمحل أصنامهم ومعبوداتهم ما
تنقذهم من الشدائدء يعرفون هذا فيخلصون لله في هذه الحالة. كل من في
آرت وَالأضِ [الرحلن: 114 حتى المشركون حتى الكفار يسألونه في
حالات الضرورة والشدائد. ا

ليا

قوله: (فيمد هؤلاء وهؤلاء) قال تعالى : تن كا 2 م بد الماجلة عَجلنا حا دوس
1

يها ما تَثك لسن تِدٌ ثُرَّ جَمَلنَا لَك جَهَثمَ يَسَتَهَا ا ا 8 ا

بال أ أ أ ا أ أ أ ا أ أ لجراي أ أي د أ أ أي أجلي اموا كا اي ا أي اد د أي أ ايا أو
أي ا أب أ بد ليد أي ودام أو لما لجا لج أو أ أو أو أو أ أو اسه دا اج و ا ل ا

لا رس ا اد الل د الدا . ا ص سم رن مرك ينص
:الْآخِرَة وَسَعئ ما سَحيهَا وهو مون تَأوْلَيِكٌ كان سَعيْهُر شحنا (00)» [الإسراء
]؟ الله يعطى هؤلاء ومؤلا من طلب ودعاه للآخرة أعطافء ومن4٠ غم

ٍ◌

دعاه للدنيا فهذا تحت المشيئة» إن شاء الله أعطاه» وإن شاء حرمةه؛ ؤكُلد
ذُ

:مَزْلَم رَحْلَة بنّ عَعَكَ رَئْكَ وما كَأنَ عَطَلءُ ريك حون > [الإسراء: ١٠]؛ أي

ممنوعًا» قال 285: «اللَهُمٌ لا مَائِمَ لِمَا أَعْطَيْتَ ولا مُعْطِيٍ لِمَا مَنَعْتَ ولا يَتْقَمُ
ذا

لْجَدٌ يك الْجَد"؛ نا يقت أنه لتايى ين تو ثلا ثيك كا تا بشي لا
ا

3

سر اج سيرسضن امم

مرسِلٌ 1 من بعدوء وهو المَبرٌ مً«# [فاطر: ؟].» فلا أحد يمنع ما أعطاه
انلف
. #ولا أحد يعطي ما منعه الله أَبدّا؛ فالعطاء والمنع بيد الله 8

© © ©

)١(أخرجه البخاري)854(.

وأبغض خلق الله إليه إبليس. ومع هذا أجاب سؤاله وقضى *
حاجته» ومتّعه بهاء ولكن لما لم تكن عونا على مرضاته كانت زياد فى
شقوته وبعده.

وهكذا كل من سأله تعالى واستعان به على ما لم يكن عونا له *
على طاعته» كان سؤاله مبعدًا عن اللهء فليتدبّر العاقل هذاء وليعلم أن
إجابة الله لسؤال بعض السائلين

قوله: (وأبغض خلق الله إليه إبليس؛ ومع هذا أجاب سؤاله وقضى
حاجته؛ وممّعه بها)ء إبليس هو أكبر أعداء الله لما أمره الله بالسجود فأبى
واستكبرِ وكان من الكافرين» لما أمره الله بالسجود لآدم أبى واستكبر وكان
من
الكافرين فلعنه الله وطرده من رحمته؛ ثم دعا الله فليس له غنى عن الله؛
قال: «َتنظِرَنٍ إل بير يُحْمُةَ ©4 [الحجر: 1+6 طلب من الله أن ينذره وأن
يمد في حياته إلى يوم البعث من أجل أن يضل بنيِ آدم» ويضر بني آدم
بزعمه» فالله # استجاب له قال: ظِقالَ فَنَكَ بن الْسُعَرِينَ (© إدَ بكر الرَقّدِ
انور)4 [الحجر: 77 8*]؛ فالشاهد من هذا أن الله استجاب دعوة
إبليس» وهو أكبر أعداء الله؛ فالله يعطي ويستجيب لأوليائه ولأعداثه» ولكن
أولياءه يستجيب لهم عن رضا ومحبة» وأعداءه يستجيب لهم وهو لا يحبهم .

قوله: (ولكن لما لم تكن عونا على مرضاته كانت زيادةً في شقوته
وبعده)» فاستجاب الله لإبليس وأنظره» ولكن هذا زيادة في عذابه والعياذ
بالله» فليس إكرامًا له؛ لأنه في تأخير حياته يزداد إثمًا وعذابًا» فليس هذا من
صالحة؛ الله يل يملي للظالم حتى إذا الا رك َب الِب كَتَرا

١ رس ارم

م شل طم حر اام إنما ل 2 دادما ! عَذَابُ شير 1 [آل
عمران: 78١]؟ فالكافر والمشرك إذا مد في د فهذا شر لهء والمؤمن إذا مد
في أجله فهذا خير له وخير الناس من طال عمره وحسن عمله.

قوله: (فليتدبّر العاقل هذاء وليعلم أن إجابة الله لسؤال بعض السائلين

«ليست لكرامته عليه؛ بل قد يسأله عبده الحاجة فيقضيها له وفيها هلاكه ويكون منعه منها حماية له وصيانة؛ والمعصوم من عصمه اللهء والاتسان على نفسه بصيرة.

وعلامة هذا: أنك ترى من صانه الله من ذلك وهو يجهل حقيقة *# الأمر ء إذا رآ سبحانه يقضي حوائج غيره يسيء ظنّه به تعالى» وقلبه محشو بذلك وهو لا يشعر.

ليست لكرامته عليه؛ بل قد يسأله عبده الحاجة فيقضيها له وفيها هلاكه, ويكون منعه منها حمايةً له وصيانةً)؛ قال تعالى: «وَيَرَخُ ال اشن يالك دعام ١ فقد يدعو الإنسان بما فيه هلاكه؛1[« :الإسراء] «الا فانَ الِشْنُ عند (0©) فإما أن يستجيب الله له عقوبة له وإما أن يمنعه وهذا خير له فلو استجاب له لكان ضررًا عليه؛ لذلك من دعا الله ولم يُستجب له فلا يتحسرء وليعلم أن الله
ما أخر إجابته إلا لصالحه» ولا يقول: دعوت ودعوت فلم يستجب لي وليكثر من الدعاء ولا ييأس» ولا يقول: الدعاء لا ينفع؛ دعوت ودعوت فلم يُستجب لي. لم يستجب لك هذا من صالحك؛ لأنه لو عجل لك ما طلبت لكان فيه هلاكك» «وَآلَهُ يَعَلَرٌ وَأَنْتُرٌ ل" تَعَلَنْونَ © [البقرة: 113].

: قوله: (والمعصوم من عصمه الله والانسان على نفسه بصيرة)؛ أي الإنسان تشهد عليه أعضاؤه وجلده يوم القيامة؛ فهي بصيرة عليه؛ أي: شاهدة عليه .

قوله: (وعلامة هذا: أنك ترى من صانه الله من ذلك وهو يجهل حقيقة الأمرء إذا رآه نل يقضي حوائج غيره يسيء ظنّه به تعالى» وقلبه محشو بذلك وهو لا يشعر)» إذا دعا الله ولم يستجب له ورأى أن غيره يُستجاب له ربما يقع في نفسه شيء من الحرج؛ وسوء الظن بالله فَيكْ؛ ولا يعلم أنه ربما يكون
في إجابة الدعاء ضرر على العبدء وربما يكون في منع إجابة الدعاء خير للعبد» فليرضى عن الله يل ولا يجزع.

وأمارة ذلك: حمله على الأقدان» وعتابه فى الباطن لهاء ولقد *
كشف الله سبحانه هذا المعنى غاية الكشف فى قوله تعالى: «إكاما الإشسن

عطي و ل ب السب ا

ذا ما أبكلله

مرضي اي مير حر رد ايض اله يط
؛ أي: ليس كل من[١٠ - ٧١ :الفجر] <عليه ردقه فيَقَولٌ ب أهن (©) 37
أعطيته ونعّمته وخوّلته فقد أكرمته. وما ذاك لكرامته علن» ولكنه ابتلاء متّى

وامتحان له أيشكرنى فأعطيه فوق ذلك أم يكفر ني فأسلبه عنه وأحوّله
"عنه لغيره؟ ل ا الل

قوله: (وأمارة ذلك: حمله على الأقدارِ» وعتابه في الباطن لها)؛ إذا لم
يحصل للإنسان شيء يسب القدرء ولا يعلم أن هذا من الله 88؛ لا من
.الأقدارِ ولا من الأسباب

قوله تعالى : «إِكنًا لضن دا ما بتكن رَيُدُ تأَكرَمَدُ وَتكَمَتُ يَعْوَلْ بتِ أَكْرَينٍ
آنآ ذا ما أيتكنهُ فَقدَرَ كد رقت تمد ري آَم © 43# بعض الناس أو كثير
من الناس مقياس الكرامة عنده هو أن الإنسان يُعطى من هذه الدنياء يُعطى من
الأموال والأولاد والجاه فيقولون: هذا كريم على الله وهذا هو السعيد. وأما
الذي يكون في فقر وحاجة وضيق من العيش» فيقولون: هذا شقي» وهين
على الله فِينْ. ولا يعلمون أن الأمر بالعكس» فالله يعطي الدنيا من يحب ومن
لا يحب؛ ولكنه لا يعطي هذا الدين إلا من يحب؛ فليس الغنى دليلًا على
الكرامة عند الله» وليس الفقر دليلًا على الإهانة عند الله يَيِكْ؛ ولذلك الله
يزوي نأ الدنيا عن أوليائه». ويحميهم منها كما يحمي الطبيب مريضه عن
الطعام والشراب إذا كان يضره» وفي ذلك مصلحته» وهذا رسول الله كَل
أفضل الرسل» وأكمل الخلق وأفضلهم» كان يربط الحجر على بطنه من
الجوع؛ وكان يجوع يومًا ويشبع يومًا وهو أكرم الخلق على الله وهناك من
الكفار والمشركين من يتنعم في هذه الدنيا وهو أشقى الخلق عند الله فَك؛
فالدنيا ليست مقياسًا أبدّاء المقياس هو الدين» هذا هو المقياس» ولكن كثيرًا

وليس كل من ابتليته فضيّقت عليه رزقه» وجعلته بقدر لا يفضل عنه , فذاك من هوانه علئ» ولكن ابتلاء وامتحان منّي له؛ أيصبر فأعطيه أضعاف ما فاته أم يسخط فيكون حظّه السّخط؟.

وبالجملة: فأخبر تعالى أن الاكرام والإهانة لا يدوران على *# المال وسعة الرّزق وتقديره؛ فإنه سبحانه يوسّع على الكافر لا لكرامته؛ ويُقتّر على المؤمن لا لهوانه عليه؛ وإنّما يكرم - سبحانه - من يكرم من عباده بأن يوفقه لمعرفته ومحبّته وعبادته واستعانته؛

من الناس تتعلق قلوبهم بالدنيا» ولا تتعلق بالدين والآخرة فعندهم أن مقياس السعادة هو في الثروة والغنى والترف» ومقياس البؤس والشقاء هو بالفقر والحاجة.

قوله تعالى: «ِإتنَا الْإِنَنٌ»»؛ يعنى: جنس الإنسان» «إِإذًا ما أيه
© ري أي: إختبيره ربهة+ ونا ترم و ابتلا فول ست أمُرَسن
يظن أن هذا الذي أعطاه الله لكرامته على الله #إوأما إذا ما أبكنه فَقَدَرَ عليه

رزْقَبٌ»»؛ يعنى: ضيقه؛ ابتلاه؛ يعنى: اختبره بالفقرء «هيقولُ رع أن

قال الله ©4: 32> هذا نفي» فليست الكرامة والإهانة بأمور «»© الدنيا .

قوله: (وليس كل من ابتليته فضيّقت عليه رزقه» وجعلته بقدر لا يفضل عنه)» قارون لما خرج على قومه في زينته» قال الكت ريثت الْحَبَ لدي تيت آنا يلِ نآ أب قَبْيِهُ إِكَدُ آثر عَنَذٍ عَظِيرٍ © تَكلَ الريك أنما الْمِلمّ «©© نَتَكُمْ تَابُ لله خَرٌ لِنْ أَتى تَعَيلَ صَيْحًا وَل يمك إل اليدَ
فلا يُلقَى هذا الإيمان والصبر على الفقر والحاجة إلا [القصص: 74 - 80] الصابرون على قسمة الله 8# والرضا عنه يل .

قوله: (فإنه - سيحانه - يوسّع على الكافر لا لكرامته» ويُقتتر على المؤمن لا لهوانه عليه)ء ولهذا في الحديث قال كلة: «لو كانت الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنّدَ الله

فغاية سعادة الأبد فى عبادة الله وحده والاستعانة به عليها.

. "جَتَاحَ بَعُوضَةٍ ما سَقَى كَافِرًا منها شَرْبَةٌ ماو

قوله: (فغاية سعادة الأبد فى عبادة الله وحده والاستعانة به عليها)ء هذا هو مناط السعادة» عبادة الله وحدهء فأنت لا تنظر إلى كون الإنسان غنيًا أو فقيرًا ؛ انظر إلى حاله في العبادة» هذا هو المقياس للا تجعل الغنى والفقر مقياسًا للسعادة والشقاوة؛ اجعل المقياس عبادة الله في » فسبب هذا الذي أكرمه الله هو العبادة والاستعانة» عبادة الله والاستعانة به على عبادته .

© © ©

١.(أخرجه الترمذي (1؟780)(

القسم الثالث : من له نوع عبادة بلا استعانة. وهؤلاء نوعان 3:

أحدهما: أهل القدرء القائلون بأنه الةٍ قد فعل بالعبد جميع *
مقدوره من الألطاف» وأنه لم يبق في مقدوره إعانةً له على الفعل» فإنه قد
أعانه بخلق الآلات وسلامتهاء» وتعريف الطريق وإرسال الرسول» وتمكينه
من الفعل» فلم يبق بعدها إعانةٌ مقدورةً يسأله إياها.

وهؤلاء مخذولون موكولون إلى أنفسهم» مسدودٌ عليهم طريقة *
الاستعانة والتوحيد.

قال ابن عبّاس ©#: «الإيمان بالقدر نظام التوحيد؛ فمن آمن *
بالله وكذّب بقدره نقض تكذيبه توحيده».

قوله: (القسم الثالث: من له نوع عبادة بلا استعانة)» هؤلاء أخذوا
العبادة وتركوا الاستعانة كأنهم استغنوا عن الله 38 فهم يعتمدون على
أنفسهم وهم ضعفاء.

قوله: (أحدهما: أهل القدر). هؤلاء القدرية والمعتزلة الذين
يقولون: الله # أقدر العبدء أعطاه القدرة على العمل لكنه لم يقدر له
العمل فهو بفعل نفسه واختياره يعمل وليس لله تقدير في أعماله؛ ولم يسبق
أن الله قدر عليه هذا. فهم ينكرون القدرء وينسبون العمل إلى العبدء
وإمكانيات العبد .

قوله: (فلم ببق بعدها إعانة مقدورةً يسأله إياها)» فلم يقدِّر الله عليه أنه
يفعل» وإنما هو الذي فعل باستقلاله.

قوله: (وهؤلاء مخذولون موكولون إلى أنفسهم؛ مسدودٌ عليهم طريقة
الاستعانة والتوحيد) إذا لم يؤمن بالقضاء والقدر فإنه لا يستعين باللهء وإنما
يستعين بقواه وإمكانياته فيكون مخذولّا والعياذ بالله» يكله الله إلى حوله
وقوته»
وهذا شأن القدرية.

النوع الثاني: من لهم عبادة وأوراد. ولكن حظّهم ناقص من #
التوكل والاستعانة. لم تتسع قلوبهم لارتباط الأسباب بالقدر. وأتها بدون
المقدور؛ كالموات الذي لا تأثير له؛ بل كالعدم الذي لا وجود له وأن
القدر كالرّوح المحرّك لهاء والمعوّل على المحرّك الأول. فلم تنفذ
بصائرهم من السّبب إلى المسبّبء ومن الآلة إلى للفاعل. فقلّ نصيبهم
من الاستعانة.

وهؤلاء لهم نصيب من التصرّف بحسب استعانتهم وتوكلهم؛ #
ونصيب من الضعف والخذلان بحسب قَلَ استعانتهم وتوكلهم. ولو توكل
العبد على الله حقّ توكّله في إزالة جبل عن مكانه لأزاله.

إلا على الإيمان بالقدرء فمن لم يؤمن بالقدر فإنه يختل توحيده» فمن آمن
بالله
وكذّب بقدره نقض توحيده.

قوله: (النوع الثاني: من لهم عبادة وأوراد ولكن حظّهم ناقص من
التوكل والاستعاتة» لم تتسع قلوبهم لارتباط الأسباب بالقدر). وهؤلاء أخف
من القدريةء عندهم عبادق وعندهم نوع من الاستعانة في بعض الأمورء ولا
يستعينون بالله في كل أمورهم؛ فعندهم نقص في الاستعانة والتوكل
على الله نل .

قوله: (فقل نصيبهم من الاستعانة)؛ يعني : هؤلاء ليسوا محرومين من
الاستعانة لكنهم مقصرين فيها .

قوله: (ولو توكّل العبد على الله حقّ توكّله في إزالة جبل عن مكانه
لأزاله)» لو توكل على الله توكلا حقيقيًا حتى توكله لأعانه الله على الصعاب
والمشاق» حتى الجبال يزيلها الله له من الذي ألان الحديد لداود؛ ألانه الله
له؛ لأنه متوكل على الله كلَ.

© © ©

فإن قيل: ما حقيقة الاستعانة عملدا؟ #

قلنا: هي التي يعبّر عنها بالتوكل» وهي حالة للقلب تنشأً عن *
معرفة الله يل وتفرده بالخلق والأمر والتدبير والضّر والتفع ؛ وأنه ما شاء
كان وما لم يشا لم يكن؛ فتوججب اعتمادًا عليه؛ وتفويضًا إليه؛ وثقة يه؛
قتصير نسبة العبد إليه تعالى كنسبة الطّفل إلى أبويه فيما ينوبه من رغبته
ورهبته» فلو دهمه ما عسى أن يدهمه من الآقات لم يلتجئ إلى غيرهما.
فإن كان العبد مع هذا الاعتماد من أهل التقوى» كانت له العاقبة
الحميدة : كن يَتتي آقه يمل َتُ تنيما © وَرَئْندُ ين حَبْثُ لا يِحَتَيِثُ كن

سا ااي

ل عَلّ أله فَهُوَ خَتَبْدُد» [الطلاق: 9 ©+]؛ أي: كافية.

قوله: (قلنا: هى التى يعبر عنها بالتوكل)؛ فالاستعانة والتوكل بمعنى
واحد. ١

قوله: (وهي حالة للقلب تنشأً عن معرفة الله تعالى)؛ فالتوكل من أعمال
القلوب» وليس من أعمال الجوارح» فهناك عبادات قلبية: كالخوف والرجاء
والتوكل والرغبة والرهبة» والخشية من الله» فهذه كلها أعمال قلبية.

قوله: (فتصير نسبة العبد إليه تعالى كنسبة الطّفل إلى أبويه فيما ينوبه من
رغبته ورهبته)؛ فالطفل لا يستغني عن أبويه؛ ولذلك إذا خاف ينادي عليهما «
أو إذا أصابه ألم أو وجع يناديهم؛ لأنه لا يعلم أحدًا من الخلق يساعده إلا
والديه؛ فالمؤمن يكون تعلقه بالله عند الشدائد أشد من تعلق الطفل بوالديه؛
قال تعالى : «تَأذْكُرُاً الله كَرْكَرُ أبَتَاكُمْ أو أككدّ وِكَرَا» [البقرة: ٠٠١

قوله: (فلو دهمه ما عسى أن يدهمه من الآفات لم يلتجئ إلى غيرهما)؛
أي: إلى غير والديه؛ ولذلك تجده يلهج بأبيه وأمه عند الحاجة والشدائد.

© ©

القسم الرابع: من له استعانةٌ بلا عبادة؛ وتلك حالة من شهد #
تفرّد الله بالضر والتفع » ولم يدر ما يحبّه ويرضاه» فتوكل عليه في حظوظه؛
فأسعفه بها.
وهذا لا عاقبة له سواء كانت أموالًا أو رياسات» أو جامًا عند #
الخلق» أو نحو ذلك» فذلك حظه من دنياه وآخرته.

قوله: (القسم الرابع)» وهو الأخير.

قوله: (من له استعانةٌ بلا عبادة) هؤلاء أخذوا الاستعانة وتركوا العبادة.

قوله: (فتوكّل عليه في حظوظه؛ فأسعفه بها وهذا لا عاقبة له)؛ يعني : لا يرغب إلى الله إلا في أمور الدنياء فيسأل الله الدنيا فقط» ولا يسأل الله أمور
الآخرةء فهو يهمل العبادة؛ ويلجأً إلى الله فى تحصيل دنياه فقط» فعنده استعانة بالله ولكن ليس عنده عبادة» وهذه حالة الذين يطلبون الدنيا وينسون الآخرة.

ج © ©

:واعلم: أن العبد لا يكون متحتقًا بعبادة الله وحده إلا بأصلين *
.أحدهما: متابعة الرّسول كلةٍ **
..و الثاني : إخلاص العبودية 3

ا - ص : . رلنم وده 2
تفن والإض إلا لبتم (0©)» [الذاريات: 7ه]ء وقال تعالى: هوم أمركا إلا

يَعَبْدُوا أنه حخاسِينَ لَه لين حُتَفَآمَك» [البينة: 0]؛ فالعبادة هي العمل»
:والعبادة
.تكون بالقلب» بالخوف والخشية والرهبة والرغبة» والتفكر» التدبر
.وتكون العبادة باللسان» وذلك بالذكر والاستغفار» والتسبيح» والتهليل
.وتكون العبادة بالجوارح؛ كالصلاة» والجهاد في سبيل الله
.وتكون العبادة بالأموال؛ كالصدقات» والزكاة
فالعبادة متدوعة» ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية كِلَنه: «العبادة اسم

.«جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة

وليست العبادة مقصورة على نوع معين؛ فالعبادة تشمل كل ما شرعه الله
هذه

هي العبادة التي أمر الله بهاء ولا تصح العبادة إن شعت قلت العبادة وإن

:شعت قلت العمل - إلا بشرطين
الشرط الأول: الإخلاص لله فيك أن يكون العمل خالصًا لوجه الله

ليس فيه رياء» ولا سمعةء وليس فيه إشراك مع الله 8# فيكون العمل

.خالصًا لله » هذا الشرط الأول
الشرط الثانى: أن يكون العمل على وفق سُنَّةَ رسول الله كَيةِء لأن الله

بعث محمد كَل ليبين للناس كيف يعبدون ربهم» وكيف يعملون؛ فالإنسان

لا يبتكر عملًا من عنده ويستحسنه؛ أو يقلد غيره من العُبَّاد ومن الآباء

.والأجداد» وإنما يتابع سُنّة الرسول كَية

فإذا توفر هذان الشرطان كان العمل صالاء وكان مقبولًا عند الله. وإذا اختل شرط منهما بطل العمل فمن أخلص لله ولكن لم يتابع الرسول كي

أ ل نا لجا ل لا أ ا أ ليد أ لجا أب لا ليا أب ا ا ا ا أ ا ا ا ا ا يا لا د ا د ا يد ا أي
ليد ليد ا كيد ا ا أب ا ا ا ا أي أ ا د لد د ا د أ ل ا لم د كا ابد أ أي أ لي لد ا أ ل
يد لدي أ لم أ ل ا ا ا ا

فعمله باطل» وكذلك من اتّبع الرسول كَةٍ في السُنَّة؛ ولكنه لم يخلص لله في
النية» فعمله باطل أيضًاء وهذان الشرطان مذكوران في قوله تعالى: «وَكَالَا
ل
ينكل الْجَكَةٌ إلا تن كن هُيًا آر صَرَئُ بلك أَتَيبُمٌ كز كفا بُتَكُمْ إن
كُنَتُرٌ تَدِقِك (©4؛ ثم بين من الذي يدخل الجنة؟ فقال: «إِرَيَد»؛
أي: يدخل الجنة؛ فِإِمَنْ أَسْكمَ وَجْهَهُ للَه» هذا هو الإخلاص؛ أي: أخلص
عمله.» وهو الشرط الأولء «رَتْوٌ حين»؛ أي: متبع للرسول كَلةٍ؛ هذا هو
الشرط الثاني» #ذَتُ تبه عن رَيَدِء وك" خَوْتٌ عَلِنمَ وا هُمْ يحْرَيُتَ ()4
:[البقرة
١ من أي جنس كان ومن أي لون كانء فمن اخلص عمله واتبع« 1١7]
الرسول الذي أرسل إليه في كل وقت بحسبه»؛ ومن اتبع موسى للا ومن
اتبع عيسى» ومن اتبع من قبله من الأنبياء في شرائعهم؛ وهو مخلص لله
فعمله
مقبول عند الله» ولما بحث محمد كَِةٍ كان الواجب اتباعه وحده» عليه الصلاة
«والسلام؛ لأنه هو نبي الوقت لجميع الخلق من بعثته إلى أن تقوم الساعة
وهو النبي المطاع» والشرائع السابقة تُسخت بشريعة الإسلام؛ لأن الله ل
يشرع لعباده في كل وقت ما يصلحهم» وما يناسبهم» وكانت الشرائع
السابقة
مؤقتة؛ تنسخ بشريعة أخرى» «لِكلّ لَجَلِ كِتَاتٌ © [الرعد: 8*]: فلما بعث
محمد خَيهِ كانت شريعته هي الباقية إلى أن تقوم الساعةء لا تنسخ إلى أن
تقوم
الساعة» فهي الشريعة الوحيدة للخلق» وللبشرية؛ وللجن والإنسء لا يسع
أحدًا إلا اتباعه كي كاثًا من كان من اليهود والتصارى وغيرهم» فمن خرج
عليه كه ولم يتبعه فهو كافرء ولو كان يخلص لله في عمله؛ لأنه لم يتّبع
رسوله؛ لأنه رسول الأمة؛ ورسول البشرية؛ وإن زعم أنه يتبع رسولًا سابقًا؛
لأن اتباع الرسل السابقين انتهى ببعثته كَل» والعبد يدور مع أمر الله 8#؛
فالله
أمرك أن تتبع هذا الرسول» وأن تتحول مما أنت عليه إلى دين هذا الرسول؛
ولهذا أثنى الله على الذين أدركوا هذا الرسول من الأمم السابقينء وكانوا
مسلمين في وقتهم ومتابعين لرسولهم» فلما بعث هذا الرسول آمنوا بهء

هؤلاء

نالل انان ب نا ب ب أ ياب أ أ أ أ ل أ أو اما كا أو أو ل لايد اد د اد د د لد د اماد د د اد د ا ا ا ا ا

عر قرس

١َ ه وَحَامِثْماً سواه ِ يوي كلل يلين من تحَيَهِ لهم أجرانء ؤويتاتها 51 ل افا دميوء
كَل نَحثُمّ تا تَنَشُون بو تَيَنيرٌ كم تله خُدٌ َه ©4 [الحديد: 38]» هذهَ
فيمن اتبع هذا الرسول من الأمم السابقة» له أجران: أجر اتباعه للرسول

السابق؛ وأجر اتباعه لمحمد كي ولهذا قال: أْلِكَ ٍصً م ب تن با

فا ب

مدو بر

صما وَيَدْنَدُونَ بِلْحَسَتَةَ أَلْشَيَنَةَ وَمَمَا رَنَفْتهُمْ يُفِقوت (©) [القصص: 52]ء مرّة على اتباعهم للرسول السابق» والمرّة الثانية على اتباعهم لمحمد كي أما من أبى أن يتبع هذا الرسول فإنه كافر؛ من أي دين كان» قال تعالى: دكن يَبْتج غَيْرَ الإسّلم دِيثًا كن يُقْبَلَ بِنَدُ» [آل عمران: دهآء والإسلام بعد بعثة هذا الرسول صار فيما جاء به هذا الرسول» هذا هو الإسلام؛ وليس الإنسان على حسب هواه؛. وحسب رغبته؛ الإنسان يدور مع أمر اللهء فيطيع الله ث8
والناس في هذين الأصلين على أربعة أنواع:

١. - منهم: من هو مخلص لله متبع للرسول كية

. ومنهم: من ليس عنده إخلاص ولا متابعة"

#- ومنهم: من عنده متابعة وليس عنده إخلاص

-. ومنهم: من عنده إخلاص وليس عنده متابعة

الصنف الأول هم المفلحون» أهل المتابعة والإخلاص» وبقية الأنواع خاسرة» وعملها باطلء فيجب التنبه لهذا الأمر؛ لأن هناك الآن من ينادون

ويقولون: الأديان سواء؛ الأديان كلها حتى؛ الأديان الثلاثة اليهودية والنصرانية والإسلام» التآخي بين الأديان. الحوار بين الأديان» وهذا كله باطلء لا أديان بعد بعثة الرسول كلل وإنما هو دين واحدء ليس هناك أديانء وإنما هو دين واحد هو دين الرسول كية؛ فيجب التنبه لهذا .

. © يه

والتاس في هذين الأصلين على أربعة أقسام #:

أهل الاخلاص والمتابعة: فأعمالهم كلها لله وأقوالهم ومنعهم #
وإعطاؤهم وحبّهم وبغضهم كل ذلك للهء لا يريدون من العباد جزاءً ولا
شكورّاء عَدّوا التاس كأصحاب القبورء لا يملكون ضرًا ولا نفعّاء ولا مون
ولا حياةً ولا نشورًا.

قوله: (أهل الاخلاص والمتابعة)؛ هؤلاء هم أشرف ا
الإخلاص لله» والمتابعة للرسول كله؛ قال تعالى: «ِبَلّ مَنَ أَسَكَمَ وَجَهَهُ
فكو تخينٌ فكت لَه عند تي وك خَرْفتٌ َلِيمْ لا هُم يريت 6
والله بن قال: «الذى حَكَنَ السو واليرة لباوت أن سن ع بلا«[البقرة: ؟١1]

ام ب ُحسنٌ

ء وقال: «لإتا جَمَلنَا ما عَلّ الْأتضِ زِسَّةُ 2 ال بلوهر جح[الملك: ؟]

ه لُحَسَنٌ 0

عَنَدّ © اليف "]» سثل الفضيل بن عياض كِثثة: ما معنى: «أيُم
عَمَل ©» قال: أخلصه وأصوبه. قيل: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟
قال: «إذا كان 0 خالصًا ولم يكن صوابًا لم يُقبل» وإذا كان صوابًا ولم
يكن خالصًا لم يُقبل حتى يكون خالصًا صوابًّاء والخالص أن يكون لله
والصواب أن يكون على السُنة». كلمات عظيمة مأخوذة من القرآن والسُنَّقَ
فهؤلاء هم السعداء الذين جمعوا بين الإخلاص والمتابعة.

قوله: (فأعمالهم كلها لله وأقوالهم ومتعهم وإعطاؤهم وحبهم وبغفضهم
كل ذلك لله)ء هذا هو الإخلاص.

قوله: (عدوا النتاس كأصحاب القبور) ؛ يعني : لا يلتفتون إليهم . وإنما
يلتفتون إلى الله ل

قوله: (لا يملكون ضرًا ولا تفعًّاء ولا مونَا ولا حياةً ولا نشورًا)؛ أي:
الناس لا يملكون لك موتّا ولا حياة ولا نشورًا؛ لأنهم بشر مثلك. فكيف
تلتفت إليهم بعملك؟ .

فإنه لا يعامل أحدًا من الخلق إلا لجهله بالله تعالى وجهله *
. بالخلق

والاخلاص: هو العمل الذي لا يقبل الله من عامل عملا صوابًا *#
عاريًا منه؛ وهو الذي ألزم عباده به إلى الموت» قال الله تعالى: لباوت

أ لَسَسَنُ عَبَلَأَي» [السلك: ؟]» وقال تعالى: «إِنَّا جَمَلنَا مَا عَلَ آلْأَيْضِ زِيَةٌ

ص

ا لوه أ أَحسَنُ عَم © [الكهف: 7]ء 0

قوله: (فإته لا يعامل أحدًا من الخلق إلا لجهله بالله تعالى وجهله
بالخلق»»؛ فمن كان همه الناس مدحوه أو ذموه فهذا من جهله بالله؛. وجهله
بالخلقء جهله بالله وأنه هو الذي يجب أن يخشى ويتقى ويطاع؛ وجهله
بالخلق؛ لأنهم لا يملكون له نفعًا ولا ضرّاء» ولا مونًا ولا حياةً ولا نشورّا؛
النبي كلةٍ قال لابن عباس: «وَاعْلَمْ 7 الْأمد؛ أي: الخلق كلهم» «لو
اجْمِمَعَتٌ على أَنْ يَنْقَعُوكَ بِشَيْءٍ لم يَنْقَعُوكَ إلا بِشَيْءٍ قد كَتَبَهُ الله لك وَلَوْ
اجْتَمَعُوا على أَنْ يَضُرُوكَ بِشَيْءٍ لم يَضُرُوكَ إلا بِشَّيْءٍ قد كَتَبَهُ الله عَلَيْكء!'"
إذَا
على قلبك بالله والله يكفيك الخلق» فمن توكل على الله كفاه» تمن يكل عَلّ
آنه فَهُرٌ خَتَبْدة» [الطلاق: “]» فإذا توكلت على الله كفاك ما عداه من الخلقء
وأما إذا التفت إلى غير الله وكلك الله إليه؛ يكلك إلى من التفت إليه ويتخلى
. عنك بِل ويخذلك

قوله: (والاخلاص: هو العمل الذي لا يقبل الله من عامل عملا صوابًا
عاريًا مته)؛ فالإخلاص هو الذي يقبل الله به العمل ؛ فالله لا يقبل من العمل
.إلا ما كان خالصًا لوجهه

قوله : (وهو الذي ألزم عباده به إلى الموت)» قال تعالى : «واعبد زب
يَكَ التيث ©4 [الحجر: 44 «ؤكايَا اين انوا افوا اله حَقّ تقايوء ولا كوْ

.أخرجه الترمذي (013؟) ()

وأحسن العمل : أخلصه وأصوبه.

والخالص: أن يكون لله. والصواب: أن يكون على وفق سُنَّة
رسول الله قل وهذا هو العمل الصالح المذكور في قوله تعالى : «ؤقن كان
٠٠١١: يخا لقا ريو تَلَيَتْسَلَ عَم صَلِحًا ولا بُشْرِك بصَاَةِ َي لسن 00 [الكيف

٠١ فلا ينتهي العمل إلا بالموت» فإذا مات :فت مُيِنْدَ (©)4 (آل عمران
الإنسان انقطع عمله؛ فالذي يزعم أن هناك حدًّا ينتهي إليه إذا وصله» فتسقط
عنه العبادة كما يقوله غلاة الصوفية ويزعمون أنه وصل إلى الله فليس بحاجة
إلى
العبادة» فهذا باطل والعياذ باللهء العمل مستمر ما دامت الروح في الجسدء
مستمر إلى أن تخرج الروح من الجسم» فليس لعمل المسلم غاية دون
الموت.

حرام قرم عر لاه د ما لاني 7

قوله تعالى: «إِنَّا جَلْنَا ما عَلَ الأَنْسٍ زِيِيَهٌ خا َبَنْيَهْرٌ أيهم أَحْسَنُ عَيلا
الكهف: 7]» انتبه لقوله: «ِأَنهُم أَحَسَنُ عَم ©©)»؛ فلم يقل : أيهم أكثر ©
عملًا» فالعبرة بالحسن» وليست العبرة بالكثرة فقد يكون العمل كثيرًا ولكنه
باطل كله» قال تعالى: «ِوَقِيسا إِل ما عًا بن عَمَلِ فَجَمَتَهُ شك تَنَميَا ©4»
وقال: اللي كرما أنه كب بِتِبِكَةٍ َبُهُ أَشَنْتَانُ نه «[الفرقان: 3؟]

الي

خف ذا اث آر يَحِدْهُ شَيْئَاكِ [النور: 4*] وقال:ِقَثَلُ االذيت كُفَرنا بيهر
عرص مرج

عَتَثْهُرَ كرد لمتكت يد لخ في نَيْرِ عَم لا يَقِيِيْ ينا كبا عل شر
١4[. :ذلك مُرَّ أسَتَزُ ألبميدُ 20 إبراهيم

© قوله: (وأحسن العمل: أخلصه وأصوبة)ء ا َحَسَّنُ عَم
. أي: أيهم أخلص وأصوب في العمل

قوله: (والخالص: أن يكون لله» والصواب: أن يكون على وفق سُنَّة

رسول الله #85)» وذلك في قوله و8: من أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هذا ما ليس فيه

د

فهو 63ل ؛ أي: مردود عليه ؛ وفى رواية: لَنُ عَمِلٌ عَمَل ليس عليه أَمُوْنَا

)١(أخرجه البخاري)1747(.

وهو العمل الحسن في قوله تعالى: «إوَمَنْ لَحْسَنُ دِينًا يَمَنَ يَكنَ ألم وَجَهَهُ
ه م ٌ حجَينٌ» [النساء: 1706] وهو الذي أمر به مم قوله : مممعيوءَ

فَهُوَ رَا!'"؛ فالعمل المبتدع مردود؛ سواء ابتدعه هوء أو اتبع من ابتدعه
وعمل بالبدع» قال كَيةٍ : هعلَيْكُمْ بِسْنْتي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيىَ 0
و به وَعَضُوا عليه بالنّوَاجِذٍ وَإِيَّاكُمْ و وَمُحْدَثَاتٍ الأمُور َإنَ كُلَّ مُحْدَثَةٍ
**بِدْعَةٌ وَكُلُ بِدْعَةٍ ضلَه! ""» وفي رواية النسائي: دوَكُلٌ ضَلاَةٍ في النَّارٍة
ولم يستثن شيئًا؛ فكل ما خالف سنة الرسول كي فهو بدعة مردودة؛ وصاحبها
في النارء نسأل الله العافية» وإن استحسنها أو مُسّنت له؛ وكثير من الناس
اليوم على البدع؛ ولا يعيشون إلا على البدع؛ ولا يرغبون في السُنَّةءِ لأن
الشيطان يزين لهم البدع؛ فشياطين الإنس والجن يزيتون لهم البدع؛
ويتفرونهم
من السُنَّة واتباع السُنّة؛ فهي مصيبة عظيمة» انتشار البدع الآن وتوارث البدع
حتى أن من أنكرها عليهم عادوه وشنعوا عليه وقالوا: هذا يبغض الصالحينء
ويبغض كذا؛ فالمسألة خطيرة جدّا ويجب التنبه لهاء ولا يكفي أنك تعرف
هذا وتتمسك به؛ بل لا بد أنك تدعو إليه وتبين للناس» تبين لأهلك» وتبين
لأهل بلدك» وتبين للناس هذه الأمور» تبلغ عن الله هي» قال تعالى:
رَلِذدا فَوَتَهُرْ 5 جما إلَتيمْ مَل يَحَدَرْكَ ([6)0 [التوبة: ؟1]» وقال:
إمَأنذِرٌ عَمْيَتَكَ الأب © [الشعراء: 714]؛ فالإنسان لا يكتفي بنفسه فقط ؛»
بل عليه واجب نحو غيرهء ولو أن الناس قالوا وقالوا أو هددوك أو ضايقوك
فلا تخش في الله لومة لاثم نعم»؛ لا تتعدى على الناس ولكن بين لهم
الحق؛ وإذا بينت الحق أديت ما عليك» الهداية بيد الله وإنما عليك البلاغ؛
بعض الناس يقول: الناس لا يقبلون. فأنت لا عليك» وإنما عليك البيانء إن
قبلوا فهذا خير لهم» وإن ما قبلوا فأنت أبرأت ذمتك وتكون المسؤولية عليهم.

)١(أخرجه مسلم (١l718). (؟) أخرجه أبو داود)4264(.
)©(برقم)١98/l(.

كل عَمِل ليس عليه أَمْرنَا فَهُوَ رَدّ. وكل عمل بلا متابعة فإنه لا يزيد» عامله إلا بعدًا من الله تعالى» فإنه تعالى لا يعبد إلا بأمره.؛ لا بالأهواء

والآراء.

قوله تعالى : «ؤقن كَانَ بَرَحُاْ لاه زَيُودك» ووقوفه بين يديه ويرجو أن يرى الله في الدار الآخرة» وتقر عينه برؤية الله 8# «تِبِعْمَلَ عَم صَلِاء». ما هو العمل الصالح؟ هو العمل الذي اجتمع فيه الشرطان: الإخلاص؛ والمتابعة؛ ٠١١: «للِيَتْبَل عَم صَلِعَاك»؛ أي :ولا بر باد تَيّدِ لَنَاّ ©4 [الكيف خالصًا من البدعة» «ولَا يرل بِسَادَةِ زَيدِ لَنا 00»؛ أي : خالصًا من الشرك.

قوله 8#: «وَكَنْ لَحْسَنُ ينا مَكَنْ أَسْلم وجَهَهُ لَه [النساء: 1155 فلا أحد أحسن ديئًا ممن أسلم وجهه لله هذا الإخلاص» «(وَهُوَ تُحين»؛ أي: متبع للرسول قل هذان الشرطان: «وَنْ تَحْسَنُ دِيئًا يَكَنَ أَسْلَمِ وَجهَهُ لله وَهُوَ حيِنٌ وتم مله إَهِيمٌ حَنِيتً كد أنَهُ إِتَمِيمَ غيل (©» [النساء: ١1]؛ فملة إبراهيم #38 هي الإخلاص والمتابعة» وهي التي بُعث بها محمد كَل . ملة أبيكم إبراهيم

قوله كلة: (كل عَمِل ليس عليه أَمْرنَا فَهُوَ رًُّ6)» هذا فيه شرط المتابعة؛ ذكل عَمِلٍ ليس عليه تن أي: لم نشرعه» (فَّهُوَ رم أي: مردود على صاحبه» لا يُقبل عند الله يل .

قوله: (وكل عمل بلا متابعة فإنه لا يزيد عامله إلا بعدًا من الله تعالى)؛ أي: كل عمل ليس فيه متابعة للرسول فإنه لا يزيد عامله إلا بُعدًا عن الله ##؛ وهو يزعم أنه يتقرب إلى الله به وهو يبعده عن الله» نسأل الله العافية .

قوله: (فإنه تعالى لا يُعبد إلا بأمره» لا بالأهواء والآراء»)؛ أي: لا يعبد الله ل# عبادة صحيحة إلا بأمره» قال تعالى: «إومآ أبينا إل لِتَبُدُا له صِينَ لَه اللي [البينة: 5]؛ أي: مخلصين له العبادة؛. وكل عمل ليس فيه إخلاص فهو باطل؛ وكل عمل ليس فيه متابعة فهو باطل. انتهى الضرب

أو أ اا أ ا ابا أ لا أ أله أو اد وا د اجا اما أ اس أ اس ادا لويد اا اا لوا أ أ ا أ اا
جرد جاجد د ا أ ا ا ا ا

الأول: أهل الإخلاص والمتابعةء وهؤلاء هم السعداء ولكن هذا يحتاج إلى
أمور:

أولّا: يحتاج إلى علم ويتعلم الإنسان» فلا يعبد الله على ما وجد الناس
عليه لا بد أن يتعلم فيعرف ما هو العمل الصالح؛ والعمل الباطل؛ 0
أول شيء. تاعكر أن لك لآ لد إلا أنه رَتَتَنْيرَ إِذَيْكَ رَلْيْمِيَ وَالْتُوْتبٌ
حلم مُقَلبَكُمْ ومنود د ©)» [محمد: 14]؛ أما | إذا كان جاهلاً فقد يغتر عمل
الناس» ويطيع دعاة الضلال؛ لأنه يحسن الظن بهم» بخلاف إذا كان عنده
علم» فلا يطيع دعاة الضلال ولا يستحسن الباطل؛ لأنه يميز بين الحق
والباطل .

ثانيًا: الصبر على ما يلقى من الناس» من اللوم والتهديد والتحقير
والتجهيل» وغير ذلك» يصبر» هذا في سبيل الله 8# فما يصيبك أقل مما
يصيب
الرسل - عليهم الصلاة والسلام من الناس» وقد صبروا على ما لقوا من
الأذى؛
فلا بد أن تصبرء والذي ليس عنده صبر لا يستمر على العمل» يترك العمل .

كما يجب أن نعلم أن الإنسان قد يكون على سُنَّة وعلى إخلاص
ومتابعة» ولكن يأتيه الشيطان ويقول له: هذا عمل قليل» زوّد»؛ حتى تشق
نفسك» يقول له: صم ولا تفطر أبدّاء لا تزوج النساء فهذا يشغلك» لا تطلب
العلم فهذا يشغلك عن العبادة. فيستحسن هذاء كما في حديث الذين جاءوا
يسألوا عن عمل النبي كيه وهم من الصحابة» وكأنهم تقالّوا عمل الرسول؛
قفلما أُخبِرُوا فَأنهُمْ تَقَالُومًا ؛ فَقَالُوا : وَأَيْنَ نحن من النبي كَتِّة قد غفِرَ الله له» ما
تَقَدّمَ من ذَنْبه وما تأْحَرَ»؛ أي: فهو قليل العمل لأنه مخفور له؛ أما نحن
بحاجة إلى الزيادة» «قال أحَنُهُمْ : أَمَا أنا فَإنّي أصَلّي اللَيْلَ أَبَنَا؛ وقال آرٌ:
أنا أصُومٌ الدَّغْرَ ولا أُقُطِر وقال آتحرٌ: أنا أعْتَزِلُ النَسَاء فلا أتَرَجٌ أَبَنًا!"؛

)١(أخرجه البخاري)9017(.

او لي أ أ با أ اسل أ أي يد أي لي أ أو ا اا ا أي د اا أي أ اي أ ليد أي و أ و ا لم أ اميد أي د أ أ أ لد د ايد لا لجا اد أو لجار ار لج أو أ ل واي ا اج ا ا أل ا ل أ ا ا ا

وفي رواية: «وقال بَعْضُهُمْ لا آكُلُ الحم" وكل هذا من باب التعبدء تَبَلَ ذلك النبي قل فقال: «أَنْتُمْ الَذِينَ كُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أَمَا والله إني لَغْتَاكُمْ ل وْقَاكُمْ له لَكِنّي أَصُومُ وَأفْطِرٌ وَأَصَلي وَأَرْفُدُ وترَزجْ النَّمَاء ؛ كَمَنْ رَغِبَ عن سُنْتِي قَلَيْسَ يني" فلا يشدد الإنسان على نفسه؛ بل يكون معتدلًا؛ لأن التشديد يقطعه عن العمل فكم من متشدد ترك العمل» كم من متشدد انحرف
وزاغ عن الطريق» فالتشدد شر ؛ فالتشدد في العبادة والزيادة عن الحد المشروع
هذا شرء والاعتدال هو الخيرء والنبي ل يقول : «إِنَّ هَذَا الدّينَ مَينٌ» فَأَوْغِلُ فيه برفتي» وَلًا تُبَخْضْنْ إلى نَفسِك عِبَادَة الله فَإِنَ الْمُنْبْتٌ لا أَرْضًا قَطَّعَ » وَلَا ظَهْرًا
بْقَى»*"» مثلًا المسافر معه راحلة» فإذا شدد عليها في السير فإنها تنقطع ويبقى في الطريق» لا أرضًا قطع» ولا ظهرًا أبقى» فقد تموت الراحلة والمسافة باقية بسببه» فلو أنه أخذ الطريق بالاعتدال وهوّن على راحته في السيرء ونام أول الليل وأدلج آخر الليل» وقت البرادء وأخذ السير بالسعة لبلغ المنى واستراح أيضًاء ولكن هذا شدد على الراحلة فانقطعت» والمسافة باقية؛
فهذا لا ظهرًا أبقى ولا أرضًا قطع؛ كذلك المتشدد في الدين يؤول أمره إلى «هذاء؛ لأن الشيطان حريص» الشيطان ينظر إلى ابن آدم فيبدأه بترك العمل اترك العمل وتمتع بهذه الدنياء وخذ حظك من هذه الدنيا وتمتع بها ويمكن إذا كبرت أنك تتوب إلى اللهء وأنك تقبل على اللهء فأنت شاب الآن. فيأتيه الشيطان ويعطله عن العمل» فإذا رأى أنه لن يترك العمل» وعنده رغبة في العمل حمله على الزيادة» هذا قليل فلتزدد» لماذا؟ من أجل أن ينقطع ويترك العملء فهذا الشيطان مع ابن آدم» فهو إما أن يصرفه عن العمل» وإما أن يشدد عليه حتى يتركه .

)١(أخرجه مسلم (1461). (؟) أخرجه البخاري)017(.
)©(أخرجه البيهقي)40760(.

الضرب الثاني: من لا إخلاص له ولا متابعة له وهؤلاء شرار *#
الخلق» وهم المتزينون بأعمال الخير؛ يراءون بها النّاس.

وهذا الضرب يكثر فيمن انحرف عن الصراط المستقيم من *
المنتسبين إلى الفقه والعلم والفقر والعبادة» فإتهم يرتكبون البدع والضلال
والرّياء والسّمعة»؛ ويحبّون أن يحمدوا بما لم يفعلوا. وفي أضراب مؤلاء
نزل قوله تعالى : لا تَتَيَنَ الإْنَ يَفيَحِنَ بآ أت ورين أن يُحَمَدُا ما كم
يَفْعَلوَا فا تَحَسَبَتَمُ بِتَقَاتَوَ يَّ الْمَذَابَ وله عَتَاتُ آله © [آل عمران: هذ١].

قوله: (من لا إخلاص له ولا متابعة له) هذا أشقى الخلق والعياذ باللل
«لا إخلاص ولا متابعة؛ بل هو أضل من البهائم» فهم لا إخلاص ولا متابعة
يعملون بالبدع ولا يخلصون لله» ويراءون الناس» هؤلاء شرار الخلق والعياذ
بالله» فهو ليس على إخلاص» ولا على متابعة؛ هو يعمل ويشتغل! ولكنه فاقد

قوله: (وهؤلاء شرار الخلق)» قال تعالى: لأ تب أن نكم
بْتَخُبت> آو تَميتَ إن هُمْ إل َالْأمتم بل هُمْ أَضَلٌ تسيلا 6 [الفرقان: 44].
قوله: (وهذا الضرب يكثر فيمن انحرف عن الصراط المستقيم من
المنتسبين إلى الفقه والعلم والفقر والعيادة) ؛ أي: هذا يكثر في الصوفية.
«قوله تعالى: «إلآا تَحَيَنَ آلِنَ يَفْرُنَ بآ أنمَاك بما أتوا من البدع
: وحَبُونَ آن يُحْمَدُهاً با لم يَفْعَلْوَاة»» من السنن» «إقا تَحسَبَتمَ بِتَقَائَةٍ»؛ أي

بمنجاة» «إِينَ آلْحَذَابٌ ذَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيدٌ © نسأل الله العافية؛ وهذه الآية وإن

© © ©

بات

الضرب الثالث: من هو مخلص في أعماله. لكنها على غير #
متابعة الأمر؛ كحال العباد» والمنتسبين إلى الزّهد والفقرء وكل من عبد الله
على غير مراده. والشأن ليس فى عبادة الله فقط؛ بل فى عبادة الله كما
أراد الله. ومنهم من يمكث في خلواته تارك للجمعة» ويرى ذلك قربة؛

قوله: (من هو مخلص في أعماله)؛ فهو مخلص للهء ولا يشرك به شيتّاء
ولكنه (على غير متابعة الأمر)؛ فهو لا يتبع الرسول بل يعمل بالبدع
والمحدثات؛ فالله لا يقبل هذا منه.

قوله: (كحال العباد» والمنتسبين إلى الزّهد والفقر)ء وهذا يكثر في
الصوفية؛ لأنهم هم الذين يحدثون البدع وإن كانوا مخلصين للهء ولكنهم
يعبدون الله على بدع» لم يأت بها الرسول كُية؛ وهم يريدون الخير
ومقاصدهم
حسنة» ولكن هذا لا يغنى شيئًا فلا بد من المتابعة للرسول كَفةٍ» والعلماء
يقولون: اقتصاد فى شن خير من اجتهاد في بدعة» هذه قاعدة عظيمة؛
إقتصاد في سُنَّةَ خير من ل اجتهاد في بدعةء فالعمل القليل على السُنَّةِ
أحسن من
العمل الكثير على البدعة.

قوله: (والشأن ليس في عيبادة الله فقط ؛ بل في عبادة الله كما أراد الله)ء
فليس المقصود عبادة الله فقط ؛ بل المقصود عبادة الله كما أراد الله؛ يعني:

كما شرع الله وليس المقصود أنك تتعبد وتعمل؛ بل المقصود أنك تعبد الله
«على حسب وعلى وفق أمره وشرعه الذي بعث به رسوله كَقة؛ فهو القدوة
وقد أحالنا الله عليه في كل عمل ان ظِلَتَدَ ان لَكُمّ في نَمل آم
سوه حَستَةٌ حَسَنَةٌ لسن كان يَنَجْا الله وَلمَ الر وَنَكرَ لله كبا © [الأحزاب: ١؟]
فإذا أردت أن تجمع الشرطين: الإخلاص» والمتابعة» فاقتد بالرسول كيل
دبل في عبادة الله كما أراد الله)؛ أي: كما شرع الله .

قوله: (ومنهم من يمكث في خلواته تاركًا للجمعة. ويرى ذلك قربة)؛
فمن العباد والصوفية من يخلو عن الناس وينقطع ويترك الجمعة والجماعة

ويرى مواصلة صوم النهار بالليل قربة» وأن صيام يوم الفطر قربة؛ وأمثال ذلك.

بزعمه أن يتفرغ للعبادة؛ وهذا بعيد عن الله 38 سئل ابن عباس قا عن رجل يقوم الليل» ويصوم النهار» ولكنه لا يشهد الجمعة والجماعة» فقال: هو في النارا''"؛ فالخلوة التي تقطع عن الجمعة والجماعة وعن الدعوة إلى الله وعن تعليم الخير هذه خلوة شيطانية» وكثير من هؤلاء يأتيهم الشيطان في خلوتهم فيضلهم عن سبيل الله ويخرجون ملاحدة والعياذ بالله.

قوله: (ويرى مواصلة صوم التهار بالليل قربة)؛ يعني: يواصل صوم الليل بالنهار ولا يقطر» والرسول كلل قال: «لَكِنّي أَصُومُ وَأَفْطِرٌ؛ الإنسان بشر فلا يتحمل أن يكون دائمًا صائم الليل والنهار» مأل لَكُم لله آلِيَامِ أرَقَتُ إك مَتيِكُمي» [البقرة: 187] إلى آخر الآية» وهذا للاستعانة به على صيام
النهار» فإذا كان الإنسان لا يفطر أبدًا فهذا بعيد عن الله قِيكْ» وليس هذا ما شرعه الله «ؤزيدُ أله بيكُمُ لتر ,لا يريد بِكُم لتر [البقرة: مما
وما جَمَلَ ع في آلآ بِنّ حَرَج» [الحج: 178 فأنت إذا نظرت إلى هذا الدين» وجدته سمحًا سهلًا متيسرًا ولله الحمدء ليس فيه مشقة ولا خطر عليك؛ يسايرك مع كل أحوالك؛ المريض يشرع له عبادة» والمسافر له عبادة» وحالة الخوف لها عبادة»؛ صلاة الخوف» صلاة المسافرء صلاة «المريضء كل على حسب استطاعته. «إكا يكف أنه تنا إآ ُتَحَهَا
فديئنا ولله الحمد مرن ويساير المسلم في كل أحواله» ولا «[البقرة: 7871] يشق عليه. قوله: (وأن صيام يوم الفطر قربة؛ وأمثال ذلك). يجبرهم الشيطان
إلى حد أنهم يصومون يوم عيد الفطرء ويقولون: نحن لا نفطرء نحن تريد الخير ونريد زيادة الخير وزيادة العبادة. فكيف نفطر يوم العيد!؛ وهذا من الشيطان.

)١(أخرجه الترمذي)؟١8(.

الضرب الرّابع: من أعماله على متابعة الأمرء لكنها لغير الله #
تعالى؛ كطاعات المرائي. وكالرجل يقاتل رياءً وسمعةٌ وحمّيةٌ وشجاعة

قوله: (من أعماله على متابعة الأمرء لكنها لغير الله تعالى)؛ أي: من
. عنده متابعة ولكن ليس عنده إخلاص لله كك
قوله: (كطاعات المرائي). مثل الرجل الذي يقوم ويحسن صلاته لما
يرى من نظر رجل إليه. الصلاة مشروعة» وهو مُتبع» ولكن ليس هناك
إخلاص؛ بل هو يريد المدح» يريد ثناء الناس عليه هذا لا تُقبل صلاته؛
ولهذا قال كل لأصحابه: «أآلا خيرم ما هو أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي من الْمَسِيح
الدَجَالِ؟»» قالوا: بَلَى» فقال: «الشْلُ الْحْفِيُ أن يَقُومَ اليَجْلٌ يُصَلِّي يَزَينَ
.صَلَاتَهُ لَما بَرَى من نَطْرٍ جل" هذا أخطر شيء على المسلم
قوله: (وكالرّجل قاتل رياءً وسمعةٌ وحدّيةٌ وشجاعة وللمغتم). كما جاء
في الحديث: « فول مَنْ يَدعُو بو رَجُل جَمَمَالقزآن. وَرَجُلِ يقل في سَبيلِ ا
وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ قي فَيَقُولُ لل تَبَارَ وَتَعَالَى ِلْقَارِيِ ي: ألم أمَلْيْك مَا ما أَنْرَلتُ
عَلَى
رَسُولِي كلة؟ قَالَ: بلى. بار تّ. قَالَ: اذا عَمِلْكَ يما عَلِتَ؟ قاٍ ُفٌ
أكُومُ بو آناء اللَيْلِ وَآناء لجار فَيَقُولُ الله تَبَارَ وتَعَالَى - : كَذَبْتَّ
بَقُلُ ال 1 رَيْتَ أَنْ يُقَلَ ثُلانْ كَارِيٌ. فَقَدْ قِيلَ ذَاك» وَيُتَى بِصَاحِبٍ الْمَالِ؛
فَيَقُولُ الله َه ألم أُوَسَع عَلَيك حَتّى لَمْ غكِ نَحْتَاج إلى آحَدٍ؟ قَالَ: بَلىء يا
ب قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتيتك؟ قَالَ: كُنْتُ أَصِلِ الرَّحِمّء وَأَنَصَدَقٌ؛
فَيَقُولُ الله لَهُ *: كَذَنْتَ. وَيَقُولُ الله: بَلّ إِنْمَا أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ ثُلانٌ جُوَلاٍ د فَقَدْ
قِيلٌ
لِ وَبُزؤْتَى الَّي بل في سَبِيلٍ الل يقال ل : في مَاذَا ُيلتَ؟ يَقُولُ: أَيرْتُ
الْهَادِ في سَبلِك فَقائلتُ حَتى تُِلتُء تٌ فَقُولُ اله 24: عَذَبْتَ. وَيَقُولٌ الله: بَلْ

ره سم و درج

أَرَدْتٌ أن يُقَالَ ثُلانٌ جَرِيٌ. فَقَدْ قِيلَ ذَاله. .. وليك النَّالجَةٌ أل خَلْي الله تُسَعَرٌ

)١(أخرجه ابن ماجه)47604(.

كس

1
اذ

وبحج يقال ويقراً ويعلّم ويؤلف ليقال. فهذه أعمال صالحة لكتها
« غير مقبولةّء قال تعالى: ونا أدركا إل* لِتَبْدُا له خُمِينَ لَه آلينَ ته
.فلم يؤمر الناس إلا بالعبادة على المتابعة والاخلاص فيها «[البينة: م]
.«© والقائم بها هم أهل: «إيَاكَ عبد وَإِيَالكٌ يت

بِهِمْ النَّارٌ يَوْمَ الْقِيَامَةَ''. لماذا؟ لأن من تعلم يريد المدح والثناء ومباهاة
العلماء فهذا يسحب للنارء وكذا من يقاتل حمية مع قومه» أو يقاتل للغنيمة؛
. فهؤلاء ليسوا في سبيل اللهء فالمدار على إخلاص لله قن

قوله: (ويحجٌ ليقال)» من يحج ويعتمر لأجل أن يُقَال: فلان يحج
ويعتمر ؛ فإذا كان هذا قصده في قلبه فليس له حج أو عمرة؛ لأنه لم يحج لله
.وإنما حج للمدح والرياء» والمباهاة

قوله: (ويقراً) من يقرأ القرآن ويزين صوته لأجل أن يستمعه الناس
ويمدحوه» وليس يقرا تقربًا إلى الله» أو تديرًا للقرآن» نسأل الله العافية»
القرّاء
.المراؤون بأعمالهم

قوله: (ويعلّم ويؤلف ليقال)؛ وكذلك من يشتغل بالعلم لأجل أن
. يمدح فهذا ليس له نصيب عند الله 8# وإن كان عالمًا متبحرً

قوله: (فهذه أعمال صالحة لكنها غير مقبولةٍ)؛ لماذا؟ لأنها تفقد
.الإخلاص» هي صالحة لأنها متابعة

قوله تعالى: «إونآ أَبيُكا إل لِتَبُدا آنه عُِمِيَ لَه لين خف [البينة: م
هذا شرط الإخلاص» فلا يعبدون الله فقط ؛ بل يعبدون الله مخلصين له
.الدين

قوله : (فلم يؤمر الناس إلا بالعبادة على المتابعة والاخلاص فيهاء والقائم بها

هم أهل: «إيَاكَ عبد))، وهم الصنف الأول الذين جمعوا بين
الإخلاص والمتابعة» وهم أهل قوله تعالى : «إيَاكَ عبد وَإِيَاللكَ هيت (©4.

)١(أخرجه الترمذي)7787(.

ثم أهل مقام: «إِيَاكَ نَعَبّدٌ» لهم في أفضل العبادة وأنفعها #*
:وأحقِّها بالإيثار والتخصيصء أربعة طرق وهم فى ذلك أربعة أصناف

الصنف الأول: عندهم أنفع العبادات وأفضلها أشقها على *
.التفوس وأصعبهاء قالوا: لأنه أبعد الأشياء من هواهاء وهو حقيقة التعبّد

:تقدم أن المؤلف كِتلنهِ ذكر أنه يُشترط لقبول العمل عند الله شرطان

.الشرط الأول: الإخلاص لله كِنْ

.الشرط الثاني : المتابعة للرسول كِلة

ثم قال: إن أهل الإخلاص والمتابعة هم أهل: «إِيَاكَ تعب وَإِيَاللكَ
«تَويثٌ 46 [الفاتحة: م]» هذه الآية من سورة (الفاتحة)» «إيَاكَ نَعَبدُ
هذا فيه الإخلاص» وقد قدم المعمول وهو: «إيَاكَ» على العامل وهو
:لإنمَبِّدٌم»؛ يفيد الإخلاص» فهذا فيه تخصيص» وفيه إخلاص لله تك ؛ أي
لا نعيد سواك. «وَإِبَاللكٌ صَتَيِثٌ (©» كذلك لا نستعين إلا بك؛ قال
العلماء: هذا عهد بين العبد وبين ربه ألا يعبد إلا إياه؛ ولا يستعين إلا به؛
فيجب على المسلم أن يلتزم بهذا العهد الذي يكرره في كل ركعة من صلاته؛
يخاطب به ربه 348» وأهل: «َإِيَاكَ تَمَبّدُ وَيَاكَ نَنْتَيِثٌ © فهم على
.أربعة أصناف سيذكرها المؤلف

قوله: (عندهم أنفع العبادات وأفضلها أشقها على النتفوس وأصعبها)
هؤلاء هم الصنف الأول» وهذا الكلام فيه نظر كما يقول شيخ الإسلام ابن
تيمية» أن أفضل العبادات أشقها وما فيه تعب كثير على النفس» هذا فيه
نظر؛
لأن أفضل العبادات هو أخلصها لله ييك» وقد يكون العمل شاتًا ولكنه لا
يقبله الله؛ كالذي يعمل بالبدع» فأهل البدع عندهم تعب وعندهم مشقة؛
وعندهم تقشف» وعندهم حرمان للنفوس» ولكنهم على غير هدى» وعلى
غير
متابعة؛ فالأجر إنما هو على قدر الإخلاص» والمؤلف كِنْثْنْةِ لا يقر هذا وإنما
.يحكيه. وهذا يغلب على الصوفية

والأجر على قدر المشقّة؛ ورووا حديثًا ليس له أصل: «أفضل الأعمال
أحمزهاء؛ أي: أصعبها وأشقها.

وهؤلاء هم أرباب المجاهدات» والجور على التفوس» قالوا *:
وإنما تستقيم النّفوس بذلك. إذ طبعها الكسل والمهانة والاخلاد إلى
الرّاحة, قلا تستقيم إلا بركوب الأحوال» وتحمّل المشاق.

قوله: (والأجر على قدر المشقّة) هذا غير صحيح؛ فالأجر على قدر
الإخلاص» فقد يكون العمل شاأا ومكلقًا ولكن ليس فيه أجر أصلًا؛ لأنه
على غير متابعة.

قوله: (ورووا حديثًا ليس له أصل)؛ أي: ليس ثابتًا عن النبي قلة؛ بل
ليس محفوظًا عن النبي كِله. «أفضل الأعمال أحمزها»؛ أي: أصعبها
وأشمّهاء أخذوا من هذا أن أفضل الأعمال أشقهاء وهذا الحديث ليس له
أصلء فهذا القول غير صحيح.

قوله: (وهؤلاء هم أرباب المجاهدات)؛ أي: الصوفية.

قوله: (قالوا: وإنما تستقيم التفوس بذلك. إذ طبعها الكسل والمهانة
والاخلاد إلى الرّاحة» فلا تستقيم إلا بركوب الأهوال. وتحمّل المشاق)ء ولكن
الرسول ل قال: «إِنَ لِجَسَدِدَ عَلَيْكَ حَقَّاء وَإِنَ لِعَيْيكَ عَلَئْكَ حَقَا وَنٌ لرَوْرِكٌ
عَلَيكَ حَقًاء وَإِنٌ لوَوْجِك عَلَيْكَ حَقًّا"؛ فالنفس لها حى ألا تشق عليها؛ ولاَ
تتعبها تعبًا يشق عليها؛ بل تعطيها قستا من الراحة» يقولون: النفس مثل
الدابة
إذا رفقت بها سافرت عليها وقطعت عليها المسافة. وإذا شققت عليها
انقطعت

في الطريق كالمنبت» فقد قال النبي قلة: ب الْمُثبْتَ لا أَرْضًا قَطَّعَ » وَلَا
ظَهْرًا

ا "© وقال: «أَحَبٍ الْأَعْمَالٍ إلى الله أَنْوَمُهَا وَإِنْ قلا هذه هي أحب
الأعمال.

)١(أخرجه البخاري (1175). (؟) أخرجه البيهقى)46760(.

)*(أخرجه البخاري)1474(.

يُطَالَبُ بِالأَوْرَاومَنْ هو غَافِلٌ نكيف بقلب كل أوقايه وِزةٌ
ثم هؤلاء - أيضًا - قسمان:
منهم: من يترك الواجبات والقرائض لجمعيته * .
ومنهم: من يقوم بها ويترك السّنن والتوافلـ» وتعلّم العلم التافع #

قولهم):
م عه لـ ٍَ 6 مور "4 0
يطالبٌ بِاًلأَوْرَادٍ مَنْ هو غَافِل فكيف بقلب كل أوقاته ورد
هذه كلها اصطلاحات صوفية.

اث المشيد 3
شرح تجريد التوحيد ً ب 8

ف
صس ّ ّ__ادم

والحق: أن الجمعيّة حظ القلب» وإجابة داعي الله حقّ الرّب #ء*
.فمن آثر حقّ نفسه على حقٌ ربّه فليس من العبادة في شيء

الصتف الثالث: رأوا أن أفضل العبادات ما كان فيه نفع *
متعٌ. فرأوه أفضل من النّفع القاصرء فرأوا خدمة الفقراء» والاشتغال
بمصالح الّاسء وقضاء حوائجهم؛ ومساعدتهم بالجاه والمال والتفع
أفضل ؛ لقوله كلة: «الْخَلْقٌ عِيَالٌ اش

:ثم بين المؤلف فقال: (والحق: أن الجمعيّة حظ القلب)ء الجمعية
يعني : اقتصار القلب؛ فالمسلم يقوم بحق الله ويعطي نفسه حقهاء فلا يعطي
نفسه حقها ويترك حق اللهء ولا يكون كمن يتركون الفرائض ويتركون النوافل
.ويتركون طلب العلم» ويقولون: نحن نتفرغ لقلوبنا؛ لذكر الله ومناجاة الله
. هذا غلط

قوله: (الصنف الثالث: رأوا أن أفضل العبادات ما كان فيه نفع متعتٌ
فرأوه أفضل من التفع القاصر)ء هذا له وجه» فأفضل العبادات هو ما كان
يتعدى نفعه» أفضل من العبادة التي فضلها قاصر على العبد فقط» على
الفاعل
فقط ؛ لأن الذي يتعدى نفعه ينفع نفسه» وينفع غيره» وأما الذي ينفع نفسه
فقط ولا ينفع غيره فهذا نفعه قاصرء وقد قال النبي كية: «وَإِنَ فَضْلَ الْعَالِم
على الْعَابِدِ كَفَضْل الْقَمَرِ يله الْبَتْرِ على سَائِر الْكوَاكِب»؛ فالعابد مثل الكوكب
يضيء لنفسه فقطء ولا يضيء للناس والمسافرين» أما القمر فإنه يضيء
«لنفسه
ويضيء للناس» فهو أنفع؛ كذلك العالم ينفع نفسه وينفع الناسء العابد إنما
ينفع نفسه فقطء فالعمل الذي فيه نفع متعد أفضل من العمل القاصر على
.صاحبه

قوله كل: (الْخَلْقْ عِيَالُ الله)؛ أي: فقراء إلى اللهء من العيلة وهي الفقرء

”وَأَحِّهم إلى الل أَنْتَنُهُمْ لِمِبَالهِه

قالوا: وعمل العابد قاصر على نفسه؛ وعمل النقّاع متعدّ إلى *
الغيرء فأين أحدهما من الآخر؟ ولهذا كان «فَضّل الْعَالِم على الْعَابِدٍ
."”«كَفَضْلٍ الْقَمَ لِلَة الْبَدرٍ على سَائِرٍ الْوَاكِب

كما قال تعالى: كا ناش أسر ا ل َآنَهُ مر التي آلْنَيدٌ ©4
١ ٠ (وَأحَبّهم إلى الله أنقَعُهُمْ ِب 44 : للفقراء» فهذا يدل على1[:فاطر]
النفع المتعدي أفمل من النفع ا معنى الحديث معروف» فالنفع
المتعدي أفضل من النفع القاصرء وهذا له أدلة غير هذا الحديث.

قوله: (قالوا: وعمل العابد قاصر على نفسه؛ وعمل النفاع متعدّ إلى
الغيرء فأين أحدهما من الآخر؟)؛ أين الإنسان الذي يصلي الليل ويصوم النهار
ويجلس للأذكار من العالم الذي يعلم الناس ويدعوهم ويفتيهم ويفصل بينهم
إذا اختلفوا» فليس بينهما مقارنة» فالعالم أفضل .

قوله كَلِةٍ: (فضّل الْعَالِم على الْعَابِدِ كَفَضْلٍ الْقَمَرٍ لَيْلَةَ لْبَدْرِ على سَائٍ
الْكوَاكِب)؛ فالكوكب لا يضيء للناس ولا ينفعهم» وإنما ينفعهم بالاقتداء
والاهتداء في السفر فقط» ولكنه لا يضيء لهم الطريق» بخلاف القمر فإنه
يضيء لهم الطريق وينتفعون به .

© © ©

١(أخرجه الطبرانى فى الأوسط (96861)» وأبو يعلى (77159)؛ والبزار ((
19897)» قال
١ رواه أبو يعلى والبزارء وفيه يوسف بن17(: /8) الهيشمي في مجمع الزوائد
عطية
الصفار وهو متروك.

() أخرجه أبو داود (147).

وقد قال كل لعلي: «لَأَنْ يُهْدَى بك رَجُلٌ وَاحِدٌ حر ل من *#

٠ وقال كِلِةٍ: «من دَعَا إلى مُدّى كان له من الْأَرِ مثْلُ أُحجي حُمْرِ انعم من ِبِعَهُ؛ من غير أن يَنْقُص من أُجُورِهِمْ شيئًّا» . وقال كل: إن اللَ مَلَائِكَتَهُ يُصَلُونَ على مُعَلْمِرِ الْخَيْره!". وقال كث: إن الْعَالَ يَسْتَغْفِرُ لهَ◌

١ لُحِيتَانٍ في الْبَحْرٍ؛ والنَمْلَةٌ لثمْلَةَ مَنْ في السَّمَاوَاتٍ وَمَنْ في الأرض, حَتَّى فى
حر ما
حر . مررم ممم رررمورمريرررورومممر ميرو ورمرممر زور ررم ممم تررم ممه

:قوله َي لعلي بن أبي طالب عندما أعطاه الراية يوم خيبرء قال له أْفْذْ عَلَى رِسلك حَتَّى تَنِلَ بِسَاحَتِمْ ثُمَ ادعُهُمْ إِلى الإسام وَآخْرْهُمْ ِمَا» يَجِبُ غَلَيْهِ وا لأ بهد الله بك زعلا خَيْرٌ لك مِنْ أَنْ يَكُونَ لك خُمْرُ ال 0 هذا النفع في الدعوة» رجل واحدء؛ فكيف إذا اهتدى به أمم من الناس وأجيال» وقد قال 5ل: «مَنْ دَعَا إلى مُدَى كَانَ لَهُ مِنَّ الجر مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ تَبِعَهُ لَا يَنْقُمنْ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِمِمْ هَيْنَ؛ فالدعوة ! إلى الله هي النفع المتعدي.

:قوله كل: (إنَ الله وَمَلَئِكَتَهُ يُصَلُونَ على مُعَلّمِي الْخَيْرَ)؛ الصلاة من الله لثناء على عبده في الملأ الأعلى؛ وصلاة الملائكة: الاستغفار وصلاة

دف 5ط غررء مت بجا فَصَلَ

الأ الدعاءء قال تعالى: ضاِنْز من أنْوليمْ صَدَ برهم ل
.4 أي: ادع لهم[:التوية] 0

قوله 28: (إن الْعَالِم يَسْتَغْرُ له مَنْ في السَمَاوَاتِ وَمَنْ في الأرض؛ حَتَّى لحِيتَانٍ في الْبَحْرِ . والنَمْلَةُ في جُخْرِمًا)؛ هذا جزء من حديث أبي الدرداء؛ وقد شرحه الإمام ابن رجب في رسالة مستقلة باسم (شرح حديث أبي الدرداء:
من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا) شرحًا وافيًا في رسالة مستقلة؛ وهي مفيدة

)١« بمعتاه أخرجه الترمذي (9185). (؟) انظر: الترمذي)7187 - 185 1(.
)©(أخرجه البخاري (004*). () أخرجه مسلم)77174(.

قالوا: وصاحب العبادة إذا مات انقطع عمله» وصاحب التفع لا ينقطع
- عمله ما دام نفعه الذي تسبّب فيه. والأنبياء - عليهم الصّلاة والسّلام
إنما بعثوا بالاحسان إلى الخلق وهدايتهم ونفعهم في معاشهم ومعادهم؛

جدّاء لماذا الحيتان في البحر تستغفر له» والتمل في جحرها تستغفر له؟ لأنه
يدعو الناس إلى الخير؛ ويحصل المطر ويحصل الريف» وكثرة الخيرء فالنملة
تأكل من رزق الله يك الذي يحدث بسبب هذا العالم الذي يعلّم الناس
الخيرء وينزل الخير بسببه» وتصلح الأرض بسببه» وأما صاحب الشر والعياذ
بالله فإنه تلعنه الحيتان فى البحرء وتلعنه الدواب» كما قال 88: «يلمَتهُمْ لَه
ولتت ليت © [البقرة: 4+ من الدواب والحشرات التي تموت
.بسببه؛ لأنه تسبب في فساد الأرض وانحباس المطر
قوله: (قالوا: وصاحب العبادة إذا مات انقطع عمله» وصاحب النّفع لا
ينقطع عمله مادام نقعه الذي تسبّب فيه)؛ هذا من الفروق فصاحب العبادة
والنفع القاصر إذا مات انقطع عمله» وأما العالم وإن مات لن ينقطع عمله ما
بقي علمه ينتفع به؛ كما في الحديث: «إذا مَاتَ الْأَنْسَانُ انْقَطَّ عنه عَمَلهُ إلا
من ثَلَكةٍ: إلا من صَدَكَةٍ جَارِيَةِء أو عِلْم ينتفع بف أو وَل صَالِح يذ يدعي نم5
وأفضل هذه الثلاث هو العلم؛ لأن الوؤلد يموت وإن تأخر عن أبيه ودعا له؛
ولكنه يموت» وكذا الوقف يمكن أن يتعطل وقد يذهب أما العلم فإنه يبقى
ينتفع به أجيال وأجيال» ويبقى نفعه لصاحبه دائمًا مستمرًا؛ فالعلم أفضل
. شيء
قوله: (والأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام - إنما بعثوا بالاحسان إلى
الخلق» وهدايتهم» ونفعهم في معاشهم ومعادهم)» الأنبياء إنما بعثوا إلى
الناس
لدعوتهم وهدايتهم ونفعهم» والعلماء ورثة الأنبياء» يقومون مقام الأنبياء في

نَ

نفع الناس» وتعليم الناس» فعملهم مستمر ونافع» وأجرهم مستمر بعد
موتهم؛

)١671(. أخرجه مسلم ()

لم يبعثوا بالخلوات والانقطاع. ولهذا أنكر النّبي كي على أولئك النّفر الذين همّوا بالانقطاع والتّعبّدء وترك مخالطة النّاس. ورأى هؤلاء أن التفرغ"'" لنفع الخلق أفضل من الجمعيّة على الله بدون ذلك» قالوا: ومن ذلك العلم والتعليم» ونحو هذه الأمور الفاضلة.

كما ترون الآن أن الناس يهتدون بكتب السلف الصالح والعلماء السابقين «والأئمة وينتفعون بهاء ويدرسونها ويعود نفعها إلى من ورثها من العلماء والأنبياء هم القدوة» فما بعشثوا لأنفسهم فقط لأجل أن يعبدوا الله فقط ؛ بل يُعثوا ليعبدوا الله وليأمروا بعبادة الله .

قوله: (لم يبعثوا بالخلوات والانقطاع)؛ يعني : ليخلوا بأنفسهم وينقطعوا عن الناس ويشتغلوا بالعبادة فقط .

قوله: (ورأى هؤلاء أن التفرغ لنفع الخلق أفضل من الجمعيّة على الله بدون ذلك)؛ أي: أن الإنسان يخالط الناس وينفعهم ويدعوهم أنفع من الذي يعتزلهم» فالناس إذا صاروا على أخطاء وعلى ذنوب ومعاص يقول بعض الناس: الأفضل لي أني أعتزل وأتركهم. فهذا فيه تفصيل : إذا كان لا يؤثر في الناس ولا ينفع» فهذا الأحسن له أن يعتزل؛ أما إذا كان ينفع الناس» ويدعو إلى الله ويبصر الناس فهذا الأفضل أنه يخالط الناس» ويصبر على أذاهم؛ فهل العزلة أفضل أم الاختلاط بالناس؟ نقول: الناس يختلفون في هذا. فالصنف الثالث هم من يقولون: إن أفضل العمل ما كان نفعه متعديّا» وهذا صحيح» وواضح.

ج © «©

ر في نسخة: التفرق .

الصنف الرّابع: قالوا أفضل العبادة: العمل على مرضاةة الرّب #
سبحانه, واشتغال كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته. فأفضل
العبادات في وقت الجهاد: الجهاد» وإن آل إلى ترك الأوراد من صلاة الليل
وصيام النّهار؛ بل من ترك إتمام صلاة الفرض كما في حالة الأمن . والأفضل
في وقت حضور الضيف: القيام بحقّه والاشتغال به. والأفضل في أوقات
السّحر: الاشتغال بالصلاة والقرآن والذكر والدّعاء. والأفضل في وقت
الأذان: ترك ما هو فيه من الأوراد والاشتغال بإجابة المؤذن. والأفضل فى
أوقات الصلوات الخمس: الجدٌ والاجتهاد في إيقاعها على أكمل الوجوه؛
والميادرة إليها في أوّل الوقت؛ والخروج إلى المسجد وإن بَعْدَ. والأفضل
في أوقات ضرورة المحتاج: المبادرة إلى مساعدته بالجاه والمال والبدن.

أفضل الأعمال على هذا القول هي: أن تؤدى كل عبادة في وقتها
المحدد لهاء فإذا كان الوقت وقت جهاد فى سبيل الله فأفضل الأعمال الجهاد
في سبيل اللهء وإذا كان الوقت وقت طلب العلم» والتفرغ لطلب العلم
فأفضل
الأعمال هو التفرغ لطلب العلم» وهذا يتعدى إلى العبادات المؤقتة الموظفة؛
فكل عبادة في وقتها أفضل من العبادة المطلقة.

فمثلًا: ما بين الأذان والإقامة الاشتغال بالدعاء أفضل من تلاوة القرآن؛
لأن الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة. وتلاوة القرآن لا تفوت بل لها وقت
مطلق» تقرأه ة فى أي وقت» ولكن هذا الذكر إذا فات وقته فاتت فضيلته؛
فالعبادة المؤقتة. في وقتها أفضل من العبادة المطلقة. وقوله: (والأفضل في
أوقات ضرورة المحتاج: المبادرة إلى مساعدته بالجاه والمال والبدن)» كذلك
وقت الحاجة والفقر أفضل الأعمال أنك تساعد المحتاج» قال تعالى: دلا
أفتم تبه (© نآ أنرك ما النْقبَةٌ © مَكِ نب © أذ لمَدٌ في تير ذى تَنْبَ
ء «(في بير ذى[١ 116 :البلد] نما ذاْ َرَبَةٍ © أ مِشكنا ذا مرب 1 ©
تَتَبَوَ (©»؛ يعني : الجوع؛ فالتصدق في وقت الرخاء طيب؛ لكن ليس كمثل
التصدق في وقت الجوع والحاجة.

والأفضل في السّفر: مساعدة المحتاج. وإعانة الرّفقة. وإيثار #
ذلك على الأوراد والخلوة. والأفضل في وقت قراءة القرآن: جمعيّة
القلب» والهمّة على تديّره؛ والعزم على تنفيذ أوامره» أعظم من جمعيّة
قلب من جاءه كتابٌ من السّلطان على ذلك. والأفضل في وقت الوقوف
بعرفة: الاجتهاد في التضرّع والدّعاء والذّكر. والأفضل في أيام عشر ذي
الحجّة: الاكثار من التّعبّد. لا سيما التكبير والتهليل والتحميد. وهو
أفضل من الجهاد غير المتعيّن.

قوله: (والأفضل في السّفر.)» كون المسافر يخدم زملائه وإخوانه أفضل
من كونه يجلس للذكر وتلاوة القرآنء والنبي كَيةٍ كان في الأسفار في آخر
الركب» يتفقد المحتاج والمنقطع .

قوله: (والأفضل في وقت الوقوف بعرفة..). ففي يوم عرفة الوقوف
للدعاء» أو الجلوس للدعاء أفضل من صلاة النافلة في هذا اليوم» قال كِلة:

خَيْرُ الدَّعَاءِ دُمَاء يَوْمِ عَرَفَقَ!''» فاشتغل بالدعاء؛ وتؤدي الفرائض في وقتهاء

وفي غير وقت الفرائض تشتغل بالدعاءء فهذا أفضل من الجلوس للذكر
والاستغقار .

قوله : (والأفضل في أيامِ عشرِ ذي الحجّة..)؛ الرسول كَل قال: انا بن
آم العَمَلُ الصَّالِحٌ فِيهِنَ أَحَبٌ إِلَى الله مِنْ مَذْءِ آم العَشْر». قَالُوا:
ا للهء ولا الْجِهَادٌ فِي سَبِيلٍ الله؟ قَالَ: «ولا الْجِهَادُ في سَبِيلٍ ل
لأن هذا ذكر مؤقتء وعمل مقت يفوت بفوات وقتهء والجهاد لا يفوت .

ب © ©

)١(أخرجه الترمذي (9085). (؟) أخرجه الترمذي)/7817(.

والأفضل في العشر الأواخر من رمضان: لزوم المساجدء #
والخلوة فيهاء مع الاعتكاف والاعراض عن مخالطة النّاس» والاشتغال
بهم؛ حتى أنه أفضل من الاقبال على تعليمهم العلم» وإقرائهم القرآن عند
كثير من العلماء.

والأفضل في وقت مرض أخيك المسلم أو موته: عيادته وحضور *

جنازته» وتشييعه » وتقديم ذلك على خلوتك وجمعيّتك.

والأفضل فى وقت نزول التوازل وأذى النّاس لك : أداء واجب #
الصّير مع خلطتك لهم؛ والمؤمن الذي يخالط النّاس ويصبر على أذاهم
أفضل من المؤمن الذي لا يخالط النّاس ولا يصبر على آذاهم.

قوله: (والأنفضل في العشر الأواخر من رمضان..) وهذا الذي كان
يحصل من الرسول كَيِّةٍ في العشر الأواخرء مع أنه كان في كل أعماله كان
في
جهادء وكان في تعليم» وكان في دعوة» وكان في قضاء حوائج الناس» فكان
في العشر يعتكف وينفرد عن الناس» وينتعزل عن الناس بمكان خاص»
ينعزل
لذكر الله وعبادته ومناجاته؛ لأن هذه العشر تفوت» أما تعليم الناس الأمور
الأخرى من الأعمال الصالحة فهذه لا تفوت» فمبادرة الأوقات قبل فواتها
أحسن من التفريط فيها والاتشغال بعمل غير خاص بها .

قوله: (والأفضل في وقت مرض أخيك المسلم أو موته..) فكونك إذا
مرض مسلم واحتاج إليك» واحتاج إلى حضورك» واحتاج إلى مساعدتك فهذا
أفضل من أنك تجلس في المسجد للذكر وتلاوة القرآن» وصلاة النوافل .

قوله: (والمؤمن الذي يخالط النّاس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن
الذي لا يخالط التاس ولا يصبر على أذاهم) هذا كما سبق فيه تفصيل :

فإن كان اختلاطك بالناس فيه نفع لهم وأمر بالمعروفء ونهي عن
المنكرء وتعليم» ودعوة فخلطتك لهم أفضل.

وإن كان لا يحصل لك شيء من هذاء فعزلتك أفضل لك.

ب القتة ب
خير من خلطتهم فيه» فإن علم أنه إذا خالطهم أزاله وقلله فخلطتهم خير من اعتزالهم.

* وهؤلاء هم أهل التعبّد المطلق» والأصناف التي قبلهم أهل التعبّد المقيّد. فمتى خرج أحدهم عن الفرع الذي تعلّق به من العبادة وفارقه؛ يرى نفسه كأنه قد نقص ونزل عن عبادته» فهو يعبد الله على وجه واحد.

* وصاحب التعبّد المطلق ليس له غرض في تعبّد بعينه يؤثره على غيره؟ بل غرضه تتبّع مرضات الله تعالى» إن رأيت العلماء رأيته معهمء وكذلك فى الذاكرين» والمتصدقين» وأرباب الجمعيّة؛ وعكوف القلب على الله فهذا هو الغذاء الجامع للسائر إلى الله في كل طريق؛ والوافد عليه مع كل فريق.

قوله: (وخلطتهم في الخير أفضل من عزلتهم فيه)» قال أمير المؤمنين عثمان ولأ : «إذا أحسن الناس فأحسن معهم» وإذا أساءوا فاعتزل إساءتهم».

قوله: (وصاحب التعبّد الملق لبس له غرض فى تعد بعينه يؤثره على غيره.)» قال تعالى: «إكِأَيْها الى امنا نما أت ترثاَم 0 فأنتم يجب أن تكون الاي مع أهل (العلي؛ مع أهل «[التوبة: 114] العبادة» مع أهل الجهاد في سبيل 0 مع المتصدقين» والمنفقين» تساهم في كل سبيل من سيل الخير ما استطعت» لا تقتصر على نوع واحد.

© ©

واستحضر ههنا حديث أبي بكر الصدّيق ثَ» وقول التبي كَيةٍ #

:١ حدٌّ أَطعُمَ الْيَوْمَ َسْكِينًا؟ قال أبو بكر : أنا. قال بحضوره: دل مِنْكُمْ هل مِكُمْ أحد صب الْهمَ صَائِمًا؟ قال أبو بَكْرِ: أنا. قال : هل بِنْكُمْ أحد عَادَ الْيَوْ مَرِيضًا؟. قال أبو بَكْر: أنا . قال: هلَ مِنْكُمْ أحد اتبعٌ الْيَوْم جَنَازَةٌ؟ قال أبو بكر : أنا . .© الحديث”١ “. هذا الحديث روي من طريق عبد الغني بن أبي عقيلء قال: حدثنا يغتم بن سالم» عن أنس بن :مالك وَل قال: «كان رسول الله كَلةِ جالمنًا في جماعةٍ من أصحابه فقال :من صام اليوم؟. قال أبو بكر: أنا. قال: من تصدّق اليوم؟. قال أبو بكر أنا. قال: من عاد اليوم مريضًا؟. قال أبو بكر: أنا. قال: فمن شهد اليوم جنازةً؟. قال أبو بكر: أنا. قال: وجبت لك»""؛ يعني : الجنّة. ويغنم بن سالم وإن تُكلّم فيه؛ لكن تابعه سلمة بن وردانء وله أصل صحيح من حديث مالك» عن محمد بن شهاب» عن حميد بن عمد الرحلين بن عوف. عن أبي هريرة 5له: أنّ رسول الله كل قال: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ في بل لف لوم في الْو: يا عَبْدَ لفو هذا خَيْرٌ. فَمَنْ كان من أَمْلِ الصَّلَاةِ نودي من بابِ الصَّلَاةِ؛ وَمَنْ كان من مل الْجهَادِ؛ نودي من باب لْجِهَاد وَمَنْ كان من أَهْلِ الصَّدَكةِ؛ دجي من بَابٍ الصَّدَقَةِ وَمَنْ كان من م الصَّيَامٍ » دُعِيّ من بَابٍ الزَيَّانٍ» فقال أبو بَكْرٍ لله : ايا رَسُولَ الله ما علي من دُمِي من ِلك الْأبوَابِ من ضَرُودَةء فَهَلَ يُدعَى أحَدٌ من بِلْكَ لأبوَاب كُلهَا؟ قال: نعم؛ وَأَرّجُو أنْ تَكُونَ منهم*".

هكذا رواه عن مالك موصولًا مسندًا يحبى بن يحيى؛ ومعن بن # عيسى» وعبد الله بن المبارك. ورواه يحيى بن بكير » وعبدِ الله بن يوسفء

)178٠١(. انظر: صحيح مسلم 12
.() انظر: المصنتف لعبد الرزاق (1718)

انظر: صحيح البخاري (1847)؛ ومسلم (7؟"١٠). ©

عن مالك عن أبي شهاب» عن حميد مرسلا. وليس هو عند القعنبي لا مرسلا ولا مسندًا.

ومعنى قوله كل: «مَنْ أَنْفَقَ زَرْجَيْنا؛ يعني: شيئين من نوع * واحدٍ نحو درهمين» أو دينارين» أو فرسين» أو قميصينء وكذلك من صلّى ركعتين» أو من مشى في سبيل الله تعالى خطوتين» أو صام يومين؛ ونحو ذلك؟

وإنما أراد والله أعلم - أقل التكرارء وأقل وجوه المداومة على ** العمل من أعمال البرّ؛ لآن الاثنين أقل الجمع» فهذا كالغيث أينما وقع نفع» صحب الله بلا خلق» وصحب الخلق بلا نفس؛ إذا كان مع الله عزل الخلائق مع البين وتخلّى عنهم؛ وإذا كان مع خلقه عزل نفسه من الوسط وتخلّى عنهاء فما أغربه بين النّاسء وما أشدّ وحشته منهم؛ وما أعظم أنسه بالله وفرحه به وطمأنينته وسكونه إليه.

فأبو بكر ول شارك في كل هذه المجالات؟ فالمسلم يشارك في أعمال الخير ولا يقتصر على نوع واحد منها.

وقول أبي بكر الصديق صل : (قَهَلْ يُدْعَي أَحَدٌ من تَلْكَ الْأَبْوَابٍ كُلْهَا؟ وقد نال هذه المرتبة العظيمة» أفضل الأمة أبو بكر الصديق؛ ولذلك قب بالصديق» لكثرة صدقه سق صدق مع الله» وصدق مع رسول الله وصدق

مع الخلق .

© ©

«واعلم أن للناس فى منفعة العبادة وحكمتها ومقصودها طرائق #
وهم في ذلك أربعة أصتاف :

الصنف الأول: نفاة الحكم والتعليل» الذين يردّون الأمر إلى *
نفس المشيئة» وصرف الارادة؟ 1غ

ما زال المؤلف كنم يتكلم عنِ معنى قوله تعالى: «إِيَاكَ نَعَبّدٌ وَإِيَاكَ
تُتَوِيفٌ © [نفاتحة: م]» «إِيَاكَ نيد العبادة كما سبق أنها اسم جامع
لكل ما يحبه الله ويرضاه» من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنةء والناس
في
العبادة وحكمتهاء وهل فيها حكمة أم ليس فيها حكمة. لهم كلام في هذاء ما
بين الجبرية» وما بين القدرية» ومذهب أهل السُنّةَ والجماعة في ذلك
معروف.

قوله: (الصتف الأول) هؤلاء الجبرية الذين يقولون: العبادة ليس لها
حكمة» وإنما نحن نفعلها لمجرد الأمرء طاعة للأمر فقطء وإلا فهي ليس لها
فائدة ولا حكمة» ويقولون: إن أفعال الله كلها ليس فيها حكمة» وإنما يفعلها
لمجرد مشيئته» وإرادته فقط» ليس لأجل حكمة فى ذلك» فينقون الحكمة
عن الله #8 ويجعلون أفعاله عبثًا ليس لها حكمة. وهذا مذهب الجبرية؛
وأول من قال به الجهم بن صفوانء وكذا تقول به الأشاعرة أيضًا ينفون
الحكمة؛ ويقولون: إن الله لا يفعل لأجل حكمة» وإنما يفعل لمجرد مشيئته
وإرادته» ولو عذب المطيع وأكرم العاصي» فإن هذا لمجرد إرادته؛ لأنه يفعل
ما يشاء» وأما أن العاصي يستحق العقاب» والعابد والمطيع يستحق الثواب؛
فالأمر ليس كذلك عندهم, فهم ينفون الحكمة؛ وينفون أن يكون الثواب
والعقاب لحكمة» وإنما هو لمجرد المشيئة والإرادة» ويقولون: إن الله يفعل
ما "
يشاء. نعم» الله يفعل ما يشاء ولكن لحكمة؛ يفعل ما يريد لحكمة؛ فهو لا
يُسأل عما يفعل؛ لأن أفعاله لحكمة» فليس لا يُسأل عما يفعل أنه يفحل
الأشياء لغير حكمة؛ فهذا تنقّص لله هن هؤلاء هم نفاة الحكمة عن الله فإ
وأفعاله .

فهؤلاء عندهم القيام بها ليس إلا لمجرّد الأمرء من غير أن يكون سببًا
لسعادة في معاش ولا معاد ولا سببًا لتجاة» وإنما القيام بها لمجرّد الأمر
ومحض المشيئة»؛ كما قالوا في الخلق: لم يخلق لغايةٍ ولا لعلّةٍ هي
المقصودة به. ولا لحكمةٍ تعود إليه منه؛ وليس في المخلوق أسباب تكون
مقتضيات لمسبباتها» وليس في النّار سبب الاحراق» ولا في الماء قوَّةٍ
الإغراق ولا التبريد.

قوله: (فهؤلاء عندهم القيام بها ليس إلا لمجرّد الأمر)» لا لأجل
الحكمة. ولأجل الثواب والعقاب.

قوله: (من غير أن يكون سببًا لسعادة فى معاش ولا معادء ولا سببًا
لنجاة)؛ فالأفعال والعبادة عندهم ليست سببًا للسعادة» الكفر ليس سببًا
للشقاوة» هكذا يقولون» يتفون الأسباب وينفون الحكمة» وإنما يردون هذا
إلى
المشيئة والإرادة فقط» الإرادة المحضة والمشيئة المحضة؛ وهذا عين
الضلال» وتنقص لله ثيل ووصف أتعاله بالعبث.

قوله: (كما قالوا في الخلق) وهو من أفعال الله (لم يخلق لغايةٍ ولا
لعلةٍ هي المقصودة به ولا لحكمةٍ تعود إليه منه؛ وليس في المخلوق أسباب
تكون مقتضيات لمسبباتهاء؛ وليس في التار سيب الإحراق» ولا في الماء قوّة
الاغراق ولا التبريد)» فينمفون خواص الأشياء؛ كالإحراق في النارء والإغراق
في الماء» ينفون الخواص» ويقولون: هذا راجع إلى مشيئة الله مجرد
المشيئة
«ومجرد الإرادة» لا لأن النار بطبيعتها تحرق» ولا لأن السيف بطبيعته يقطع
. ولا . . ولا. . إلى أخرف وهذا هذيان ولكن الضلال يأتي بأكثر من هذا

© © .

وهكذا الأمر عندهم سواء» لا فرق بين الخلق والأمرء ولا فرق * في نفس الأمر بين المأمور والمحظورء ولكن المشيئة اقتضت أمره بهذا ونهيه عن هذاء من غير أن يقوم بالمأمور صفةٌ تقتضي حُسنه؛ ولا بالمنهي

عنه صِفةٌ تقتضى قبحه.

وأول من صدرت عنه المقالة: الجعد بن درهم.

قوله: (وهكذا الأمر عندهم سواء» لا فرق بين الخلق والأمر)؛ فالخلق هو الأمرء والأمر هو الخلقء لا يفرقون بين هذا وهذاء ويعنون بالأمر: الشرع» والخلق هو التكوين والإيجادء فليس عندهم فرق بين هذا وهذاء والله 8# قال: آل ل لَكَنُ وَالأَتُّ بَارَكَ لَنَهُ رت أاَلْتَلِيَ)4 [الأعراف: 4:]؛ فالذي خلق هو الذي يأمر عباده وينهاهم» لحكمة ولغاية ولثمرة.

قوله: (ولا فرق في نفس الأمر بين المأمور والمحظور)؛ يعني: الحلال والحرام» لا فرق في ذلك عندهم؛ لأنه ليس هناك حكمة عندهم أصلًاء فجائز عندهم أن الله يأمر بالشرك» ويأمر بالزناء ويأمر بالمعاصيء هذا جائز عندهم» وأن ينهى عن الصلاة والزكاة؛ فهذا راجع إلى مشيئته وإلى إرادته فقط» من غير فرق بين أمر ونهي» وبين حلال وحرام» بين طاعة

ومعصيه .

قوله: (ولكن المشيئة اقتضت أمره بهذا ونهيه عن هذا)ء فقط يقولون: يفعل لمجرد المشيئة» لا لأن المنهي قبيح؛ والمأمور به حسنء لا ليس كذلك عندهم؛ بل هو يأمر وينهى لمشيئته وإرادته» وقد يأمر بالمعصية والكفر والشركء فيجوز عندهم هذاء وينهى عن الطاعة والصلاة وعن الزكاة!» هكذا يقولون في حق الله 8#؛ لأنهم لا يصفونه بالحكمة في أفعاله وأوامره ونواهيه .

قوله: (من غير أن يقوم بالمأمور صفةٌ تقتضي حسنه.؛ ولا بالمنهي عنه صفةٌ تقتضي قبحه)» فليس عندهم تحسين ولا تقبيح.

| .ولهذا الأصل لوازمٌ وفروحٌ كثيرةً #
ومؤلاء غاليهم لا يجدون حلاوة العبادة ولا لذّتهاء ولا يتنعٌمون *
بهاء ولهذا يسمّون الصّلاة والصَّيام والركاة والحجخ والتوحيد والاخلاص
ونحو ذلك تكاليف؛ أي: كلفوا بهاء ولو سمّى مدّعي محبّة ملك من
الملوك أو غيره ما يأمره به تكليقًا لم يعد محبًا له.

قوله: (ولهذا الأصل لوازمٌ وفروحٌ كثيرة) هذا الأصل الباطل له لوازم
وفروع باطلة؛ لأن ما يبنى على الباطل فهو باطل.

قوله: (وهؤلاء غالبهم لا يجدون حلاوة العبادة ولا لذّتها)؛ يعني : ينتج
عن هذا إذا كانوا يقولون: إن الطاعة لمجرد الأمر والنهي لمجرد الأمر
والمشيئة؛ فلا يجدون في أنفسهم كراهية لمعصية» ولا يجدون للطاعة
حلاوة وتلذذ» وإنما يفعلهما لمجرد الامتثال فقط» ولا يجدون فيهما اللذة
والراحة في الطاعة» والكراهية والبغض للمعصية» وهذا من ثمرات هذا
القول
القبيحة.

قوله: (ولهذا يسمّون الصّلاة والصّيام والركاة والحجّ والتوحيد
والإخلاص ونحو ذلك تكاليف)» مجرد تكاليف» أن الله أراد أن يكلف العباد
ويشق عليهم بهاء وإلا فهي ليس لها غاية ولا منفعة ولا ثمرة» وإتما أراد أن
يكلفهم» فيسمونها تكاليف.

قوله: (ولو ستّى مدّعي محبّة ملك من الملوك أو غيره ما يأمره به تكليقًا
لم يعد محبّا له لو فعل هذا بالملوك الذين يحبهم وقال: أوامركم ليس فيها
فائدة؛ ونواهيكم ليس فيها فائدة؛ هل يرضون عنه؛ وهل هذا يحبهم في
الحقيقة؟ إذا كان هذا في المخلوق فكيف ينسبه للخالق»ء لو جاء إلى ملك
من
الملوك» وقال له: أنت أوامرك ليس فيها فائدة؛ فهي عبث» ونواهيك من باب
العبث» فماذا يكون حال الملك معه» وماذا يكون حال الناس معه» في
عقليته
رفي تصوراته» يصفونه بالجنون.

.وأول من صدرت عنه المقالة: الجعد بن درهم #

قوله: (وأول من صدرت عنه المقالة: الجّعد بن درهم). الجعد بن
درهم الذي هو في آخر عهد بني أميةء الذي أنشأ مذهب الجهمية» قبحه الله
ويقال لأتباعه الجعدية» ثم جاء الجهم بن صفوان الترمذي فأحيا مذهبه وتبناه؛
:فنسب إليه» فصار يقال لهم الجهمية» أتباع الجهم بن صفوان؛ الذي قال
إن الله لم يكلم موسى تكليمًا؛ ولم يتخذ إبراهيم خليلا. فقتله الأمير الأموي
خالد القسري يوم عيد الأضحى» وقال في خطبته للعيد: «أيها الناس ارجعوا
فضحُوا تقبل الله منا ومنكم؛ فإني مُضَحٌ بالجعد بن درهم» ذلك أنه زعم أن
الله
لم يتخذ إبراهيم خليلًاء ولم يكلم موسى تكليمًا». ثم نزل فذبحه تحت
المنبر؛ بحضور العلماء والأكمة؛ وشكروه على هذا الصنيع لما قتل هذا
: الزنديق في هذا اليوم المبارك؛ ولهذا قال ابن القيم كلت
ولأجل ذا ضحى بجعد خالد القسري يوم ذبائح القربان
إذ قال إيراهيم ليس خليله كلا ولا موسى الكليم الداني
شكر الضحية كل صاحب سُنَّة للّه درك من أخي قربان
هذا هو رئيسهم الجعد بن درهمء ثم جاء بعده الجهم بن صفوان وجدد
.هذا المذهب ودعا إليه فشسب إليه؛ ويقال لهم الجهمية بدل الجعدية

« © ©

الصنف الثانى : القدرر ئة الثفقاق الذين يثبتو ن نوعًا من الحكمة *

والتعليل لا يقوم بالزب ولا يرجع إليه؛ بل يرجع لمبحض مصلحة
المخلوق ومتفعته, ممممممرمممترر مف ممم ممم فوقو ممم مم ممم موقم
ممم ممقمم ووم ممه

قوله: (الصتف الثاني)؛ وهم على النقيض من الصنف الأول وهم
؛ فالجهمية يُقال لهم: القدرية الغلاة» الذين غلوا في إثبات(القدريّة الثّفاة)
القدر» وقالوا: العبيد مجبور لا اختيار له» ولا مشيئة له وإنما هو مجبور على
أفعاله» وقد سموا بالجبريةء فغلوا فى إثبات القدر حتى نفوا أفعال العبد
واختيار
العبد ومشيئة العبدء وقالوا: الأمر كله راجع إلى اللهء والعبد إنما هو محرك
ومدبر فقط» هؤلاء هم الجبرية والجهمية» جمعوا بين جيم الجبر وجيم
التجهم.

قابلهم وخالفهم: المعتزلة؛ القدرية النفاة» أبي معبد الجهني ومن جاء
بعده» فقالوا: العبد له اختيار مستقل» وله مشيئة مستقلة؛ وأفعاله ليست
مخلوقة لله ولا مقدرة من الله» وإنما هي أفعاله هو؛ أنفء؛ أي : مستأنفة؛
فهم
عاكسوا الجهمية والجبرية؛ قسموا ب(القدرية)» وسموا مجوس هذه الأمة؛
لأنهم
أثبتوا خالقين مع اللهء إذا كان العباد يخلقون أفعالهم صاروا شركاء لله في
الخلق» فصاروا مجوسًا؛ فالمجوس يقولون: إن الخلق نشأ عن النور
والظلمة»
عن خالِقين» خالق للخير وخالق للشر . المعتزلة القدرية زادوا عليهم» فقالوا
:
كل إنسان يخلق فعل نفسه» قسموا (مجوس هذه الأمة)» ونفوا القدر»
وقالوا :
إن الله لم يقدر هذا الشيء» وإنما العبد هو الذي فعله وابتكره من غير أن
يكون لله
إرادة فيه» ولا أن الله خلق أفعال العباد» مع أن الله يخ يقول: آله حَيقٌ كَل
«© وَهُ عل كي ثَيَء تَكِلٌ ©4 [الزمر: ؟د] لوال خَلَتَكر زَنَا تنفد
؛ فالله خالق كل شيءء؛ فنفوا الخالقية عن الله 345.[الصافات: +4]
وجعلوها

للعباد، تعالى الله عن ذلك» فهم على النقيض من مذهب الجبرية.

قوله: (القدريّة الثفاة)؛ يعني : نفاة القدر.

قوله: (الذين بِ يثبتون نوعًا من الحكمة والتعليل لا يقوم بالرّب ولا يرجع إليه؛ بل يرجع لَمحض مصلحة المخلوق ومنفعته)» فيجعلون المخلوق يخلق

فعتدهم: أن العبادات شرعت أثمانًا لما يناله العباد من الثواب والتعيم؛

أفعاله مستقلًا عن الله #؛ لم يقدرها الله عليه» ولم يشأها له وإنما العبد هو الذي شاءها وأرادها مستقلًا بها وأوجدهاء وخلقهاء هذا مذهب القدرية . النفاة» من المعتزلة وغيرهم
قوله: (فعندهم: أن العبادات شرعت أثماثًا لما يناله العباد من الثواب والتعيم)؛ فعند هؤلاء القدرية أن العبد يستحق الجنة بعمله» ليس له تفضل عليه بذلك» وإنما يستحقها بعمله وطاعته» استحقاقًا ليس لله فيه تدخلء ولا تفضّل ولا منّة. تعالى الله عما يقولون» فيجعلون دخول الجنة إنما هو باستحقاق العبدء لا برحمة الله ولا بفضله ومنّه وكرمه؛ وهذا ينافي قول الرسول كلةٍ: «لنْ يُدْخِلُ أَحَذَا عَمَلْه الجْنَّة. قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «لاء ولا أناء إلا أن يَتَعَمَّدَنِي الل ِفَضْلٍ وَرَحْمَقَا". ويستدلون بقول تعالى: «ادْثُا الْجَنَّةٌ نا كُثْرٌ ُمُه ©» [التحل: ًيما) قالوا: الباء
١ ف تفل : في هنا باء العوض والثمنيةء فهم استحقوا دخولها على الله وليس ذلك وإنما هو استحقها بفعله هو. وهذا يناقض قول الرسول كية: «لا يَدْخْلُ أَحَدٌ حَذ مِنْكُمْ الْجَنَةَ بعَمَلولا". فكيف نجمع بين الباءين؟ قالوا: السياق و والباء في كل سياق غير الباء في السياق الآخر؛ فالباء في قوله تعالى: «وَادخْلواً
الْجَنَةَ نا كُثرٌ ةْ َ © سببية؛ أي: ادخلوا الجنة بسبب ما كنتم
٠ في قوله كل بلا يَدْخْلُ أَحَدُ أحُ مِنْكُمْ الْجَنة جنَة َل , باء تعملون» والباء «العوض
والثمنية؛ فليست الجنة ثمن لعمل الإنسان» وإئما عمل الإنسان سبب في دخولهاء وإلا فعمل الإنسان قليل بالنسبة للجنة ونعيم الجنة» الله تفضل عليه بذلك» ولو حوسب الإنسان على نعم الله عليه التي لا يعلمها إلا الله ظاهرة «وباطنة» ما بقي له عمل واستحقها الحساب» فقد استغرقها حساب النعمة ولكن الله يدخل العبد الجنة بفضله» والعمل إنما هو سبب فقطء والله م

)١(أخرجه البخاري (9177). (7) مسند الإمام أحمد)7497/4(.

وأتها بمنزلة استيقاء الأجير أجره.

قالوا: ولهذا يجعلها سبحانه عوضًا *#.

«© كقوله: ليثيم أن ينك لت أُرنتُمَا به ثث تَحَثِ #*
[الأعراف: 87].

وقوله: «مَلَ تُجَرَوبب إلا ما كت تَتَمَلْوةَ 00 (التمل #:

وقوله: دخلا أ الْجِنَة يما تتم تَتُمَلونَ © [التمل: 77] *.

٠١ :وقوله: «إئنَا نمق اليد أن ا قير حاب لي [الزمر #

يضاعف الحسنتة إلى عشر أمثالها إلى سبعماثة ضعف» إلى أضعاف كثيرة منًّا منه وفضلاء فهذا الفرق بين قول الجبرية وقول القدرية» وهذا هو جواب أهل السُنَّةَ والجماعة عن شبهات القدرية.

قوله: (فعتدهم: أن العبادات شرعت أثمانًا)؛ أهل السُنَّة يقولون: إن العبادات شرعت أسبابًا لا أثمانًا .

قوله: (وأنها بمنزلة استيفاء الأجير أجره)» يقولون: ليس لله فضل فهي أجورنا على عملناء مثل الأجير الذي يشتغل عندك؛ تعطيه أجرته وليس لك عليه تفضل فى هذا؛ لأنه نتيجة كدّه وعرقه» فكذلك العباد عند الله؛ الجنة والغواب هذا من كدهم وعرقهم» ليس لأن الله تفضل عليهم بذلك! وهذه جرأة
فظيعة على الله والعياذ بالله.

< قوله تعالى: «وَتْدنَا آن تلك لَلْنَدُ أوِئُومَا ينا كُثْرٌ شَنَيَ
«إيمًا كُرَ» أخذوا الباء على أنها باء الثمنية؛ وباء العوض» [الأعراف: 47]
فجعلوا الجنة ثمنًا للعمل مقابلًا للعمل .

وقوله تعالى: مَل تُجْرَوبت إلا ما كُنْد تَمْمَلْمُنَ (©» [النمل: 0]
وأمثالها من الآيات .

٠١ سماه[:الزمر] وقوله: «إا يُقَّ ألصَبِرُ آَم بير حاب 2

وفي الصحيح: «يا عبادي » إنما هِ َعْمَالْكُمْ أُحْصِيهَا لكم؛ *
أَوَكُمْ إَِام!".

أجرًا؛ يعني : أجرة على صبرهم» شبهاتء هي آيات وأحاديث ولكن ليس لهم بها متمسك لأنهم يفسرونها بغير تفسيرهاء فيأخذون بالمتشابهات» الذي يقع به أهل الزيغ والضلال» دون رده إلى المحكم» فتفسير كلام الله يكون بعضه ببعض؛ وتفسير كلام الرسول يكون بعضه ببعضء هم لا يعملون هذاء
يأخذون بطرف ويتركون الطرف الآخر» فيأخذون الطرف الذي يصلح لهم؛
ويتركون الطرف الذي لا يصلح لهم؛ ولذلك ضلوا وزاغواء «ِقمَ اين في

سا اه رار ل 5

١. 2 الْتِنَةٍ وَآبتعَاء تأوساد» [آل عمران: 7] ويِهمُ زيغ متيعون م تشلبه منهُ
وبحتجون بالحديث القدسي: ديا عبادي» إنما هِيّ أَعْمَالْكُمْ أحْصِيهًا
عليكُمْ؛ ثم أُونكُمْ ! اماه على أنها عوض» والواقع أنها ليست عوضًاء وإنما

هي سبب للسعادة.

و © ©

١(أخرجة مسلم (/78l/97)(.

قالوا: وقد سماها جزاءً وأجرًا وثوابًا؛ لأنه شيء يثوب إلى **
العامل من عمله؛ أي: يرجع إليه؛ قالوا: ويدل عليه الموازنة؛ فلولا تعلق
الغواب بالأعمال عوضًا عليها لم يكن للموازنة معنى» وهاتان الطائفتان
متقابلتان: فالجيريّة: لم تجعل للأعمال ارتباطًا بالجزاء البتّة؛ وجّزت أن
يعذّب الله من أفنى عمره في الطّاعة» وينعّم من أفتى عمره في مخالفته؛
وكلاهما سواء بالنسبة إليه؛ والكل راجع إلى محض المشيئة.

قوله: (لأنه شيء يثوب إلى العامل من عمله)» الثوب هو الرجوع» قال
تعالى: ﴿كَاِدُ جَجَلْنَا آَلِيْتَ مَابَةٌ ناض [البقرة: 18]؛ أي: أنهم كلما ذهبوا
يرجعون إليه» وكلما ذهبوا عنه يرجعون إليه» ويترددون عليه؛ فالثوب هو
الرجوع» والثواب سمي بذلك؛ لأنه يرجع إلى صاحبه.

قوله: (ويدل عليه الموازنة» فلولا تعلق الثواب بالأعمال عوضًا عليها لم
يكن للموازنة معنى)؛ يعني: الوزن وكون الأعمال توزن يوم القيامةء فلو لم
تكن الأعمال عوضًا عن الثواب لما كان للوزن فائدة.

قوله: (وهاتان الطائفتان متقابلتان)؛ أي : الجبرية والقدرية متقابلتان على
طرفي نقيض» بين الإفراط والتفريط .

قوله: (وينعّم من أفنى عمره في مخالفته)» فيجوز عندهم أن يدخل
الكافر الجنةء وأن يدخل المطيع في النارء يجوز هذا عندهم؛ لأن الله يفعل
بمشيئته» لا لحكمة» ولا لسبب» تعالى الله عما يقولون.

قوله: (والكل راجع إلى محض المشيئة)؛ هذا هو السببء فهو راجع
إلى المشيئة.

© © ©

والقدرية: أوجبت عليه سبحانه رعاية المصالح» وجعلت ذلك #
كله بمحض الأعمال» وأن وصول الثواب إلى العبد بدون عمله فيه تنقيص
باحتمال منّة الصدقة عليه بلا ثمن» فجعلوا تفضّله سبحانه على عبده
بمنزلة صدقة العبد على العبدء 0

قوله: (والقدرية)» هذا الطرف الثاني.

قوله: (أوجبت عليه سبحانه رعاية المصالح)؛ ولذلك يقولون: يجب
على الله فعل الأصلح. هذه عباراتهم» يوجبون عليه ويفرضون عليه سبحانه
فعل الأصلح بزعمهم .

قوله: (وجعلت ذلك كله ببمحض الأعمال)» أرجعت هذا إلى الأعمال
لا إلى فضل اللهء ومنّه وكرمه الذي يعطي على الحسنة عشر أمثالها إلى
سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة» إن آله ا يَعْلمْ يِثْقَالَ درو وَإن تَكُ حَسنَةٌ
يُصَمِتهَاب [النساء: 46]» ولو كانت الأعمال عوضًا للجزاء ما استحق أحد
دخول الجنة؛ لأن الأعمال قليلة» والنعم كثيرة» فلو قوبلت النعم بالأعمال ما
صارت الأعمال بالنسبة للنعم شيئًا يذكر.

قوله: (وأن وصول الثواب إلى العبيد بدون عمله فيه تنقيص باحتمال منّة
الصدقة عليه بلا ثمن)» هذا كلامهم في حق الله؛ وأنه لا يعطيهم الجنة
والجزاء تفضلًا منه؛ لأن هذا معناه المنة عليهم وأنهم لم يستحقوا هذا الشيء
وأن الله أعطاهم إياه وتمنن عليهم بذلك». فقاسوه على المخلوق الذي لا
يجوز
له أن يمن على غيره؛ أو يستكثر على غيره.

قوله: (فجعلوا تفضّله سبحانه على عبده بمنزلة صدقة العبد على العبد)؛
قاسوا الله على العبد» فكما أن الله لا يجوز له أن يمن على غيره ويتكثر عليه
ويقول له: أنا عملت لك وأعطيتك وأنا وأناء فقاسوا الله على ذلك ما يعطي
عباده تفضلَا وإنما يعطيهم استحقاقًا لهم عليه؛ كاستحقاق الأجير على
المؤجر.

وأن إعطاء ما يعطيه أجرةً على عمله؛ أحبٌ إلى العبد من أن يعطيه فضلًا
منّه بلا عمل.

فهؤلاء والذين لم يجعلوا للأعمال تأثيرًا في الجزاء البتّة طائفتان *
متحرفتان عن الصّراط المستقيم.

وهو: أن الأعمال أسباب موصلة إلى الثواب؛ والأعمال *
الصّالحة من توفيق الله وفضله. وليست قدرًا لجزائه وثوابه؛

قوله: (وأن إعطاء ما يعطيه أجرةً على عمله؛ أحبّ إلى العبد من أن
يعطيه فضلا مه بلا عمل)» فكون العبد يعطي الآخر مقابل عمله؛ أحسن من
كونه يعطيه بدون عمل؛ لأنه إذا أعطاه بعمله لم يكن له منّة عليه وأما إذا
أعطاه من دون عمل صار له منّة. وصار يذكر هذاء ويقول: أنا فعلت وأنا
أعطيتك» وكذلك الله تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا - عندهم» أنه لا
يعطي الجزاء أو الجنة تفضلاًء وإنما يعطيها استحقاكًا للعبد» فليس لله منّة
في
ذلك .

قوله: (فهؤلاء والذين لم يجعلوا للأعمال تأثيرًا في الجزاء البتّة طائفتان
متنحرفتان عن الضّراط المستقيم) ؛ أي: الجبرية والقدرية طائفتان منحرفتان
عن
الصراط المستقيم الذي هو قول أهل السَنّةَ والجماعة.

قوله: (وهو: أن الأعمال أسباب موصلة إلى الثواب)؛ هذا هو قول أهل
السُنَّة والجماعة» أن الأعمال أسباب موصلة إلى الثواب» لا كما تقوله
الجبرية
ليست أسبابًا» وليست موجبة للثواب كما تقوله القدرية.

قوله: (والأعمال الصّالحة من توفيق الله وفضله)» قال تعالى: «ِبَلِ أَنَهُ

سس د حم
3 8

يمن عل هدس لإينٍ إن كُتُرَ صَحيقِيَ 0 [الحجرات: ١7]؛ فالله هو

.الذي يمن على عباده بالإيمان وبالجنة» وبالأعمال الصالحة

قوله: (وليست قدرًا لجزائه وثوابه)؛ يعني : ليست ثمنًا لجزائه وثوابه؛ فجزاؤه وثوابه أكثر من ذلك وأكثر وأكثرۦ الجنة فيها ما لا عين رأت؛ ولا

بل غايتها إذا وقعت على أكمل الوجوه أن تكون شكرًا على أحد الأجزاء القليلة من نعمه. فلو عذّب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم» ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيرًا من أعمالهم.

أذن سمعت» ولا خطر على قلب بشرء دائمة ومؤبدة؛ عمل الإنسان قليل لو أفناه فى الطاعة لا يقابل الجنة أبدّا» ولكنه تفضّل من الله والعمل إنما هو سبب يوصل إلى الجنة.

قوله: (بل غايتها إذا وقعت على أكمل الوجوه أن تكون شكرًا على أحد الأجزاء القليلة من نعمه) ؛ فالله لا يعطيهم الجنة على أنها مستحقة لهم وإنما · إن كَذَا كان ذ جه ثَانَ #يعطيهم إياها شكرًا على أعمالهم؛ يشكرهم 8 تير تَتَكنا © الإنسان: 1 «تَن شك عَلِيمٌ ©)» [التغابن:

له (أن تكون شكرًا)؛ أي: شكرًا من الله ب؛ فالله شكور يشكر١٧[« لعبده.

قوله: (قلو عذّب أهل سماواته وأهل أرضه لعذّبهم وهو غير ظالم لهم؛ ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيرًا من أعمالهم)ء. هذا حديث عن الرسول كل ولفظه: «لو أن الله عَذْبَ َمل سَمَاوَاتِهِ وَأَمْلَ أَرْضِهِ لَعَذَبَهُمْ وهو

غَيْرٌ ظَالِم لهم" كيف؟ لأنهم لم يقوموا بحقه على التمام» فلا أحد يقوم بحق اللهُعلى التمام أبدّاء حتى الرسول ِل يقول: «لًا أحصِي ثَاءً عَلَيْكَ أنت كما أَنْتَيْتَ على نَفْيِك". فلو أن الله حاسبهم على نعمه وعلى فضله وإحسانه لهلكوا جميعًا ولكن الله يتفضل يل ويشكر على القليل» ويضاعف الحسنة إلى عشر أمثالها إلى سبعماثة ضعف إلى أضعاف كثيرة» وإلا لو حاسب العباد لهلكواء ولكنه سبحانه يتفضل عليهم» والقليل يضاعفه كثيرًا فضلًا منه وإحساتّاء فلو عذبهم كلهم لاستحقوا العذاب؛ لأنهم لم يقوموا

() أخرجه أبو داود (4761). (؟) أخرجه مسلم (483).

أرب ب ا أ ا ا أب لا أ أب لي ا ل أب ليد أب ليد يد أب يا ا أ م أي دام أي لد
دا ابد كا أ د ا ا لي ايد د اي د سك د ايدام أ اما اس ا د اس ا ا ل

بحقه على التمام؛ لأن حق الله لا يمكن لأحد أن يقوم به حتى رسول الله كي
يقول: «لا أخصِي تَنَاءً عَلَيْكَ أنت كما أَنْتَيْتَ على نَفْسِكَ»؛ ثم قال: «وَلَوٌ
رَحِنَهُ» لَكَانتٌ رَحْمَتَةٌ خَيْرًا لهم من أَعْمَالِهِمْ» فلو فلو رحمهم فرحمته واسعة
يله
فهذا معنى الحديث» وليس معناه كما قالت الجبرية؛ لو عذبهم لكان غير
ظالم
.لهم لأنه يفعل ما يشاءء ا ولكنه غير ظالم لهم؛ لأنهم لم يقوموا بحقه
ولم يوفوا نعمه التي أنعمها عليهم» فمن الذي خلقهم؟ من الذي وفقهم؟ من
الذي رزقهم؟ من الذي هداهم؟ هو الله ل

© © ©

وتأمّل قوله تعالى: «وَيَلَكَ لَكَتَّدٌ آل أو بِنَا كُترٌ تَتْتَشْرَبَ
مع قوله كيةٍ: ل(لَنْ يَدْخُلٌ ُ ا الْجَنَّة 1 «[الزخرف: 77] 60
تجد: الآية تدل على أن الجنان بالأعمال» والحديث ينفي دخول الجنّة
بالأعمال. ولا تتافي بينهما؛ لآن توارد التفي والاثبات ليس على محل
١١ الجنّة بمجرّد الأعمال» ردَا على واحدٍ فالمنفي باء الثمنيّة واستحقاق

رجع المؤلف إلى الجواب عن شبهتهم في الباء؛ ا كيف توفق بين
«(© الآية والحديث» الآية: «وَيلَكَ لَلْنَّةُ الى أنْرِنْتُمَا بِنا كُتْرٌ شتفت
وظاهرها أن الجنة ثمن» والحديث يقول: «لَا يَدْخُلُ 1 2 الْجَنَّةَ بعَمَلِه؛
فالحديث والآية مختلفان في الظاهرء ولكن ليسا متعارضين؛ لأن التعارض
إنما يكون إذا توارد الشيئان على محل واحد؛ أما إذا كان هذا شيء في
طريق؛ وشيء في طريق آخر فلا يتعارضان» وكذلك في الآية والحديث» الآية
تعني شيئًا؛ والحديث؛ يعني: شيئًا آخرء «وَيَلِكَ 2 ال أرنشتر : ما كُتْرَ
تتتَتْك (08»؛ أي: بسبب ما كنتم تعملون» «لَا يَدْخُلٌ أَحَدٌ مِنْكُمْ الْجَنَّة
بِعْمَلِه»؛ أي: بالاستحقاق وبالثمنية» فبينهما فرق »َع الله وكلام رسوله لا
. يتعارضان أبن

قوله: (تجد: الآية تدل على أن الجنان بالأعمال. والحديث ينفي دخول
.الجنّة بالأعمال)؛ من هنا يحدث الإشكال في الظاهر

.قوله: (ولا تنافي بينهما) هذا هو الجواب

قوله: (لأن توارد التفي والائبات ليس على محل واحدٍ)؛ بل الآية في

شيء» والحديث في شيء آخر فلم يتعارضاء وهذا هو الذي يستدعي منا أن

١(انظر: بمعناه البخاري (44 16 -10445): ومسلم (181)» _وجاء في«
المستد
.«بلفظ : «لَا يَدَحْلُ أَحَدٌ ِنْكُمْ الْجَنَّةَ بِعَمْلِهِ (؟747)

تنقيضًا”'". والباء المثبتة التي وردت في القرآن هي باء السببيّة؛ ردَا على القدريّة الجيريّة الذين يقولون: لا ارتباط بين الأعمال وجزائهاء ولا هي أسباب لهاء وإنما غايتها أن تكون أمارة. والسُنَّة النبويّة هي: أن عموم قدرته لا ينافي ربط الأسباب بالمسببات وارتباطها بهاأ"". وكل طائفة من أهل الباطل تركت نوعًا من الحق 0

نتفقه في النصوص» وأن نتعلم ولا نتعجل ونأخذ المتشابه. أو نأخذ بطرف ونترك الطرف الثانيء لا بد أن المؤمن يتعلم ويقارن بين النتصوص» ويعلم أنها لا تتعارض أبدّاء لكن تحتاج إلى فقه وإلى تنزيل كل دليل على محله؛ وهذا يحتاج إلى فقه وإلى علم.

قوله: (والباء المثبتة التي وردت في القرآن هي باء السببيّة)» فالباء مختلفة في الموضعين.

قوله: (وإنما غايتها أن تكون أمارة)؛ يعني : علامة على الشيء وليست سببّاء؛ لأن الجهمية ليس عندهم أسباب ولا علل ولا حكم.

قوله: (والسُنَّة النبويّة هي: أن عموم قدرته لا يناقي ربط الأسباب بالمسببات وارتباطها بها)» عموم قدرته لا تعارض بينها وبين ربط المسببات بأسبابها؛ فالله قدّر الأشياء وجعل لها أسبابًا تمشى عليهاء فإذا وجدت الأسباب وجدت المسببات» وإذا لم توجد الأسباب لم توجد المسببات .

قوله: (وكل طائفة من أهل الباطل تركت نوعًا من الحق)ء فكل طائفة من أهل الباطل معها بعض الحقء ومعها بعض الضلال» فجمعت بين حق وباطل في مذهبها . ,

فالجبرية عندهم حق» وهو : أن الله له مشيئة وله قدرة» وله إرادة هذا

(9 في نسخة: والسُنّة النبوية هي أن عموم مشيئة الله وقدرته لا تنافي ربط الأسباب
بالمسبيات وارتباطها بها .

فإنها ارتكبت لأجله نوعًا من الباطل؛ بل أنواعًاء فهدى الله الذين آمنوا
.'"*لما اختلفوا فيه من الحقى بإذنه

حقء ولكن ليس معنى هذا أن العبد ليس له مشيئة» ولا قدرة» ولا إرادة؛
.فهذا باطل

القدرية قالوا: العبد له مشيئة وله إرادة مستقلة. وكون له مشيئة وله إرادة
هذا حق عند المعتزلة» ولكن كونها مستقلة ولا علاقة لها بإرادة الله ومشيئة
الله
.فهذا باطل

فأهل السُنَّةَ جمعوا بين هذا وهذاء تركوا الباطل وأخذوا الحق من كل

قوله: (فإنها ارتكبت لأجله نوعًا من الباطل؛ بل أنواعًا)؛. وهذا عام في
كل الطوائف» فكل الطوائف يكون عندها حق من بعض الوجوه. ولكن عندها
. باطل

قوله: (فهدى الله الذين آمتوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه) هذا هو
المذهب الوسطء مذهب أهل السُنَّة والجماعة» هذه فوائد عظيمة وأصول
.عظيمة من أصول العقيدة

© ل

)١(في نسخة: فهدى الله أهل السُنّةَ لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه .

الصتف الثالث: الذين زعموا أن فائدة العبادة رياضة التفوس *

<2

ما زال الشيخ كته يبين أنواع الناس في العبادة». وقد ذكر أنهم أربعة
أصناف:

الصتف الأول: الذين يقولون: إن العبادة لا حكمة لهاء ولا فائدة فيهاء
وإنما تُفعل لمجرد أن الله أمر بها وشاءها؛ فالله له أن يأمر بالتوحيد والطاعة
«وله أن يأمر بالشرك والكفرء والعصيات؛ لأنه يفعل ما يشاء. هكذا يقولون
«فله الإرادة» وله المشيئةء ولا حكمة في العبادةء وإنما نفعلها لمجرد الأمر
وليس لنا اختيار؛ بل نحن مجبرون عليهاء وهذا قول الجبرية وهم أضل
خلق الله والعياذ بالله» قول الجهمية الجبرية.

الصنف الثاني: من يقول: ليس لله إرادةٍ ولا مشيئة في أفعالنا وعباداتنا؛
بل نحن نفعلها بإرادتنا ومشيئتنا استقلالاًء ولم يقدرها الله» ولم يشأها ولم
يخلقهاء وإنما نحن نفعلها باختيارنا من غير أن يكون لله ل إرادة ولا تقدير
فيها . وهذا قول القدرية من المعتزلة ومن وافقهم من نفاة القدر» وهذا
ضلال
واضح والعياذ بالله .

الصتف الثالث: الصوفية الذين يقولون: نحن لا نفعل العبادة للثواب
ولا للعقاب» ولا نترك المعاصي لأجل أن نسلم من العقاب» ولا نفعل
الطاعة من أجل أن ننال الثواب» وإنما نفعلها نتروض بها أنفسنا ونربيها حتى
«تصفوا وتأتيها الفيوضات من الله يِينْ. وبعضهم يقول: إتما تعيده لأننا تنحبة
لا لأننا نخاف من ناره» أو نطمع في جنته. هذا قول الصوفيةء الذين يقولون:
إنا نعبده لمجرد المحبة» للا خوف ولا رجاء» والذين يقولون منهم: إنما تعبده
لتصفو نفوسنا وتتهذب أخلاقناء نفعلها من باب الرياضة النفسية» حتى تأتي
الفيوضات من الله 38 حتى أن بعضهم يتطلع أن يكون نبيًّا؛ ويتطلع إذا
روّض نفسه للنبوة» ويزعمون أن النبوة مكتسبة وليست اصطفاء واختيارًا
من الله ##. هذا قول الصوفية.

واستعدادها لقيض العلوم والمعارف عليها وخروج قواها من قوى التفس السَبعيَّة والبهيميّة؛ ا

الصتف الرابع: أهل السُنَّةَ والجماعة» الذين يقولون: نحن نعبد الله محبة وخوفًا ورجاء وطمعًا في ثوابه وخوفًا من عقابه وامتثالًا لأمره واجتنابًا

هذا ملخص مواقفهم من العبادة»؛ وقد سبق الصنفان الأولان» وننتقل الآن إلى الصنف الثالث وهم الصوفية.

قوله: (واستعدادها لفيض العلوم والمعارف عليها)» من أين تفيض العلوم والمعارف عليها؟ بعضهم يقول: تفيض من العقل الفعال» لا يقولون: من الله؛ بل يقولون: من العقل الفعال. هؤلاء هم غلاة الفلاسفة وقد قلدهم بعض الصوفية» ومنهم من يقول: إن الفيوضات من اللهء ولكننا لا نريد ثوابًا ولا عقابّاء وإنما نريد تهذيب نفوسنا فقط حتى يأتيها الفيض من الله يق والعلوم من الله ؛ ولذلك لا يطلبون العلم؛ ويزهدون في طلب العلم ويتهون عنه» ويتلفون الكتب لو ظفروا بها؛ لأنها لا فائدة منهاء هكذا يقولون» وأنها تعوقهم عن العبادة» طلب العلم يعوقنا عن العبادة» ولسنا بحاجة إلى طلب العلم» فنحن إذا صفينا نفوسنا نزل علينا العلم اللدني؛ العلم من الله من دون طلب للعلم. هكذا يفعل الشيطان ببني آدم إلا من رحم الله كل .

قوله: (واستعدادها لفيض العلوم والمعارف عليها) من الله أو من العقل الفعال.

قوله: (وخروج قواها من قوى النفس الَبْعيّة والبهيميّة)؛ السبعية نسبة إلى السباع» فهم يقولون: إن الإنسان فيه طبيعة سبعية؛ وهي حب التسلطء وهذا صحيح» ففيه صفة السباع؛ حب التسلط والقهر والغلبة» وفيه أيضًا صفة البهيمية من الشهوات والرغبات» وحب الملذاتء ولكن إذا من الله عليه بالإيمان ذهبت عنه هذه الصفات الذميمة؛ فالسبعية: هي التسلط والطغيان؛

فلو عطلت العبادة لالتحقت بنفوس السباع والبهائم؛ فالعبادة تخرجها إلى مشابهة العقول» فتصير قابلةٌ لانتقاش صور المعارف فيها.

والتخبر كالسباع» والبهيمية التي هي الشهوانية؛ ولا يكون للإنسان هم إلا ثيل

0 0

شهواته.
قوله: (فلو عطلت العبادة لالتحقت بنفوس السباع والبهائم؛ فالعيادة تخرجها إلى مشابهة العقول» فتصير قابلةٌ لانتقاش صور المعارف فيها)ء هذا

- © ©

** وهذا يقوله طائفتان :

إحداهما: من يقرب إلى الإسلام والشرائع من الفلاسقة القائلين * بقدم العالم» وعدم الفاعل المختار .

والطائفة الثانية: من تفلسف من صوفيّة الإسلام ويقرب إلى * الفلاسفة» فإنهم يزعمون أن العبادات رياضات لاستعداد التّفوس للمعارف العقليّة ومخالفة العوائد.

هذه مسألة قدم العالم» يقولون: هذا العالم لم يوجد نتيجة أن له خالق وأوجده بعد العدم؛ فالعالم قديم من الأصل؛ فالعالم هذا ليس له بداية؛ تعالى الله عما يقولون.

ومعلوم أن العالم له بداية. فقد كان بعد أن لم يكن ؛ أوجده الله يلك له خالق وله مبدع» هم يقولون: لا؛ بل هو أصله قديم. فهؤلاء غلاة الفلاسفقت ومنهم ابن سينا .

قوله: (وعدم الفاعل المختار)؛ أي: ليس له فاعل مختارء ولا موجدء

قوله: (والطائفة الثانية: من تفلسف من صوفيّة الأسلام ويقرب إلى الفلاسفة)؛ أي: العباد المسلمين الذين اشتغلوا بالعبادة وترويض النفس وتركوا طلب العلمء وهذا هو الغالب على الصوفية من المسلمين الذين أخذوا طريق العباد وتركوا العلم» وقصدهم من العبادة تصفية النفوس وترويضها للإلهام والفيوضات والعلوم وهكذاء وهم يتطورون فبعضهم وصل إلى الإلحاد كابن عربي والحلاج وابن الفارض» فمد وصلوا إلى حد الإلحاد والعياذ باللل ومنهم من دون ذلك.
العقليّة ومخالفة العوائد»»؛ هذه قصد العبادة عندهم .

ثم من هؤلاء من لا يوجب العبادة إلا بهذا المعنى, فإذا حصل لها ذلك بقى متحيرًا فى حفظ أوراده والاشتغال بالوارد عنها.

قوله: (ثم مِن هؤلاء من لا يوجب العبادة إلا بهذا المعنى ؛ فإذا حصل لها ذلك بقي متحيرًا في حفظ أوراده والاشتغال بالوارد عنها). إذا وصل إلى ما يقول من صفاء النفس فهل يستمر في العبادة أو يتوقف لأنه وصل للغاية؟ بعضهم يقول كذاء وبعضهم يقول: نحن بحاجة إلى الأوراد وإلى العبادة ولو وصلنا إلى هذه المرتبة.

© © .©

ومنهم: من يوجب القيام بالأوراد وعدم الاخلال بهاء وهما #

أحدهما: من يقول بوجوبها حفظًا للقانون. وضبطًا للتاموس #.

والآخرون: يوجبونها حفطًا للوارد» وخوفًا من تدرّج النّفس #
بمفارقتها إلى حالتها الأولى من البهيميّة.

فهذه نهاية أقدامهم في حكمة العبادة وما شرعت لأجله #.

ولا تكاد تجد في كتب المتكلمين على طريق السلوك غير طريق #
من هذه الطرق الثلاث» أو مجموعها.

قوله: (ومنهم: من يوجب القيام بالأوراد وعدم الاخلال بها)؛ أي:
يستمر على العبادة» ولا يتركهاء وكذا الأوراد يستمر عليها ولكن على المنهج
الذي سبق.

قوله: (وخوفًا من تدرّج النتفس بمفارقتها إلى حالتها الأولى من
البهيميّة). يقولون: لو تركنا العبادة نخشى أن نرجع إلى البهيمية والسبعية.
فهم ملازمون العبادة لأجل أن لا تعود عليهم النفوس البهيمية والسبعية.

قوله: (فهذه نهاية أقدامهم)؛ أي: سيرهم؟؛ يعني : (في حكمة العبادة وما
شرعت لأجله) هذا عند الصوفية والفلاسفة.

قوله: (ولا تكاد تجد في كتب المتكلمين على طريق السلوك غير طريق
من هذه الطرق الثلاث» أو مجموعها). فكتب الصوفية كلها مشحونة بهذا
الكلام» وليس فيها شيء من كلام أهل العلم وأهل البصيرة.

ج © ©

والصنف الرّابع: هم القاثلون بالجمع بين الخلق والأمر ء والقدر *# والسبب. فعندهم أن سرّ العبادة وغايتها مبني على معرفة حقيقة الالهيّة؛ ومعنى كونه - سبحانه - إِلّهًا» وأن العبادة موجّب الالهية وأثرها ومقتضاهاء «وارتباطها كارتباط متعلق الصفات بالصفات» وكارتباط المعلوم بالعلم والمقدور بالقدرة. والأصوات بالسّمعء؛ والإحسان بالرّحمة»؛ والعطاء بالجود؛ فعندهم من قام بمعرفتها على النحو الذي فسرناها به لغةٌ وشرعًاء مصدرًا وموردًا استقام له معرفة حكمة العبادات وغايتهاء وعلم أنها هي الغاية التي خُلقت لها العباد.

قوله: (الصنف الرابع)» هذا الصنف الذي على الحق.

قوله: (أن سرّ العبادة وغايتها مبني علي معرفة حقيقة الالهيّة؛ ومعنى كونه سبحانه - إلا ؛ فهم يعبدون الله تألًا لله تيك وتعبدًا ومحبة؛ وطاعة؛ هذا معنى الألوهية» العبادة معناها التأله والتعبدء والألوهية هى التعبدء والإله هو المعبود. ١

قوله: (وأن العبادة موجّب الالهية وأثرها ومقتضاها). العبادة مقتضى الألوهية» أنك تعبد الله لأنه إلهك وربك وخالقك؛ وأنه أمرك» فهم يجمعون بين الخلق والأمرء فهو خلقك وأمرك بهذا .

قوله: (وارتباطها كارتباط متعلق الصفات بالصفات)»؛ كتعلق آثار الصفات بالصفات» فالصفات لها آثار.

قوله: (فعندهم: من قام بمعرفتها على النحو الذي فسرناها به لغةٌ وشرعًا مصدرًا وموردًا استقام له معرفة حكمة العبادات وغايتها) استقام له معرفة حكمة العبادات وغايتها المعرفة الصحيحة.

قوله : (وعلم أنها هي الغاية التي خُلقت لها العباد)» قال تعالى : يرما عَلَتْتٌ لَكْنَ بآلان إل لَبْدُمْ © [الذاريات: 57].

ولها أرسلت الرّسل» وأنزلت الكتب؛ وخلقت الجنّة والتّار. وقد #
«© صرّح 8# بذلك في قوله: «رَّا َلَتتُ لَنْنَ لاض إلْ م
[الذاريات: 87].

فالعبادة هي التي وجدت لأجلها الخلائق كلها. كما قال تعالى * :
أبحسب الإشن أن ينك سلى 0 [القيامة: 6+*]4 أي : مهملا# .

قال الشافعي تِنَه: «لا يؤمر ولا يتهى *#».

وقال غيره: «لا يئاب ولا يعاقب #».

قوله: (ولها أرسلت الرّسل)؛ فالرسل أرسلت لبيان العبادة والأمر بها؛
لأن الناس لو تركوا لما عرفوا العبادة الصحيحة من العبادة الباطلة؛ فالعبادة
لا بد أن تكون على مقتضى ما جاءت به الرسلء وليس على مقتضى
استحسان
النفوس والعادات والتقاليد» وإنما الله رسم لنا كيف نعبده بما أرسل من
الرسل وأنزل من الكتب.

قوله: (التي خلقت لها العباد)» قال تعالى: «ِإرمَا خَلَقْتٌ لَكْنَ وَآلإضَ إلا
تدم (20)» [الذاريات: 57].

قوله: (ولها أرسلت الرّسل)؛ قال تعالى: «وَمآ ليسكا ين قَبْللى ين
تسل إلا فى كد أن لآ إل إلآ آنا تَعْبُنُونِ ©4 [لأنياء: .]701

قوله: (وأنزلت الكتب)» قال تعالى: يون أَرينَا إل" لِتَبْدُا أله حِمِينَ لَه
لَك [البينة: 8]؛ فالعبادة أمر من الله #8 وليست وفق الهوى .

قوله: (وخلقت الجنّة والتار)؛ أي: الجزاءء فمن قام بالعبادة على ما
أمره الله فله الجنة؛ ومن انحرف فله النار. هذا هو المعنى الصحيح والفهم
الصحيح للعبادة.

قوله تعالى: «رَمَا عت لَلْنَ وَلإِسَ إل لبد (©4؛ فالحكمة من
خلق الخلق هو العبادة؛ فاللام لام التعليل» ما خلقهم عبثَاء؛ قال تعالى:
بتر أَكَمَا لق عَم م نا ل" تُجَعْنَ 1 [المؤمنون: ١١1]ء ما

٠١ شرح تجريد التوحيد المقيد #ال

وهما تفسيران صحيحان» فإن الثواب والعقاب مترتبان على الأمر *
والتهي ؛ والأمر والنّهي هو الطلب للعيادة وإرادتها.
. وحقيقة العبادة: امتثالهما *

خلقهم عبثًا بل لعبادته» ليعبدوه» وهل نفع العبادة لهم أم لله؟ نفعها لهم هذا
من رحمته بهم» أنه أمرهم أن يعبدوه لأجل أن يرحمهم ويكرمهم» فالمصلحة
عائدة لهم» والله أمرهم بها رحمة لهم» وإحسانًا إليهم» فين في هذه الآية أن
الحكمة من خلق الخلق هو أن يعبدوه.

قوله تعالى: «أبحب الإشن أن يز سلى © [القيامة: 1*]؛ يعني: لا
يؤمر ولا يُنهى» هذا حسبان باطل؛ بل يؤمر وينهى لمصلحته هو فيؤمر بالخير
وينهى عن الشر لمصلحته هو.

قوله: (وهما تفسيران صحيحان)» فهو يؤمر وينهى من أجل أن يُئاب
. ويُحاقب

قوله: (فإن الثواب والعقاب مترتبان على الأمر والنّهي)؛ فلا يكون ثواب
وعقاب إلا على الأمر والنهي.

قوله: (وحقيقة العبادة: امتثالهما)؛ أي: امتثال الأمر والنهى» فيمتثل
. الأمر فيطيع» ويمتثل النهي فيجتنب المعاصي

. © ©

ولهذا قال تعالى: «رَيَتَكَرُنَ فى خَلْقِ أَلَموّتٍ وَالْأَرّضِ رَبَنَا ما #
١14١[. :خَلَقَتَ هذا بطل لآل عمران
«# وقال تعالى: «َوما خَلَقنَا السَموَتِ وَالْسَ وما يتآ إلا بِلْحَي
الحجر: نٌْ]
حرا ماص ا 7 ل مر سحب و ب
وقال تعالى: «(وخلقَ أله السموتٍ والأرض بال ولشْجْرَى كل نفس *
.يما كَمَبَتْ [الجاثية: ؟7]

قوله تعالى : «رَيَتَكَردَ فى عَلْق التَبَوّتٍ فَالْأَرض رَبَنَا مَا خَلَنْتَ مَنَا بطلا
١ قال تعالى: 32 فى عَلق التَحَوّتٍ وَالْأضٍ رَحْيَتف آللِ14[:آل عمران]
:واثَبارِ لَب [آل عمران 190]؛ أي: دلالاتً «تأرد الْألبٍ 4 أي
لأصحاب العقول» فمحل الشاهد: لما خَلَقْتَ هذا بطكَ»؛ يعني: عبنا؛
فخلق السموات والأرض لحكمة» وهي عبادته وحده لا شريك له [آل
عمران: 191]ء وقال تعالى: «وَينّ تَايِيَدِ آلْبِلْ َآلَّهَارُ وَالشّحَسٌ “ ٠
التَذٌ لا تَجْدا | للقن وَل لِلْقَرِ وَسْجُنُأ لَه الى خَلَتَهْتَ إه كت
تْبُدُوت 0 [فمات: 77] فخلق السموات والأرض لحكمة عظيمة؛
أن يقوم العباد بعبادة ربهم» ويتفكرون في خلق السموات والأرضء ولا
ينظرون إليها للتسلي» أو للنزهة» وإنما ينظرون إليها نظر اعتبار واتعاظ
واستفادة؛ وتعظيم لله 8# وإلا يكون كالذين قال الله 7 نكل يَنَ َيه
في التَموّتِ وَالْأَيْضٍ روتَ عَلهَا تَكُمْ عَنْا تُعْرِضُونَ ©) وَنَا يُؤْينُ أخرهم يال
١١٠[. يرسف: ق١٠] إلا ثم تُثْرِزُ 0

قوله تعالى: «وَمَا خَلَقنَا اَلسَنوَتِ وَالْأسَ رَنَا بَتَبنَآ إلا بِلْعَنّ» [الحجر:
دما ؟ أي: إلا لحكمة وليس عبثًا؛ بل بحكمة وهي أن يعبد وحده لا شريك
له ل تعالى: «إوَمَا عَلَقنا الك وَالْسَ رَمَا بَيُنَا جَطِلاٌ ذَلِكَ عن الِب كَتاً نى َيل

اذب أ ص ألنار 0 [ص: يووا وقال: ار تجمل آلَنِنَ انا وصاو
ألصَلِحَتٍ َالْتُنْيِيَ في الأضٍ أ تَجَمَلْ آلْنَتِينَ كَالْجَارِ 08 [ص: 78]ء فهذا ظن

فأخبر الله تعالى أنه خلق السموات والأرض بالحق المتضمّن #
. أمره ونهيه وثوابه وعقابه. فإذا كانت السموات والأرض إنما خلقت لهذا
وهو غاية الخلق». فكيف يقال: إنه لا غاية له ولا حكمة مقصودة. أو إن
ذلك لمجرّد استئجار العمّال حتى لا يتكدّر عليهم الثواب بالمنّة؛ ل

الذين كفروا» ولكن ظن الذين آمنوا أن الله ما خلق السموات والأرض باطلّاء
وإنما خلقهما لحكمة» ومنفعة ومصالح» وأعظم ما يُستفاد هو الاتعاظ
والاعتبار؛ فإذا نظرت إلى هذا الخلق دلّك على أن له خالقًا حكيماء مدبرّاء
قادرًا على كل شيء؛ وليس بعبث أو صدفة؛ أو طبيعة. لا فهذا مخلوق
لحكمة ولغاية ولمنفعة ولقائدة.

قوله تعالى: «يَتَكِنَ قد السَعوّتِ وَلَيْقَ رِليَ»؛ يعني: ليس بالباطل
والبث» «وَرَلْجْرَ كٌ تف بِمَا كَسَبَتَ [الجاثية: 17]» هذه الحكمة» أن الله
يجزي كل نفس بما كسبت نتيجة لخلق السموات والأرض؛ فالمؤمن يجزى
بالجنة» والكافر يجزى بالنار؛ بما كسب.

قوله: (فأخبر الله تعالى أنه خلق السموات والأرض بالحق المتضمّن أمره
ونهيه وثوابه وعقابه). هذا هو الحقء أن يأمر وينهى ويثيب ويعاقب.

«قوله: (فإذًا كانت السموات والأرض إنما خلقت لهذا وهو غاية الخلق
«فكيف يقال: إنه لا غاية له ولا حكمة مقصودة)؛ هذا رد على الطائفة الأولى
وهم الجبرية الذين يقولون: إن الله لا يأمر لحكمة؛ ولا ينهى لحكمة؛ وإنما
يأمر وينهى لمجرد المشيئة والإرادة.

قوله: (أو إن ذلك لمجرّد استئجار العمّال حتى لا يتكذّر عليهم الثواب
بالمنّة)» كما يقوله القدرية؛. لمجرد استشجار العمال من أجل أن يعطيهم
أجرهم استحقاقًا لهم وليس من فضل الله عليهم؛ وإنما هم استحقوه
على الله 38 فقد استحقوا على الله هذا الشيء كما يستحق الأجير الأجرة

أو لمجرّد استعداد النفوس للمعارف العقلية وارتياضًا لمخالفة العوائد؟!.

على المستأجر» ولا منة له فى ذلك» لا منة للمؤجر على الأجير» فلا منة للخالق على الخلق إذا أثابهم؛ كذا يقولون قبحهم الله .

قوله: (أو لمجرّد استعداد النفوس للمعارف العقلية وارتياضًا لمخالفة العوائد؟!) هذا القول الثالث» فقد عرج المؤلف على الأقوال الثلاثة.

© ©

وإذا تأّل اللبيب الفرق بين هذه الأقوال» وبين ما دلّ عليه #
صريح الوحي؛ علم أن الله تعالى خلق الخلق لعبادته الجامعة لكمال
محبّته ؛ مع الخضوع له والانقياد لأمره.

فأصل العبادة: محبّة الله؛ بل إفراده تعالى بالمحبّة؛ *

قوله: (وإذا تأمّل اللبيب الفرق بين هذه الأقوال..) إذا تأملت هذا تبين
لك الحقء وهو أن الله خلق الخلق لعبادته» قال تعالى: «إرَمَا خَلَتَتُ لَإنَ
والإضى إل ُو (0©) [الذاريات: 57]» لا لمجرد المشيئة والإرادة» ولا لأن
الناس لا يرتبطون بإرادة الله وقدرته» وإنما يفعلون العبادة لمجرد أنهم
يريدون
الأجر عليهاء والثواب عليها كالأجير» والآن نخلص إلى ما هي العبادة؟
فالعبادة هي غاية الحب مع غاية الذلء غاية الحب لله؛ مع غاية الذل لله
والخضوع له» فلا يكفي الحب من دون تذلل؛ ولا يكفي التذلل من دون
محبةء فلا يكفي واحد دون الآخرء فأنت تحب الزوجة؛ وتحب المال؛
وتحب الصديق» وتحب الوالدين» ولكن لا تذل لهي هذا ليس عبادة. هذه
«محبة طبيعية» ولا تذل من غير محبة» كما تذل الجبابرة والملوك والطغاة
هذه ليست عبادة» فهذا ذل من دون محبة فأنت تبغضهم؛ ولكن تخاف منهم
فتذل لهم»؛ فلا عبادة من دون هذين الأمرين غاية الحب» مع غاية الذلء قال
ابن القيم تٌلَثهُ في النونية:
وعبادة الرحمن غاية حبه مع ذل عابده هماقطبان
وعليهما فلك العبادة دافر ما دار حتى قامت القطبان
ومداره بالأمرأمر رسوله لا بالهوى والنفس والشيطان
فهذه هي العبادة.
قوله: (مع الخضوع له والانقياد لأمره)» هذا هو الذل لله كن .
قوله: (فاصل العبادة: محبّة الله؛ بل إفراده تعالى بالمحبّة)» فلا يجوز
أن يشرك معه أحدًا في المحبة التي معها ذل وخضوع» لا يجوز هذاء أما

فلا يحب معه سواه» وإنما يحب ما يحبّه لأجله وفيه ؛

المحبة من دون ذل نعم يوجد هذاء أو ذل من دون محبة يوجدء ولكن لا يسمى عبادة.

قوله: (فلا يحب معه سواه)؛ أي: محبة العبودية؛ فمحبة العبودية لا تقبل الاشتراك» فلا تحب أحدًا كمحبة الله» قال تعالى: رمك لتاب تن يتَخِذٌ بين ون آّه أَنْدَادًا ينهم كنتب آله تَآِنَ ءامنا لَدٌّ حُيًّا بتو [البقرة:] فهذا فيه بيان أن من أشرك مع الله في المحبة» محبة العبودية التي08٠ هي حب وذلء فإنه يكفر بذلك» «إوَينك ألنَاسٍ من يَتَخِذٌ ين ثُنٍ أنه أَنْدَادَا»؛ يعني: شركاءء؛ «ييُهُمَ كتب آذَه؟»؛ فالمشركون يحبون أصنامهم.؛ ما

مع الله 8# في ذلك «وَكر برَى الَينَ طَلَيمَا إذ يَرَوْنَ آلعَذَابَ أن الف إل جَمِيما

فأ أله كَدِيدُ لتاب تَبَيَاً الي أتَيِمُّا بن الأذيك أتَبَما وَبَأَنَا ألكتَابٌ وَتَتٌ به بات © [البقرة: فت 117]؟ أي: انقطعت المحبة التي عبدوهم من أجلهاء وعادوهم؛ انقلبت عداوق رادا خيْرَ اناس كاتا م عدا ات لذن 0 قال تعالى: «إثما آتتَدٌ قن ثُن الله أَقْثِنَا مَوَدَة 13 بعضًا فَأونتَكُم آلنَّارُ وَمَا لح بن تَمِريت 4 [المنكبوت: *7]» ولا تبقى إلا محبة الله يل. قال تعالى: «الأخلا يَتَبِدٍ بَتشْهُر لبَعض حَدُر إلا الْمتَقِيتَ (» [الزخرف: 77]» هذه التي تبقى» حب الله وحب أولياء الله 8 . فمحبتهم لله وفي الله هذا الذي يبقى

قوله: (وإتما يحب ما يحبّه لأجله وفيه)» فهو يحب من يحب من المخلوقين من أجل اللهء وفي الله» لا مع الله وإنما في الله ومن أجل الله؛ والمتحابون في الله يكونون على منابر من نور يوم القيامة» فالمتحابون في الله الذين لا يتحابون من أجل الدنيا ومن أجل القبلية والأنساب» وإنما يتحابون من أجل الله وفي الله» هذه المحبة المثمرة المفيدة.

كما يحب أنبياءه ورسله وملائكته؛ لأن محبّتهم من تمام محبّته؛ وليست كمحبّة من اتخذ من دوته أندادًا يحبّهم كحبّه.

وإذا كانت الح لد هي حفيقة عبوفك وسرداء بي إنما تتحقق * باتّباع أمره واجتتاب نهيه» فعند اّباع الأمر والنّهي تتبيّن حقيقة العبوديّة والمحبّة.

قوله: (كما بحت أنبياءه ورسله وملائكته)؛ فمحبة الأنبياء والرسل والملائكة والصالحين» هي من أجل الله ومحبة في الله 48 ففرق بين المحبة مع الله» والمحبة في الله. ا

«قوله: (لأن محبّتهم من تمام محبّته)» فهو ما أحبهم إلا لأن الله يحبهم فهو يحب من يحبه الله ويحب ما يحبه الله كين من الأقوال والأعمال» هذه هي العبادة.

قوله: (وليست كمحبّة من اتخذ من دونه أندادًا يحبّهم كحبّه) ؛ أي:

قوله: (وإذا كانت المحبّة له هي حقيقة عبوديّته وسرّهاء فهي إنما تتحقق باتّباع أمره واجتناب نهيه)» فلا يكفي مجرد المحبة؛ بل لا بد من اتباع أمره؛ إذا كانت محبة لله» ويحب الله فلا بد أن يتبع ما أمر الله به ويترك ما نهى الله عنه» فلا يكفي أن يقول: أنا أحب الله ولا يضرني أني لا أصلي ولا أصوم وأفعل ما أريد! فهذا كذاب ولا يحب الله الذي يحب الله يتبع ما أمر الله ب وما لهى عنة؟ ويتيع رسله؛ قل إن كُمر شن أله تَتيعَنِ 8 كم أله وبنير لكر يُوْيّ تَآتَهُ غَمْرُ نَسِتٌ © م لعا نه رالعْب زه كنا لد له لَ ف
؛4 فمحبة الله ليست مجرد دعوة؛ بل هي[١ 77 :آل عمران] الْكَضِنَ ليد ©4
قيقة علامتها اتباع الرسول 88» ثمرتها: نيكم أنه تَبَنيز لك تُفير.

قوله: (فعند اتباع الامر والتهي تتبيّن حقيقة الدب والمحبّة)؛ فالأمر والنهي هو الذي جاء به الرسول كَية.

ولهذا جعل 8# باع رسوله كل عَلَمًّا عليها وشاهدًا لهاء كما #
قال تعالى: يِمٌ إن كُنْرْ شُ أنه تَنَمْنِ يُمِبَكُ؛ آنَد» [آل عمران: “ل
فجعل اثباع رسوله كي مشروطًا بمحبّتهم لله تعالى» وشرطًا لمحبّة الله له؛
ووجود المشروط بدون تحقق شرطه ممتنع» فعلم انتفاء المحبّة عند انتفاء
المتابعة للرّسول.

. قوله: (عَلَمًّا عليها وشاهدًا لها)؛ أي : على محبة الله

قوله تعالى: قل إن كُتْمْ تين اله تاتدٍ يُسِبَكُه أنه؟» هذه آية
ادعوا١٨[« :المائدة] «الامتحان» لما قال اليهود: «تَنٌ أَبْكوًا لَه وَأَسيَتومُة
هذاء فامتحنهم الله بهذه الآية فل إن كلتم تحن أنه تَتيكونٍ ايُحبِبَكم آله وَيَفِرَ
١ ©[. :آل عمران] 0

قوله: (فجعل اتّباع رسوله كله مشروطًا بمحبّتهم لله تعالى. وشرطًا
لمحبّة الله له هذه تأتي على الصوفية أيضًا الذين يقولون نحن نحب الله
لكن لا يتبعون الرسول» فهم كاذبون في هذاء فكل من ادعى محبة الله وهو لا
يتبع الرسول فهو كاذب في دعوى المحبة؛ فليس هناك طريق إلا طريق
الرسول ك4 هو الطريق إلى الله عِكْ.

قوله: (ووجود المشروط بدون تحقق شرطه ممتنع) ؛ هذا معروف. أن
الشرط ما يلزم من عدمه العدم» فعدم الشرط يلزم منه عدم المشروط .

قوله: (فعلم انتفاء المحبّة عند انتفاء المتابعة للرّسول ثيه علم من
هذا انتفاء محبة الله التي يدعونهاء وهم لا يتبعون الرسول كي وهذا عام
لليهود والنصارى وغيرهم» فكل من يدعي أنه يحب الله ولكن لا يطيع
الرسول» ولا يتبع الرسول فهذا كاذب في محبته لله.

ويتبع هذا أيضًا أن يحب من يحبه الله ويكره ما يكرهه الله فهذا دليل
: على محبة الله

أولًا: اتباع الرسول كيه هذا هو الأصل.

ا ل ا أ ا أن ام ا أ أي يا أ ا دك أ اا لبدلا ليد أن ا أب أ يد أ ا داكا ا ا أي ايد أي
أي أ يد د أ د اي أي ا أ ا أ د لك أ لع لما ا ام د ام امد ا ا ا أ ا ا 1

ثانيًا: أن يحب كل ما يحبه الله ويكره ما يكرهه الله» وأن لا يقدم شيئًا
على محبة اللهء فإذا تعارض شيء من أطماع الدنيا مع محبة الله؛ فإن قدِّم
محبة الله فهو صادقء وإن قدّمٍ ما تحبه نفسه على محبة اللهء فهو كاذب؛
قال

رمز مو ررس

تعالى: 0 إن كَانَ ل تا يعت م تت تون أَنْتَيْسُمَا

جز نكاما وتنك توا أ ابس تك انر ترد تبك
في يله ل بسوا»»؛ أي: انتظروا العذاب» «حَئٌّ 2 نه بتري وَأنَدُ لا

يَبَدِى آلْقَوّمٌ الْنَنسِقِينَ ل(0© ©» [التوبة: 74]؛ فالذي يقدم أطماع الدنيا
ورغبات
الدنيا على ما يحبه الله» فهذا ينتظر العذاب من.الله يي فعلامة محبة الله أن
يقدم ما يحبه الله على ما تحبه نفسة» هذه علامة محبة الله فيك والله يبتلي
عباده» فليس كل من يدعي الإيمان يترك؛ بل يبتلى» ويمتحن حتى يظهر
صدقه
في دعواه.

© © ©

ولا يكفي ذلك حتى يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهماء #
ومتى كان عنده شي أحتٍ إليه منهما فهو الاشراك الذي لا يغفره الله؛
قال تعالى: يِف إن كذ ابام بارحم رَلِحْوتم انكر تِيدر بَأتولٌ
عور ما رَيجَبَةٌ تر اما ب : تَيسْرتَمَك 2 ال 0 ب لَه 4
رسو تَجِكَادٍ في سيل 5 ص 2 لَه ِأترِقٌ 1 ا يَبْدِى الوم

يه َكَمِينَ ©» [التوبة: 74].

وكل من قدّم قول غير الله على قول الله #

قوله: (فهو الاشراك الذي لا يففره الله)؛ أي: الإشراك في المحبة.

قوله تعالى: #ِقلَ إن كان ءَابَإتمٌ رَتَوْصْتُمَ»؛ فالله لم ينكر عليهم أنهم
يحبون هذه الأشياء» هذه محبة طبيعية؛ ولكن أنكر عليهم أن تكون أحب إليهم
من الله ورسوله وجهاد في سبيله؛ فهنا مفترق الطرق» أما كونك تحب هذه
الأشياء فلا ثلا على ذلك» هذه محبة طبيعية» ولكن مفترق الطرق» هل تقدم
محبة الله عليها أو تقدم محبتها على ما يحبه الله؟ هذا هو مفترق الطرقء
المهاجرون تركوا بلادهم وأموالهم وأولادهم» فهل لم يكونوا يحبونها؟ بل
يحبونها حبًّا شديدّاء ولكن تركوها وهاجروا إلى الله ورسوله» هذه علامة
الإيمان قال تعالى: الئِنَ أ يجا ين وترم وأَنْرَلِهِرٌ ينون تَسْلَاً بَنَ ال رَرِضْوَنً
ضُرُودَ ال وتسم أذكتيك هُمٌ ألصَدنْيُنَ 42 [الحشر: ها فليست المسألةَ
سهلة؛
كل يقول: أنا أحب الله! لا بد من وجود علامات ودلائل وابتلاء وامتحان» قال
تعالى : حب 9 م 0 يرما أن بَقورَا “نكا وَهُمْ ل يُنْتَنُنَ (© تَلقَدْ ثَتَنَا انين ين

ميا لح ا اص 7 2 يروصت

لهم لمن أ له ليت صدفىا وَيُعْلَمنَ الْكَذْبِينَ © [العنكبوت: تت “].

قوله: (وكل من قدّم قول غير الله على قول الله)» هذا أيضًا علامة
فارقة»؛ فالذي يحب الله يقدم أمر الله وأمر رسوله على أمر فلان وعلان.
فإن
كان العكس كأن يقدم قول شيخ ؛ أو إمامه» أو حزية» أو جماعته على أمر
الله

. فهذا كاذب فى محبة الله هل

أو حكم به؛ أو حاكم إليه؛ فليس ممن أحبّه.

قوله: (أو حكم به)ء ترك شرع الله وحكم بالقانون.ء فهل هذا يحب الله قِيك؟ لا؛ بل هو كذاب.

قوله: (أو حاكم إليه)؛ أي: حاكم لغير شرع الله فهذا كاذب في أنه يبحب اللل وليس هذا خاص بالمنازعات فى المحاكم كما يفهم بعض الناس ؛ بل في كل نزاع» وفي كل خلاف يقدم قول الله وقول رسوله» ولا يقدِّم قول أحد في مسائل الاجتهادء وفي مسائل العقائد» فى كل مسألة فيها خلاف.
قال تعالى:َنم لدمِ فيد ين شَيْءٍ تَحَكْمَ إل أَلوم» [الشورى: ٠١ وقال1 لكان تَنرَعَمٍ في شَيَء فده إل لَه الل [النساء: 84]؛ وليس هذا خاص بالمحاكم فقَط ؛ بل في كل اختلاف يكون بين الناس؛ يقدم طاعة الله وطاعة

قوله: (فليس ممن أحبّه) ؛ أي: فليس ممن أحب انل وإن كان يدعي أنه محب للهء نقول: كذاب» ما حققت ما تقول.

© © »©

لكن قد يشتبه الأمر على من يقدّم قول أحدء أو حكمه.؛ أو *#
طاعته» على قوله. ظنَا منه أنه لا يأمر ولا يحكم ولا يقول إلا ما قاله
الرّسول كَليةِ فيطيعه؛ ويحاكم إليه؛ ويتلقّى أقواله كذلك. فهذا معذور إذا
لم يقدر على غير ذلك.

قوله: (على قوله)؛ أي: لا يقدم قول أحد على قول الرسول كِية.

قوله: (ظنًا منه أنه لا يأمر ولا يحكم ولا يقول إلا ما قال الرّسول كي
فيطيعه» ويحاكم إليه)؛ فبعضهم يتبع إمامه؛ ويقول: إمامي ثقة لا يقول إلا ما
قال الرسولء ولا يخالف الرسول. يحسن الظن به» فهذا خطأ وعلى خطر
عظيم» فلا يحمله حسن الظن من دون أن يميز هل هو على حق أو على
باطل» وهذه يقولونها الآن» إذا قلت له: يا أخي الصواب كذا وكذاء والدليل
كذا وكذا. يقول: فلان قال كذاء وهو أعلم مني ومنك بالحق! . هم أعلم منا
بها يقولون! يعني: أنت ليس لديك فهم ولا ذهن ولا عندك شيء؛ وهذا لا
يجوز إلا للعاجز الذي لا يمكن أن يعرف الحق؛ فإنه يقلد من يثق بعلمه» إذا
كان عاجزًا عن معرفة الحق وطلبه» فيختار من يثق بعلمه ودينه ويقلده لا
بأسء قال تعالى: «تَسْتَلوا أَمْلٌ ال إن كُنْرْ لا تَملْمُونَ © [النحل: :]0
ولكن الذي عنده مقدرة على أنه يبحث ويعرف الحق ويعرف دليل إمامه الذي
يقلده؛ فيجب عليه ذلك ولا يكون إمعةء ولا يعتقد العصمة إلا للرسول كِيٍةٍ؛
فالإمام الجليل من أهل العلم والسلف قد يخطئ؛ لأنه بشرء فما دام عندك
إمكانية فلا تعجز عن طلب الحق» ولا تقلد أحدّاء أما إذا كنت لا تقدر على
هذاء وليس عندك إمكانية فقلد من تثق بعلمه ودينه؛ وهذا معنى قوله: (فهذا
معذور إذا لم يقدر على غير ذلك)؛ انتبه (إذا لم يقدر) فهو معذور؛ قال

تعالى : تالا ل مَا أَسْتعْم» [التغابن: 16]» وهذا لا يستطيع غير هذا .

© © «©

- شرح تجريد التوحيد المفيد القشق6

وأمّا إذا قدر على الوصول إلى الرّسول كَل وعرف أن غير من #
اتبعه أولى به مطلقًاء أو في بعض الأمور؛ كمسألةٍ معيّنةٍ؛ ولم يلتفت إلى
قول الرّسول كَلةِ ولا إلى قول من هو أولى به؛ فهذا يخاف عليه.

وكلّ ما يتعلل به من عدم العلم» أو عدم القهم» أو عدم إعطاء
آلة الفقه في الدّين. أو الاحتجاج بالأشباه والنظائرء أو بأن ذلك المتقدم
كان أعلم مني بمراده كل فهي كلها تعلّلات لا تفيد.

هذا مع الاقرار بجواز الخطأً على غير المعصوم كي إلا أن *
يتازع في هذه القاعدة قتسقط مكالمته, وهذا هو داخل تحت الوعيد. فإن
استحل مع ذلك ثلب من خالفه. وقرض عرضه وديئه بلسانه؛

قوله: (فهذا يخاف عليه)؛ أي: يخاف عليه من الضلال» فلا نعتقد
العصمة لأحد إلا لرسول الله كَل والأكمة يخطئون؛ لأنهم بشرء وهم نهونا
أن نقلدهم» وأن نأخذ أقوالهم من دون تمحيص» نهونا عن ذلك» وحذّروا من
هذا .

قوله: (وكل ما يتعلل به من عدم العلم.. فهي كلها تعلّلات لا تفيد). ما
دام أنه يقدر على الوصول إلى الحق بنفسه؛ وإلى الوصول إلى ما جاء به
الرسول» ما دام يقدر وعنده إمكانيات فلا يجوز له أن يخلد إلى الأرض
ويسلم للتقليد وهو يقدر على الوصول إلى الحق.

قوله: (إلا أن ينازع في هذه القاعدة فتسقط مكالمته)؛ إذا نازع في هذه
القاعدة» وقال: لا بأس فهم ثقات» ولا يلزم أننا نبحث؛ فنحن مسلمون
الأمر لهم! » فإذا نازع هذه القاعدة فهذا لا يكلم؛ بل يهجر ويترك؛ لأنه ترك
الحتق وهو يقدر على طلبه لأجل التقليد الأعمى.

قوله: (فإن استحل مع ذلك ثلب من خالفه» وقرض عرضه ودينه
بلسانه)» فإذا قلد وأصر على التقليد وتناول المخالفين بالذم وقرض أعراضهم
وذمهم بأنهم لا يفهمون؛ فهذه جريمة أخرى. أضاف إلى هجر الحق» وزهده

أو انتقل من هذا إلى عقوبته؛ أو السعى فى أذاه» فهو من الظلمة المعتدينئ» وناب المفسدين.

في طلب الحق» أضاف إليه أكل لحوم الناس» والتنقص ممن خالفه.

قوله: (أو انتقل من هذا إلى عقوبته)؛ إلى عقوبة من خالف. لا لشيء إلا لأنه خالف» فهذا أشد .

قوله: (أو السعى فى أذاه. فهو من الظلمة المعتدين» ونوّاب المفسدين)» فلتتنبه لهذا» هذا كلام يُكتب بماء الذهب» قتنبه له .

© © ©

واعلم أن للعبادة أربع قواعد *#:

يقول المؤلف كِله: (واعلم)؛ أي: انتبه لهذه المسألة؛ (أن للعبادة أربع قواعد)؛ أي: أن للعبادة أربع قواعد لا بد أن تتحققء فإن نقص شيء منها لم تتحقق العبادة:

الأولى : (التحقق بما يحبٍ الله ورسوله ويرضاه)؛ أي: التحقق مما يرضاه الله ويحبه من الأعًمال» أما ما لا يرضاه الله ولا يحبه فإنه كفرء وليس إيماتّاء فما يفعله كثير من الناس من أعمال أو أقوال أو اعتقادات لا يرضاها اللهء ولا يحبهاء وإنما ابتدعوها من عند أنفسهم أو ابتدعها لهم مشائخهم وأكابرهم» فإن هذا يتنافى مع الإيمان.

القاعدة الثانية»؛ والثالثة والرابعة: أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح؛ يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية؛ لا بد من هذه الأمور:

فليس الإيمان بالقول فقط من غير اعتقاد» كما تقوله الكرّامية.

وليس الإيمان هو الاعتقاد فقط» من غير قول وعمل كما تقوله الأشاعرة.

وليس الإيمان قول واعتقاد فقط من دون عمل كما تقوله مرجئة الفقهاء.

كل هذه الأقوالہ من أقوال المرجئة؛ لا يتحقق معها إيمان. أما قول أهل السَّنَّةَ والجماعة وهو القول المأخوذ من الكتاب والسٌنَّة؛ فهو أن الإيمان قول وعمل واعتقاد» لا بد متها جميعًاء وهو يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية؛ وهذا مأخوذ من الكتاب والسُنَّة .

من الكتاب في آيات كثيرة:

منها: قوله تعالى: «إإِنَّمَا ٱلْتُتت اَي ذا ذُكِرَ أنه وَجِلَتَ بهم وَإنَا يت عَلَهِمَ ءَلِتُدُ نَتَتْهمْ إيَانا وَعَلّ رَتِيدْ يَعَوَرُهَ © الأيك ثرت سكا

صرح نزوي رايم

ومِئًا زَرَكْتَهُم يُفِقٌنَ)» [الأنفال: 7 *]؛ فذكر أن الأعمال من الإيمان

وأا ا ا أ ا أ أ أ ا أ أ ا أي أ ا أ أ أ أ د أ أ أ اي أ أو أسا أ أ أ أ أ ود اس أ اس د ا د ا
ام ام لد أو د د أ اما اج د ا ا ا ل ا ا ا

كالصلاة والنفقة» وذكر أنه لا بد أن يكون ذلك في القلوب» #إإدًا ذُكِرَ أل
«تَجِتَ تَلوب.

)© ومنها: قوله تعالى: يقد أفلح النْزيعٌ
أ خم عي الثر ثرت © تَالِهَ ثُ تكن كي © تك كم لسَجِي

إلا عَقَ أنتسِمْ أن نا متكت َم تت عد ليك © نن ©

© ً ابت ونا ذلك ْكَيِكَ ضُ ُ الْعَادُونٌ وال ص امتهم زَحَيْدِهِمْ
١-٠١ :ول م عل صَلَيَمْ عاشي © أنْيِك هُمْ الَرِفُ ©© 4 [المؤمنرن
فقد أفلح المؤمنون الذين اتصفوا بهذه الصفات؛ القولية؛ والعملية؛
والاعتقادية» هؤلاء هم المؤمنون الذين ينالون الفلاح» ويرثون الجنة؛ ويرثون
الفردوس أعلى الجنة.

ومتها: قوله تعالى: «إِنَّمًا ال يّ آلَِينَ تَاسَتْا بِلَّهِ رَيَسُولك. ثُمّ َم يماما
نهدا نهدا يولم ونْشهرٌ في كيل اه أمتَيِكَ هم المَسَدِقُونَ (0« [الحجرات:
؛ فالجهاد يكون باللسان ويكون باليدء. ويكون بالدعوة إلى الله ويكون(
بالتعليم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكرء كل هذا من الجهادء فدلت
الآيات على أن الأعمال من الإيمان.

ومن الأحاديث:

ويد لبد فى

منها: قوله كَلة: «الاٍيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْكُونَ - أو بِضْعٌ وَسِنُونَ - شْعْبَةٌ
أفْضَلْهَا قَوْلُ لا إل إلا الله وَدْتَامَا ِمَاطَةُ الأدى عن الطَريتي. وَالْحَيَاءِ شُعْبَةٌ
من
الابِمَان!'"؛ شعبة: أي: خصال وخلال من خصال الخيرء قولية واعتقادية
وفعلية» فأعلاها قول لا إله إلا الله هذا قول» وأدناها إماطة الأذى عن
الطريق هذا فعلء والحياء شعبة من الإيمان» هذا بالقلب» فدلّ على أن

.١(أخرجه مسلم (٥*)(

وهي: التحقق بما يحبٍ الله ورسوله ويرضاه؛ وقيام ذلك بالقلب *
واللسان والجوارح.

فالعبوديّة: اسم جامع لهذه المراتب الأربع #.

فأصحاب العبادة حقًا هم أصحابها *#.

الإيمان قول واعتقاد وعمل» إلى غير ذلك من الأدلة الواضحة على أن الإيمان
يتكون من هذه الأشياء» ولا يسمى إيمانًا إلا بها مجتمعة» فإذا تفرقت فلا
يكفي بعضهاء ولا يكون إيمانًا في الشريعة؛ والكلام والإيمان في الشريعة
وليس في اللغةء فقولهم: الإيمان هو التصديق بالقلب هذا في اللغةء لا في
الشريعة؛ وهذه حقيقة شرعية أن الإيمان هو ما ذكر.

قوله: (التحقق بما يحب الله ورسوله)؛ فلا تعمل عملًا أو تقول قولًا أو
تعتقد اعتقادًا لا يرضاه الله ورسوله.

قوله: (وقيام ذلك بالقلب واللسان والجوارح»» الجوارح؛ يعني:
الأعضاء .

قوله: (فالعبوديّة: اسم جامع لهذه المراتب الأربع) التي ذكرناها» وهي
الإيمان» فالعبودية هي الإيمان بالله يي على ما جاء في الكتاب والسّنّة؛ وهي
تتكون من هذه القواعد الأربع» والشرط الأساس أن يكون ذلك مما يرضاه
الله
ورسوله» وهي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال
الظاهرة والباطنة» كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية؛ وكما يشير إليه قوله هنا .

قوله: (فأصحاب العبادة حقًّا هم أصحابها). فأصحاب العبادة حقًّا
وأصحاب الإيمان حقًا هم أصحابهاء فأما من اقتصر على بعضها ليس من
أصحاب العبادة» وليس من أصحاب الإيمان.

© © ©

ل +

الم ا

فقول القلب: هو اعتقاد ما أخبر الله عن نفسه؛ وأخبر رسوله عن *#
. ربّه من أسمائه وصفاته وأفعاله» وملائكته ولقائه. وما أشبه ذلك
وقول اللسان * :

قوله: (فقول القلب)» هو اعتقاد القلب بكل ما أخبر الله به» أو أخبر به
رسوله كَل هذا قول القلب؛ وعمل القلب؛ فهو يسمى قولًا ويسمى عملا؛
وأول ذلك الإيمان بالله وبأسمائه؛ وصفاته؛ وأقداره. وأفعاله» هذا هو
الأساس؛ فالذي يفرط في شيء من هذه الأمور ولم يعتقده بقلبه لا يكون
مؤمنًا ؛
فيثبت الصفات على الوجه الصحيح ولا يثبتها على وجه التشبيه والتمثيل.

2

وكذلك الإيمان بأركان الإيمان الستة فى الحديث: «أَنْ تُؤْمِنَ باللل وَمَلَئْكَتِهِ

مضه

: ل ل اده ا ا ب ال الا ااه

وكتبه وَرْسَلِهٍ وَاليوم الآخر وتؤمِن بالقّدّر خيره رربي هذا يكون فى القلب»؛
و 2 7 . ء. 34 2 : م 8" 0 اا ل > ون - 84
فمن أنكر شيئًا من هذه الأمور لم يكن مؤمناء قال الله جل لسن الب أن
تولوا
قرو درسم ارد مرج .با سرأدم ا ا ا ل ا ب ل ا ا

وجوهكم قل المشرقٍ وَالمَحْرِبِ وَلِنَ آل مَنّ عَامَنَ يله وَالَوي الآخر وَالنَتَبِكةٍ
والكتبٍ
تال تقٍ آلتا عق حيو ذرى الشف ركم رسكي بآ ألكييلٍ تَأكَكَك نَيِ
١ > لساك موريس 2 اب مر اسم سحامٍ ار د سا ممرغر0 ام 7
الاب تَأَقَارٌ آلصّلَرةٌ وَدَاقَ اذِكَزة وَالترتت بَهْدِهِمْ إذا عَهَدُاً بالشَدِيَ في آلأْسَهِ

اس اداع قا لخالجاس مانم سم لايرلل ادم مر قرام 2

فالضْرَاء فَحِينَ ابأ أَيكَيِكَ الَرِينَ سَدَاْ وَأوْلَتِكَ هُم آلمُنَفْمُنَ (9© [البقرة: 177]
وقال
لا ا ا م داس ل اه خاي ار له ل ل سب ِ◌
تعالى: ؤفولواً ءَامَكا لله وَمآ أنيل إِلَيِنا وَمَآ أنرلٌ إل إِتَحمَ تَإِتْتَجِيلَ وَإِشْحَقَ
وَيعْتوبَ

اي سرام داري

والْأسبَاطِ وَمَآ أدق مُوتئ تَعِيئ وَمَآ أفقَ الت ين زَيَهِرٌ لا تُقَرُ بَنَ آَحَرٍ يَنْهُرٌ
وَكَنْ له مُسَلِعُونَ)6 [البقرة: 1176 هذا هو اعتقاد القلب» ويتبعه العمل؛
فاعتقاد القلب يتبعه العمل» وهي أركان الإسلام الخمسة» هذه عمل
الجوارح.
قوله: (وقول اللسان) أما قول اللسان فيكون بقول: (لا إله إلا الله)ء
وبذكر الله. والتسبيح والتهليل» والأذكار المشروعة؛ ويكون بالأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر» ويكون بالدعوة إلى الله #4 ويكون بالتعليم؛ كتعليم

الأمور الدينية ونشرها بين الناسء هذا كله من قول اللسان.

)١(أخرجه مسلم)48(.

الاخبار عنه بذلك» والدّعاء إليه» والذبٌ عنه» وتبيين بطلان *#
البدع المخالفة ل والقيام بذكره 7ش وتبليغ أمره.

قوله: (الأخبار عنه بذلك)؛ أي: الأخبار عن الله #8. عن أسمائه
وصفاته. وبيانها للناس؛ لأجل أن يعتقدوها ويعملوا بها .

قوله: (والتعاء إليه)؛ يعني : الدعوة إلى الله.

قوله: (والذَبٌ عنه)؛ أي: دفع الملحدين والكفرة» والمشككين» فهذا
من الإيمان باللهء وهو من قول اللسان»ء لا يكفي أن تنكر بقلبك؛ بل لا بد أن
تتكلم بلسانك وتبين.

قوله: (وتبيين بطلان البدع المخالقة له فهذا واجب أن لا نسكت عن
البدع ونترك الناس كلّ على هواهء كل له عقيدته. وكلٌ له اتجاهه» كما يُدعى
إليه الآن في الصحف وغيرها وعلى ألسنة الجهلة أو الملحدين يريدون أن لا
ينكر المنكرء لا يؤمر بمعروف ولا ينهى عن منكرء وأن يترك الناس على ما
هم عليه؛ لئلا يفرّق بين الناس يقولون! فالذي ليس فيه خير نريد أن يفرق ولا
نحب إلا ما فيه الخيرء» فما دام فيه شر فنحن نحب أنه يبعد عناء ولا نريد أن

قوله: (والقيام بذكره #8). بالأعمال الصالحة» والنطق بالأذكار مع

© © .

«وعمل القلب: كالمحبّة له» والتوكل عليه والانابة» والخوف #
والرجاء» والاخلاص» والصّبر على أوامره ونواهيه؛ وأقدار والرضا به 6

قوله: (وعمل القلب). أعمال القلب كثيرة؛ كالخوف» والخشية.؛
والرجاء» والمحبة» والتوكل» والرغبة» والرهبة» والإنابة» كل هذا من عمل
القلب.

قوله: (كالمحبّة له والتوكل عليه والانابة؛ والخوفء والرجاءء
والإخلاص)» كل هذه من أعمال القلب.

قوله: (والصّبر على أوامره ونواهيه)» الصبر على أوامره وما فيها من
المشقةء الأوامر فيها مشقةء والنفوس تنفر منها لما فيها من المشقةء فلا بد
من الصبرء وكذلك المحارم النفوس تشتهيهاء فلا بد من كفها عنها والصبر
على ذلك .

قوله: (وأقداره)؛ أي: الأقدار التي ليس للإنسان فيها تسبب» الأقدار
«الكونية التي ليس للإنسان فيها تسبب كالمصائب» والشدائد والأمراض
التي تصيب الناس يصبرون عليهاء ولا يجزعون ولا يتسخطون» أما فعل
الذنوب والمعاصي فهذا لا يجوز الصبر عليه؛ هذا أنت الذي أوجدته
«باختيارك ويفعلك وبمشيئتك» فواجبك الكف والصبر عنه» والابتعاد عنه
ولا تقل: هذا مقضي ومقدر علي! هذا لا يجوزء فلا يجوز الاحتجاج
بالقدر على المعاصي» فإنما يحتج بالقدر على المصائب التي ليس لك فيها

قدرة.

قوله: (والرضا به» وله وعنه). الرضا اناف وله: أي: ترضى بما
يرضي الله كن وتسخط ما يسخطة انالف فتحب وتبغض ل لا لهوى نفسكء
ترضى ما يرضاه الله تغضب وتسغط ما يكرهه اللهء ويغضب الله فك

والموالاة فيه» والمعاداة فيه والاخبات إليه؛ والطّمأنينة به ونحو ذلك
من أعمال القلوب . التي فرضها آكد من فرض أعمال الجوارح» 0

قوله: (والموالاة فيه» والمعاداة فيه)؛ هذا أصعب شيء على المعاصرين
اليوم» أو على كثير من المعاصرين» وهو: الولاء والبراء» فهم لا يريدونه
أبدّاء لا يريدونك أن توالي أحدّاء أو أن تتبراأ من أحد؛ فالناس كلهم سواء
عندهم» والإنسانية» والأخوة الإنسانية وحقوق الإنسان والمواطنةء وما أشبه
ذلك لا تكره أحدّاء ولا تبغض أحدًا ولا تسب دين أحدء ولا تشّر من دينهم
وبدعهم» ومحدثاتهم» لا يريدون شيئًا من هذا بموجب التعايش! هذا أمر لا
يجوزء هم يريدون الآن دفن هذا الأصل» دفن الولاء والبراء» فلا فرق بين
مسلم وكافر» ولا بين مؤمن ومنافق» ولا بين عاص ومطيع أبدا» هذا الذي
«يحاولون الآنء وأشد شيء عليهم الآن الولاء والبراء» ويسمونه (الكراهية)
أنت فيك كراهية» أنت فيك كره تكره الآخرء وما أشبه ذلك من الألفاظ التي
يروجونها الآن.

قوله: (والاخبات إليه). وهو الخضوع, قال تعالى: «وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ
النحج: :1 من هم؟ «اليينَ ذا فك أله بيتٍ قُهُمَ رَالصَهينَ عل مآ] ©
١ هؤلاء هم*1 :لابه واليَتيى آصَّلدِ كنا زَيَكْتَهُمَ يُنِشّةَ ©)4 [الحج
المخبتونء الخاضعون لله يلٍ.

قوله: (والطّمأنينة به)» الطمأنينة بالله فيك فلا يكون عند الإنسان
تضجر أو التبرم أو التكرّه؛ بل يكون راضيًا بالله وعن الله وراضيًا باللهء
الرضى

به وعنه وله.
قوله: (ونحو ذلك من أعمال القلوب)» هذا كله في القلب. أعمال
القلب واسعة.

قوله: (التي فرضها آكد من فرض أعمال الجوارح)؛ لأنها هي
الأساس» فأعمال القلوب آكد من أعمال الجوارح؛ لأن أعمال الجوارح مبنية
على م في القلوب .

ومستحبّها أحبّ إلى الله تعالى من مستحب أعمال الجوارح.

قوله: (ومستحبّها أحبّ إلى الله تعالى من مستحب أعمال الجوارح) الله أكثر؛ لأنها تبنى على الإخلاص لله كِنْ.

© © ©

وأمًا أعمال الجوارح: فكالصلاة. والجهاد. ونقل الأقدام إلى *
الجمعة والجماعات» تريب بريمرويررررمميمممميورمررر رم يوم مم ممم
قوقع زف مقو ممه

:قوله: (وأمًا أعمال الجوارح: فكالصلاة)؛ الصلاة من أعمال الجوارح
الركوع والسجود؛ الصلاة يجتمع فيها من الأعمال القولية والعملية الشيء
الكثير؛ ولذلك صارت هي أحب العبادات إلى الله #8 يجتمع فيها أعمال
القلب؛ ويجتمع فيها أعمال اللسانء ويجتمع فيها أعمال الجوارح» ولذلك
. عرّفوها بأنها: أقوال وأفعال مبتدأة بالتكبير مختتمة بالتسليم

قوله: (والجهاد)ء الجهاد في سبيل الله سواء جهاد الكفار بالسلاح» أو
جهاد المنافقين بالحجة واللسان والرد عليهم» قال تعالى: فجَهِرٍ الْكُئَارَ
الْمُتفِينَ تَغْلْظَ عَكِجٌ»» [التوية: 73]؛ فالكفار يجاهدون بالسلاح والحديد؛ ولوَ
لم يجاهدوا لانتشر الكفر وانمحى الإسلام» فلا بد من الجهاد في سبيل الله
مع إمام المسلمين» وجهاد المنافقين بالحجة واللسان؛ لأنهم يظهرون الإسلام
ويصلون ويصومون ويحجون ويعتمرون» فهم مسلمون في الظاهر؛ فلا
.نجاهدهم بالسلاح» ولكن نجاهدهم بالحجة والبيان

قوله: (ونقل الأقدام إلى الجمعة والجماعات)» كذلك من أعمال
الجوارح المشي في طاعة الله» الخطوات التي تخطوها إلى المساجد؛ إلى
الجمع والجماعات» هذه خطوات عبادة ومكتوبة؛ يُرفع لك بكل خطوة حسنة؛
ويوضع بها عنك خطيئة»؛ وترفع بها درجةء كل خطوة» قلت الخطى أو
كثرت» فخطواتك إلى المسجد مكتوبة؛ قال تعالى: إلا ثَحَن شي الوق
يُتَكْتُبُ نَا تنما يَتَرَثُمْ» آيس: ٢١]؛ أي: ممشاهم إلى المساجد» والنبي قله
يقول: «بَشَرْ الْمَشَّاكينَ في الظُلّم إلى الْمَسَاجِدِ بِالنّورٍ النَّمّ يوم الْقِيامَةها"'؛
وقد
أخبر النبي كَليةِ بأن الخطى إلى المساجد محسوبة ومكتوبة عند الله وعليها
.ثواب عظيم

.أخرجه أبو داود (911) 6

.ومساعدة العاجزء والاحسان إلى الخلق. ونحو ذلك
فقول العبد فى صلواته: «إِتَاكَ نَعَبدّج» [الفاتحة: 5] 0 #

قوله: (ومساعدة العاجز)ء بإعانته على ركوب دابته» وعلى تحميل
سيارته» وعلى حمل ما يشق عليه؛ أو مساعدته بالمال» فمساعدته إما
بالبدن
وإما بالمال» بما يدفع حاجته» ومساعدة المعسر في دينه وتسدد عنه دين
«من
نَفْنَ عن مُؤْنٍ كُرْبَةٌ من كُرَبٍ الدُنمَ نفْسَ الله عنه كُرْةٌ من كُرَبٍ يَوْ
الْقِيَامَةِ .. وَاَللّهُ في غَوّنٍ الْعَيْدِ ما كان الْعَيْدُ في غَوّنٍ ن أخيده؟ فتعين إخوانك
:قال تحالى: «ؤوَتَمَاوَما عَلّ آلب انقو وا تَعَائمًا عَلّ آلثم ادن [المائدة
ومن إعانته: أمره بالمعروف ونهيه عن المنكرء هذا من أعظم الإعانة؛ «[7
هذا أعظم من أنك تعطيه الأموال» وتعطيه البيوت والقصورء الأمر
.بالمعروف؛ لأنك تنقذه من النارء فهذا من أعظم الإعانة له

قوله: (والاحسان إلى الخلق. ونحو ذلك)» الإحسان إلى الخلق عمومّاء
حتى البهائم» قال كِلية: «إِنَ الله كَتَبَ الاحْسَانَ على كل فوا وقال
تعالى: «وَكرِئيا إنَّ آنه يِب الْمُحْسِئِينَ 0 [البقرة: 148]» حتى الكافر الجائع
تطعمه» وتنقذه من العطش فتسقيه» وكذا الكلاب تسقيها وتطعمها؛
فالإحسان
.على كل شيء

:قوله: (فقول العبد في صلواته: «إِبَّاكَ نَمَبّدٌةة) قول العبد في صلاته
٠ هذه آية عظيمة من سورة[« :الفاتحة] «© فياك نَحَبدٌ وَإِيَاكَ تُتَوِثٌ
الفاتحةء تعاهد فيها ربك آلا تعبد إلا إياه. ولا تستعين إلا به وقدم
:المعمول: «إِيَاكَ» على العامل وهو: «تَتُدُك» لأجل إفادة الحصرء فقوله
إتَاكَ عبد أبلغ من قول: نعبدك؛ بل تقول: «إبَاكَ تحبذ ؛ أي: لا تعبد»
إلا إياك» لا نعبد أحدًا سواك» وهذا تعهد بالإخلاص» وترك الشرك» وتتعهد
به» ولكن من يقول: «إيَّاكَ نمَبُدُج» ثم يقول: يا علي يا حسين يا عبد القادن

)1565(. (؟) أخرجة مسلم)1744(. أخرجه مسلم ()

«© التزام أحكام هذه الأربعة وإقرار بها. وقوله: «وَيَالٌ يت
طلب الإعانة عليها والتوفيق لها. وقوله: «وإهنا اليَرَلٌ [+ :الفاتحة]
الْتُتَقِمَ (©)» متضْمّنٌ للأمرين على التفصيل وإلهام القيام بهماء 0
ويستغيث بالأموات وهو يقول: «َإِيَاكَ نيد فأين إتَاكَ نمَبْد»؟ هذا
يرددها في كل صلاة ولا يتفكر فيهاء نسأل الله العافية» فإذا قلت: ظإبَاكٌ
عبد فأنت قد عاهدت ربك أنك لا تعبد سواه» ثم تقؤل: يا فلان يا علان
هذه مشكلة؛ «وَإِيَالكٌ ضُتَوِيثٌ (©» لماذا أفرد الاستعانة مع أنها داخلة في
العبادة» داخلة في قوله: «إيَاكَ نَعَبّد»؟ أفردها لأنه إذا لم يعنه الله على
العبادة لم يستطع القيام بهاء فأنت لما عاهدت ربك على إخلاص العبادة؛
سألته الإعانة على ذلك.

قوله: (التزام أحكام هذه الأربعة وإقرار بها)» فقد سبق أن العبادة تكون
على أربعة أشياء» فإذا قلت: «إيَاكَ نَبدة؟ التزام للعبادة بهذه الأمور.

قوله: (وقوله: «وَإِبَالكٌ ُتَوِيثٌ (©4 طلب الإعانة عليها والتوفيق
لها)؛ لأنه إذا لم يعنك الله لم تستطع أن تعبده؛ وأيضًا لو عبدته قد لا
تستمرء فأنت تسأل الله الإعانة على الالتزام بهاء والاستمرار عليها والثبات
عليها .

قوله: (وقوله: «آمرنا اليْرَبِذٌ آلْتُسْسَييمَ ©» متضْئْنٌ للأمرين على
التفصيل وإلهام القيام بهما)ء الصراط هو الطريق» والمستقيم خلاف المعوج؛
لأن هناك صراطًا مستقيمًا معتدلًا. يوصل إلى الجنة» وهناك طرق وسبل
كثيرة
مختلفة ومتشعبة لا حد لهاء فصراط الله واحد» والسبل متعددة لا حصر لها؛
ولهذا قال ##: لإِوَآدٌ هَذَا مر مُحَقِمَ تَتبِعْءٌ زلا تَنِيِما اسيل فلم
يَسَنْ بود لَلَحُمْ تَنَفرّنَ (©> [لأنعام: 1153 النبي كله أخبر أن هذه الأمة
ستفترق على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا واحدة» قالوا: «وَمَنْ هِيّ

أ ا أ ا أ اانه أل اا ا أ ا أ ا ا لا أب ا ليا أ أب أ ا ليد د ا أي ا ليد يد د اا يد د ا أي
يد يد ليد أ أي امد ا أي د د د أب يد كا أ لي أي ايد اجا أي اا أب لا ابد اي امد
اود أ أي ا أو لج أي أ أ ا أب ا ل ا ا ل ا

يا رَسُولَ الله؟8» قال: «ما أنا عليه وَأَصْحَابِي”''؛ هذا الصراط المستقيم؛ ما
عليه الرسول كَةٍ وأصحابه» ولكن هذا يحتاج إلى أمرين:

أولًا: معرفة ما عليه الرسول وأصحابه؛ بتعلم العلم التافع .

ثانيًا: الصبر على الثبات عليه.

ولهذا تقول: «آمْنا اَليَرَبِلٌ الْتُتَيِيمَ (©©»؛ والهداية نوعان:

الأول: هداية الدلالة والإرشاد.

الثاني : هداية التوفيق والثبات.

فأنت تسأل الله الهدايتين: هداية الدلالة والإرشاد» وهداية التوفيق
والثبات على ذلك» وإلا فقد يهتدي الإنسان بمعنى أنه يعرف الشيءء يهتدي
إليه؛ ولكن لا يوفق بسلوكه والثبات عليه؛ أنت بحاجة إلى هاتين الهدايتين»
والصراط المستقيم: هو ما كان عليه من ذكرهم الله بقوله: ومن بطع أله

ع
رم ادس ارم 0 عرض سم 2 2

اَل تأرَكيك تّ الآ أن لله عَم بَنَ لين رَالَِقَ تَاشْبَدَة الكَطِسِدَ

ار اضر

ب

وَحَسُنَ أُوْلَتِكَ رَفِيقًا © ديك الل يك أت وَكَقٌ ين عَلِيمًا © [الساء:
4 170 ولما ذكر الصراط المستقيم ذكر الطرق المنحرفةء وأعظمها طريق
اليهود والنصارى:

طريق اليهود أنهم عرفوا الصراط المستقيم لأنهم علماء» عرفوا الصراط المستقيم ولكنهم لم يعملوا به ولم يسيروا عليه؛ بل خالفوه» فهم عندهم الهداية؛ هداية الدلالة فقط» وليس عندهم هداية التوفيق؛ حرموا منها .

والطريق الثاني: طريق التنصارى» الذين لا يعرفون الصراط المستقيم فهم جهال؛ ويعبدون الله على غير شرعه؛ على غير طريق صحيحء على جهل وضلال» هؤلاء هم النصارى.

)١(أخرجه الترمذي)17151(.

وسلوك طريق السّالكين إلى الله تعالى.

والله سبحانه الموفق بمنّه وكرمه؛ والحمد لله وحده؛ وصِلّى الله *
على من لا نبيّ بعده. وآله وصحبه ووارثيه وحزبه. تم الكتاب بعون الله
الملك الوهاب.

فأهل الصراط المستقيم جمعوا بين العلم الناقع والعمل الصالح» اليهود
أخذوا العلم وتركوا العمل» النصارى أخذوا العمل وتركوا العلم» وليس هذا
خاص باليهود والنصارى؛ بل كل من اتصف بذلك فحكمه حكم اليهود
والنصارى. فالذي لا يعمل بعلمه هذا فيه صفة اليهود» والذي يعمل بغير علم
هذا
فيه صفة النصارى؛ ولهذا يقول بعض السلف: «من ضل من علمائنا ففيه شبه
باليهود؛ ومن ضل من عبّادنا ففيه شبه من التصارى». الصوفية وكل من عبد
الله
على جهل وضلال فهو داخل في هذا النوع» وكل من عنده علم ولا يعمل به
فهر
داخل في نوع اليهود. والصراط المستقيم هو من أهل العلم والعمل» العلم
النافع
والعمل الصالح» كيف أن الله فرض علينا أن نقراً هذه السورة في كل ركعة
ولا
نتديرها» ولا نتأملها» ولا ندري ماذا فيها إلا كلام نردده بألسنتنا إلا من شاء
الله
فيجب على المسلم أن يعرف القرآن» وهذه السورة بالذات؛ لأنها أم القرآن
سورة الفاتحة هي أم الكتاب» هي أم القرآن؛ وإليها يرجع القرآن كله»؛ فهي
مجملة» والقرآن يفصلها ويمينها ؛ ولذلك سميت هذه السورة العظيمة (بأم
القرآن).

قوله: (وسلوك طريق السّالكين إلى الله تعالى)» وهم الذين أنعم الله
عليهم» «إيرط آلآ أسنَتَ يم [الفاتحة: 7]» فقد أضافه إليهم؛ لأنهم
أهله. العاملون به وأضافه إلى نفسه صراط الله؛ لأنه هو الذي شرعه» «وَأنَ
هذا صِرّطى مُسَتَقِيمَا» [الأنعام: *10] فأضافه إلى نفسه؛ لأنه هو الذي شرعه
. #8

قوله: (تمّ الكتاب بعون الله الملك الوهاب)؛ جزاه الله خيرًا عن

الإسلام والمسلمين» على هذا الكتاب النفيس المختصر الذي تضمن عقيدة أهل السُنَّة والجماعةء وهو كتاب عظيمء فجزاه الله خيرًا وأثابه ونفعنا بما فيه

. من العلم النافع

"!فائدة

قد تقدم للمؤلف المقريزي كلام في حلق الرأس. وأجمل القول *
في ذلك» ولما كان الحكم في ذاته فيه تفصيل» أحيبنا أن نذكر هنا ما
أورده الحافظ العلامة شمس الدين ابن القيم - رحمة الله عليه - بكتابه
زاد المعاد في هدي خير العباد»» قال في كتاب الطب من الجزء الثاني»
:لعلاج القمل الذي في الرأس وإزالته

:وحلق الرأس ثلاثة أنواع» #
.أحدها: نسك وقربة #
.والثاني: بدعة وشرك *#
.والثالث: حاجة ودواء *#

:حلق الرأس: بالنسبة للرجل» وحلق الرأس ذُكر أنه على ثلاثة أنواع

حلق عبادة وشعيرة كما يحلق المسلم رأسه في الحج والعمرة؛ وكما يحلق
.المشركون رؤوسهم عند الأصنام؛ هذا حلق عبادة» وهو واجب على المسلم

.وحلق محرّم: كحلق المشركين رؤوسهم تعظيمًا للأصنام

وحلق مباح: وهو الحلق للحاجةء هذا مباح» فإن شئت تحلقء وإن
.شتت لا تحلق

وقد ذكر المؤلف مسألة حلق الرأس في قوله: (فالشرك به في الأقعال؛
كالسجود لغيره سبحانه. والطواف بغير بيته المحرّم؛ وحلق الرأس عبوديّةٌ
وخضوعًا لغيره)؛ الآن يأتي من كلام ابن القيم حول حلق الرأس؛ لأن
.المؤلف أجمل القول؛ أي: اختصر

)١(فائدة في آخر إحدى الطبعات؛ رأى شيخنا - حفظه الله التعليق عليها .

فالأول: الحلق في أحد التسكين: الحج أو العمرة * .

والثاني: حلق الرأس لغير الله سبحانه كما يحلقها المريدون # «لشيوخهم» فيقول أحدهم: أنا حلقت رأسي لفلان» وأنت حلقته لفلان وهذا بمنزلة أن يقول: سجدت لفلان» فإن حلق الرأس خضوع وعبودية وذل؛ ولهذا كان من تمام الحج حتى إنه عند الشافعي ركن من أركانه؛ لا يتم إلا به فإن وضع التواصي بين يدي ربها خضوعًا لعظمته وتذللً لعزته» وهو من أبلغ أنواع العبودية؛ ولهذا كانت العرب إذا أرادت إذلال الأسير منهم وعتقه حلقوا رأسه وأطلقوه.

قوله: (الحلق في أحد النسكين) هذا عبادة وهو واجب من واجبات الحج والعمرة.

قوله: (والثاني: حلق الرأس لغير الله)» وهذا محرم وشرك؛ لأنه عبادة لغير الله؛ لأنهم يفعلونها على وجه النسك» التعبد والذل لغير الله كَل .

قوله: (كما يحلقها المريدون لشيوخهم)؛ وهو عند الصوفية أيضًاء فهم «يحلقون رؤوسهم لشيوخهم» شيوخ الطرق تعظيمًا وتواضعًا لهم» (المريدون هم الطلاب.

قوله: (فإن حلق الرأس خضوع وعبودية وذل)» فهو مثل السجود» إذا فعل على وجه العبادة والتعظيم لأحد فهو عبادة مثل السجود.

قوله: (حتى إنه عند الشافعي ركن من أركانه)؛ أي: تمام الحلق من تمام الحج؛ لأنه نسك من مناسك الحج؛ على الخلاف هل هو واجب أم ركن؟ المعروف أنه واجب من واجبات الحج.

قوله: (فإن وضع النواصي بين يدي ربها خضوعًا لعظمته وتذللًا لعزته)؛ يعني : حلقك لراسك في الحج والعمرة خضوعًا للهء أن تضع ناصيتك بين يديه.

قوله: (ولهذا كانت العرب إذا أرادت إذلال الأسير منهم وعتقه حلقوا رأسه وأطلقوه)» إذلالا له وتتكيلًا به .

فجاء شيوخ الضلال والمزاحمون للربوبية الذين أساس #
مشيختهم على الشرك والبدعة فأرادوا من مريديهم أن يتعبدوا لهم فزينوا
لهم حلق رؤوسهم لهم كما زيتوا لهم السجود لهم وسموه بغير اسمهء
وقالوا: هو وضع الرأس بين يدي الشيخ.

ولعمر الله إن السجود لله هو وضع الرأس بين يديه يله وزينوا #
لهم أن يتذروا لهم» ويتوبوا لهم ويحلفوا بأسماتهم وهذا هى اتخاذوم
أربابًا من دون الله تعالى» قال تعالى : ما كان إِبَكَرٍ آن يُوْتِيّهُ للَّهُ الكت
والحَكم ا ته يُقْوْلَ الاي كا عكادًا ِ من دون أل وَل هما رين
مُث 2 زر الوب ديا ختر تعد © يَأحُمْ أن ككينا اتيك
[س 7 يعي بالكثرٍ بد إذ آنمٌ ف © لآل عمران: 4لا 40.

. قوله: (فجاء شيوخ الضلال والمزاحمون للربوبية)؛ يريد الصوفية

قوله: (كما زينوا لهم السجود لهم وسموه بغير اسمه)» فكذلك وضع
. الرأس عند المريدين فهو سجود لهم» كما أن وضعه لله سجود لله تعالى

قوله: (وزينوا لهم أن ينذروا لهم)؛ النذر عبادة.

قوله: (ويتوبوا لهم)؛ التوبة إلى الله 8# وليست التوبة للمخلوق.

قوله: (ويحلفوا بأسمائهم) الحلف تعظيم» والحلف بغير الله شرك.

قوله: (وهذا هو اتخاذهم أربابًا وآلهة من دون الله) بلا شك فهذا أشد
من تحليل الحرام» وتحريم الحلالء الذي هو عبادة الأحبار والرهبان» هذا
. أشد

قال تعالى: نا كَآنَ ِبر آن يُيِيَهُ لَه الكِتب وَالحْكُم وَالنْبْوَةَ ثم يَقْولَ
إلكابى كما ونكادا ا ل من دُّنٍ آثر؟ الآيت هذا فيه الرد على النصارى؟؛ 7 كانوا
يعبدون المسيح رد لله عليهم بقوله : لما كان لبر آن يُوْتِيَهُ اله الكتتب ولع
لبه ثُمّ يَقولَ إكابى ينا عبسادا لي بن دمن آلر»؛ يعني : المسيح لل؛ ما قاله

أبرأي أي أ ا ل أ با اا اجا اا أي لد ألا أل أ اﻻ اجا أي و أ لس أ أجل له أ اج د
اي أ ااه أ دا ادا اما اس اس اس اد اس اس أ ا ا ا ل ا

المسيح عليه الصلاة والسلام؛ بل قال: «أعْبَثاً اله رق رُم [المائدة:
هذا الذي قاله المسيح» لكنهم ابتدعوا وأحدثوا بعده أمورًا أعظمها [7"
الشرك» والعياذ بالله» واتخذوه ربا ؛ فالله رد عليهم في هذه الآية؛ أنهم
كاذبون
على المسيح.؛ نا كان كر أن يُؤْتِيهُ لَه الكتب وَآلد كم انبرد ثم ثم تقول
إكابب وا ع وبكادا لي بنِ ذنٍ َ ولي ؛ أي: الذي يأمر به الأنبياء: 74
كين هذا الذي يأمر به الأنبياءء» ينا كُثُرْ تُلِننَ الككبِ وَبِمَا كر
تَدْتَنُونَ (©6» الكتاب المنزل من الله 3# ؤدلا بَأَمكُ كن 0 | الليكدٌ
والتِيتِنَ تسا ل الْكُثْرِ دإ 8 يمه)00 [آل عمران: 4 6م8].

ج. © ©

وأشرف العبودية عبودية الصلاة» وقد تقاسمها الشيوخ #
والمتشبهون بالعلماء والجبابرة» فأخذ الشيوخ منها أشرف ما فيها وهو
السجود؛ وأخذ المتشبهون بالعلماء منها الركوع» فإذا لقي بعضهم بعضًا
ركع له كما يركع المصلي لربه سواء» وأخذ الجبابرة منهم القيام فيقوم
الأحرار والعبيد على رؤوسهم عبودية لهم وهم جلوسء وقد نهى
رسول الله كِللةٍ عن هذه الأمور الثلاثئة على التفصيل فتعاطيها مخالفة
صريحة له, فتهى عن السجود لغير الله وقال: ١لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يَسْجُدَ
.«لأَحَدِ» فأنكر على معاذ لما سجد له وقال: لمه

قوله: (فيقوم الأحرار والعبيد على رؤوسهم عبودية لهم وهم جلوس) من
باب التعظيم» فإذا قاموا على رأسه من باب التعظيم فهذا عبودية ولا يجوزء
وهذا أبغض الخلق إلى الله» وأما إذا قاموا على رأسه للحراسة فلا باس
بذلك» هذا للحاجة؛ فوقوف الحرس لأجل الرصد ولأجل حماية ولي الأمر
هذا لا بأس به وإنما إذا كان هذا من باب التعظيم له؛ وكما جاء في
"الحديث: «مَنْ أَحَبٌ آنْ يَمْكُلَ له الرّجَالٌ قِيَامًا فَلْيَتبَاْ مَقْعَدَهُ من لتر
.وانظر : لقد أخذ هؤلاء الركوع والسجود والقيام

قوله: (فأنكر على معاذ لما سجد له...) ولما أراد معاذ وله أن يسجد
للرسول» فقد قدم من الشام ورآهم يسجدون لعلمائهم ورؤسائهم وملوكهم
فأراد أن يسجد للرسول؛ فالرسول أولى أن يُسجد له فمنعه الرسول كل
."!قال: «لَوْ كُتتٌ مر أَحَدَا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَمَرْتُ الْمَرأَة أَنْ تَنْجُدَ لِرَوْجِهَء

. قوله: (فأنكر على معاذ لما سجد له؛ وقال: مه)؛ يعنى : كف عن هذا

ج » ©

)١15467(. أخرجه أبو داود (0771). (؟) أخرجه الإمام أحمد ()

وتحريم هذا معلوم من دينه بالضرورة؛ وتجويز من جوزه لغير الله
مراغمة لله ورسوله» وهو من أبلغ أنواع العبودية» فإذا جوّزْ هذا المشرك
هذا النوع اليسير فقد جوز العبودية لغير الله. وقد صح أنه قيل له:
الرجل يلقى أخاه أينحنى له؟ قال: لاء قيل: أيلتزمه ويقبله؟ قال: لاء
قيل: أيصافحه؟ قال: نعم . وأيضًا فالانحناء عند التحية سجود» ومنه قوله
تعالى : «دَآخْلًا أزاب تُكَدَاي» [البقرة: 8ه]؛ أي: منحنينء وإلا فلا
يمكن الدخول على الجباه.

قوله: (وتجويز من جوزه لغير الله مراغمة لله ورسوله)؛ أي: من أجاز
السجود لغير الله فهذا مراغم لأوامر الله وأوامر رسوله كل ومناقض للتوحيد
.

قوله: (وقد صح أنه قيل له: الرجل يلقى أخاه أينحني له؟ قال: لاء
قيل: أيلتزمه ويقبله؟ قال: لا قيل: أبصافحه؟ قال: نعم)ء عند اللقاء
المصافحة» إلا إذا كان قادمًا من سفر فلا بأس من معائقته وتقبيله إذا كان
من
الأقاربء ا بأسء فعل النبي كيةٍ هذا مع جعفر بن أبي طالب وق فإذا
كان قادمًا من سفر خصوصًا القريب فإنه يُبّل» وأما إذا كان غير قادم من
سفر
| فتكفى المصافحة.

قوله: (وأيضًا فالانحناء عند التحية سجود)؛ فلما حصل من اليهود ما
حصل من الجراثم أمرهم الله أن يدخلوا الباب» باب بيت المقدس» قال
تعالى : «وَآدّخْلُهَا آلِبَابَ سُكَدَاك»؛ أي: منحنين خاضعين لله تعظيمًا لل طق
فجلسوا يزحفون على آستاههم والعياذ باللهء وقيل لهم: (دُولا حِدُة»؛ يعني:
حط عنا ذنوبناء هذا استغفار فبدلوها وقالوا: حنطةء وهو من الأكل» وهذا

استهزاء بآيات الله كلهٍ .
قوله: (وإلا قلا يمكن الدخول على الجباه)؛ ما قال لهم سجدًا؛ يعني:

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (15407).

وصح عنه النهي عن القيام وهو جالس كما تعظم الأعاجم بعضها بعضًاء
حتى متع من ذلك في الصلاةء وأمرهم إذا صلى جالمًا أن يصلوا جلوسًا
وهم أصحاء لا اعذر لهم؛ لكلا يقوموا على رأسه وهو جالس؛ مع أن
.! قيامهم لله» فكيف إذا كان القيام تعظيمًا وعبوديةً لغيره 8#؟

اسجدوا على الأرضء لا يمكن أن يدخلوا ساجدين على الأرض»ء فدل على
.أن المراد بذلك الانحناء» يحني رأسه تعظيمًا لله يَلةٍ وإجلالًا له

قوله: (وصح عنه النهي عن القيام وهو جالس كما تعظم الأعاجم بعضها
بعضًا)ء لما صلى النبي قله جالمًا لمرض أصابه وعاده أصحابه وصلوا معه؛
قاموا فأشار | إليهم أن اجلسواء فجلسواء وصلوا خلفه جلوسًاء فلما سل
:قال
اإن كِدْتُمْ آنِّا لتنْمَلُونَ فِعُلَ كَارِسنَ وَالرُمِ بَكومُونَ على مُلُوكِهِمْ دَهُمْ قُعُود فلاِ
تَفْعَلُوا اث نموا بِأبِميكُمْ؛ + إن صلى قَائِمًا فَصَلُوا قِيَامًا؛ وَإِنْ صلى قَاعِدًا تَصَلُوا
مود

قوله: (لثلا يقوموا على رأسه وهو جالس)؛ أي: لثلا يتشبهوا بملوك
الأعاجم والطواغيت الذين يحبون القيام عليهم تعظيمًا؛ فإذا كان القيام
تعظيمًا
فلا يجوزء أما إذا كان للحاجة والحراسة فلا بأس

قوله: (مع أن قيامهم لله)؛ مع أنهم في صلاة وقيامهم لله ولكن كره
لهم التشبه بالأعاجم؛ أن رسولهم جالس وهم قيام فوقه» فكره التشبه في
الصورة فقط

© © ©

.أخرجه مسلم (17:) ()

والمقصود: أن النفوس الجاهلة الضالة أسقطت عبودية الله يل *
وأشركت فيها من تعظمه من الخلق, فسجدت لغير الله وركعت له؛ وقامت
بين يديه قيام الصلاة» وحلفت بغيره» ونذرت لغيره» وحلفت لغيره» وذبحت
لغيره» وطافت لغير بيته» وعظمته بالحب» والخوف» والرجاء » والطاعة»
كما
يعظم الخالق بل أشدء وسوّت من تعبده من المخلوقين برب العالمين؛
وهؤلاء هم المضادون لدعوة الرسل؛ وهم الذين بربهم يعدلون» وهم لين
) بقولون وهم في ارمع ألهتهم يختصبون لائد كا أن كل يز

امس

ريب لاس سَ ا ين دون الله أندادًا جوتت ب آل تَآلِبَ ا ا

وهذا كله من الشرك والله لا يعفر أن يشرك يه .[١5 :البقرة] «حا لِلَرْ ٍ◌

قوله: (وسوّت من تعبده من المخلوقين برب العالمين)؛ أي: سوّت بين
«معبوداتهم وبين الله في الركوع والسجود والقيام؛ وغير ذلك من التعظيمات
وحلق الرؤوس لهم.

قوله: (وهؤلاء هم المضادون لدعوة الرسل)؛ بلا شك هؤلاء مضادون
لدعوة الرسل؛ لأن الرسل أمروا بإفراد الله # بالعبادة» ونهوا عن عبادة ما
سواه قال تعالى: يَوَلقَدَ بَنْن في كُلٍ أكُوَ زَسُلًا أني عدا أنه جما
لخت [النحل: +].

قوله : (وهم الذين بربهم يعدلون)؛ يعني : يسوونه بغيره.

قوله: (وهم الذين يقولون وهم في النار مع آلهتهم يختصمون: تنه إن
كُنَّا كنى شَكلٍ ثُبِينٍ ©© إذ شرم بَتِ آلتَلَيِينَ ©))» هذه مقالتهم في النار إذا
أدركوا خطاهم في النار؛ إذذ سووا غير الله بالله في العبادة.

قوله: : (وهم الذين قال فيهم: : «إويتب آلْنَاسٍ من يُتَخِدٌ بن ذُونٍ أل أنَدَادً
كب آله تَالآِنَ ءَامَترا أَندُ عا د ؛ ؛ نهم يحبوة أصنامهم كما
يحبون الله وهذا شرك أكبر .

فهذا فصل معترض في هديه في حلق الرأس. ولعله أهم مما # تُصِدَ الكلام فيه؛ والله تعالى أعلم.

© © .

قوله: (فهذا فصل معترض في هديه في حلق الرأس..) جزاه الله خيرًا

ب © ©